مقدمة

كثيرة هي المصطلحات السياسية والاجتماعية والفلسفية التي تغزو قواميسنا وتجد لها طريقاً إلى مفرداتنا اليومية ووسائل إعلامنا بعضها يبدو جذاباً، على الرغم من غموض مضامينها وازدواجية أوجهها وتعدد معانيها ، وما العولمة والنظام العالمي الجديد والفوضى الخلاّقة والقرية الصغيرة وغيرها إلا نماذج بسيطة لمثل هذه المصطلحات . والحالمون فقط لا يرون في القمر سوى وجهه المضيء الظاهر . ولو قدّر لهم النظر إلى وجهه الخفي المُظلم والمجدّر بالأخاديد والتصدعات لربما كان لهم فيه رأي آخر.

وعندما يتداول المثقفون والمتخصصون في العلوم الإنسانية فيما يسمى بالمثاقفة والتعددية الثقافية، فهم يرون فيها نموذجاً للمجتمع الأمريكي، الذي أمكنه بلورة ظروف مناسبة للتعايش بين مكوناته الإنسانية المختلفة وثقافات مهاجريه المتعددة والقادمين إليه من شتى أصقاع الأرض ، مجتمع لا تهيمن فيه ثقافة الأقوى على الأضعف، ولا يتجذَر فيه التمييز والتعصب بين

الأعراق والإثنيات والديانات المختلفة المكوّنة له ، بل ويسعى حالياً، بعد أن أزال الفوارق الاجتماعية بين جنسيه الخشن والناعم، إلى مساواة المِثليين مع باقي أفراد المجتمع . وقد أصبح متعارفاً عليه أن يقترن اسم الولايات المتحدة " ببوتقة الصهر" وهو مصطلح برّاق، يزاوج بشكل فريد بين علوم الكيمياء والتعدين والعلوم الإنسانية . ففي القواميس ودوائر المعارف المعاصرة، أضيف إلى التعريف العلمي التقليدي للبوتقة تعريف جديد، بأنها البيئة التي تدمج اجتماعياً العديد من الأعراق والثقافات والأفكار كوحدة متماسكة .

لقد ذاعت شهرة بوتقة الصَهر في عام ١٩٠٨ بعد عرض مسرحية ، تحمل نفس الإسم ، على خشبة مسرح كولومبيا في العاصمة واشنطن ؛ وتمكّن مؤلفها من تسويق وتعميم المصطلح على المستوى الثقافي والفكري العالميين . في الظاهر، تحمل المسرحية رسالة إنسانية مضيئة رسالة تدعو إلى دمج المهاجرين في بوتقة الولايات المتحدة ليتبلور فيها ' إنسان أمريكي جديد' لا يحمل هوية عرقية أو دينية، ولا يعرف التحامل والإجحاف تجاه الآخر ؛ إلا أنها ، في الواقع ، تحمل أيضاً رسائل أخرى مظلمة ذات مضامين خفية متعددة . فهمُ هذه الرسائل يبدو متعذّراً من دون التعرّف على خلفية مؤلف المسرحية وسيرته الذاتية وعلى

الظروف الدولية والمناخ السياسي الذي كان سائداً قبل قرن من زماننا هذا .

تتضمن هذه الدراسة ترجمة لنصَ المسرحية كما جاء في النسخة الإنجليزية ، الصادرة في نيويورك عام ١٩١٤ . كما تقدم نبذة عن حياة الكاتب وبعضاً من أعماله الأدبية والسياسية الأخرى، إضافة إلى التعريف بأهم حدث سياسي واجتماعي ارتبط بهذا العمل المسرحي .

وبعيداً عن منهجية النقد الأدبي أو المسرحي أو الدراسات التي تندرج في صلب اهتمامات أصحاب الاختصاص ، تسلّط الدراسة الضوء على بعض الجوانب الإعلامية والسياسية التي حاول المؤلف إيصالها إلى المشاهد ، سواءً عند اختياره للحدث الدرامي أو في رسمه لصورة بطل المسرحية والشخصيات المساندة له أو في الحوارات التي دارت بينهم ، كل ذلك في إطار الوقائع التاريخية التي سبقت أو تزامنت مع العرض الأول للمسرحية في مطلع القرن العشرين .

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف

ولد إسرائيل تسانغفيل، مؤلف المسرحية، في الغيتو اليهودي بضاحية إيست إند اللندنية في عام ١٨٦٤ من أب لاتفي وأم بولندية هاجرا إلى بريطانيا من روسيا القيصرية . كان والده موسى تسانغفيل من التلموديين المتشددين دينياً ومن المتردَدين مع ابنه إلى الكنيس كل صباح . وعُرف عن إسرائيل ولعه وحبه الكبير للطقوس والأعياد والعادات اليهودية القديمة واللغة اليديشية

رغم ما يشاع عن علمانيته وتحرره من التقاليد اليهودية الأرثوذوكسية.

يَعتبِرُ كتّاب السيرة الذاتية والنقاد اليهود تسانغفيل واحداً من أبرز الكتّاب في عصره . ألّف العديد من الروايات والقصص القصيرة و المسرحيات والأشعار التي تدور بمجملها حول اليهود في الشتات . كان تسانغفيل شغفاً، على وجه الخصوص، بالغيتو اليهودي ، الأمر الذي نلمسه في عناوين بعض مؤلفاته **أبناء الغيتو** (١٨٩٢) ، **تراجيديات الغيتو** (١٨٩٤)، **الحالمون في الغيتو** (١٨٩٨) و**كوميديات الغيتو** (١٩٠٧). ومن أشهر أعماله الأخرى **ملك الشحاذين** (١٨٩٤) ومسرحيته **بوتقة الصهر** ، التي حضر عرضها الأول عام ١٩٠٨ الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت . ويشير النقّاد إلى أن الرئيس ، في نهاية المسرحية ، صاح من مقصورته في مسرح كولومبيا مُثنياً على مؤلفها : إنها مسرحية عظيمة، يا سيد تسانغفيل، مسرحية عظيمة **!**

وإلى جانب أعماله الأدبية، كتب تسانغفيل عشرات المقالات والخطب والتعليقات السياسية ، في كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، وكانت في معظمها تتناول مستقبل اليهود السياسي والاجتماعي والديني **.** جمع بعض كتاباته هذه في

مؤلفات خاصة ، مثل **أرضٌ للّجوء** (١٩٠٧) و**شعب الله المختار** (١٩١٨) و**صوت أورشليم** (١٩٢٠) .

انضمَ تسانغفيل إلى الحركة الصهيونية منذ نشأتها، وشارك في معظم مؤتمراتها . وفي المؤتمر الصهيوني السابع ١٩٠٥ انشقَ عن الحركة، ليشكل منظمة إقليمية خاصة تعمل على مساعدة يهود روسيا وأوروبا الشرقية في النزوح والهجرة إلى القارة الأمريكية أو افريقيا أو إلى أي مكان مناسب ، يضمن مستقبلهم في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وبعد أن لمس أهمية وجدّية وعد بلفور، عاد ليدعم الجهود الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين وإقامة ' دولة يهودية ' فيها .

* * *

شخصيات المسرحية

ديفيد كيكزانو

بطل المسرحية ومحور أحداثها، يصفه تسانغفيل بأنه أنموذج رفيع للشاب الروسي - اليهودي . فهو موسيقي عبقري وعازف كمان موهوب ؛ هاجر إلى الولايات المتحدة بعد مقتل أبويه وإخوته في أحداث العنف التي اشتعلت في مدينة كيشينيف في عام ١٩٠٣، بين الفلاحين الروس واليهود . يعمل على تأليف سيمفونية خالدة ' السيمفونية الأمريكية ' يمجّد فيها الولايات المتحدة كملجأ للمهاجرين البؤساء والمعذبين والمضطهدين وبوتقة صهرهم .

مِندل كيكزانو

عمّ ديفيد، هاجر من روسيا القيصرية قبل ديفيد بسنوات طويلة ، معلم موسيقى وعازف بيانو في حانات نيويورك .

فراو (السيدة) **كيكزانو**

جدَة ديفيد سيدة مسنة مغالية في التديّن وفي الحرص على التقاليد اليهودية الأرثوذوكسية، استقدمها ابنها مندل لتعيش معه في نيويورك . لا تتحدّث سوى باليديشية أو بالعبرية بعد عشرة سنوات من هجرتها إلى أمريكا .

كاثلين أوريلّي

شابة إرلندية الأصل متقلبّة الأهواء و نصف متعلمة، تتكلم الإنجليزية بالعامية الإرلندية المليئة بالأخطاء . تعمل خادمة لدى عائلة كيكزانو .

فيرا ريفندال

شابة روسية المولد من مدينة كيشينيف ، تتحدّر من أسرة مسيحية أرستقراطية . لجأت فيرا إلى الولايات المتحدة هرباً من الحكم القيصري لكونها ثورية وفوضوية . تقع في حبَ ديفيد وتطمح إلى الزواج منه .

كوينسي ديفنبورت

ثري أمريكي ، يتحدَر من عائلة إنجليزية عريقة تعتبرمن قدامى المهاجرين(الآباء المؤسسين) إلى أمريكا. يصوّره تسانغفيل على أنه سطحي وتافه ، ينفق أمواله الموروثة عن أجداده ويعشق الحضارة والارستقراطية الأوروبية . معادٍ للسامية .

هِرْ (السيد) **بابلمايستر**

قائد أوركسترا موسيقية خاصة بالثري كوينسي . ألماني الأصل ويتكلم الإنجليزية الهجينة بالألمانية . يُعجَب بعبقرية ديفيد الموسيقية وسيمفونيته ويساعده في عرضها وتسويقها على الشعب الأمريكي .

البارون ريفندال

ضابط ارستقراطي روسي من مدينة كيشينيف ، والد فيرا . شارك في التنكيل باليهود في تلك المدينة .

البارونة ريفندال

زوجة أب فيرا. امرأة تافهة تعشق المال والمظاهر الأوروبية رفيعة المستوى . تتكلم الإنجليزية المَشوبة بالفرنسية الارستقراطية . تكره اليهود وتمجّد ، مثل زوجها، النظام القيصري الروسي .

موقع أحداث المسرحية : ضواحي مدينة نيويورك .

زمن أحداث المسرحية : مطلع القرن العشرين.

أول عرض للمسرحية : ٥ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٠٨ في العاصمة الأمريكية واشنطن .

* * *

تنويه : كل ما يرد في النص المُترجَم ضمن هلالين ( ) هي إضافات من المترجِم بهدف شرح بعض العبارات الواردة في النص الأصلي .

الفصل الأول

يفتتح المشهد على غرفة المعيشة في بيت صغير يعود (لعائلة) كيكزانو في ضاحية ريشموند (ستيتن أيلاند) أو إحدى الضواحي غير اليهودية من نيويورك . الوقت يقارب الساعة الخامسة بعد ظهر أحد أيام شهر شباط / فبراير . في الخلفية باب البيت المزدوج الذي يطلّ على شرفة ذات أعمدة على الطراز الاستيطاني الأمريكي القديم . إلى يمين الباب ، تلمع المِتسوساه، وهي علبة من القصدير معلقة على الجدار، تحتوي على مقطع من العهد القديم (عادة من سِفر التثنية) وإلى اليمين أيضاً، مشّجب علق عليه معطف ومظلة مِندل وغيرها . إلى جانبي الباب نافذتان وثلاثة مخارج ؛ المخرج الأمامي، في الجانب الأيسر، يؤدي إلى الأدراج وغرف نوم العائلة ، أما المَخرجان إلى اليمين فيؤدي الخلفي منهما إلى غرفة نوم كاثلين والأمامي إلى المطبخ . فوق باب البيت ثُبّت علمُ (أمريكا) بنجومه وأشرِطته ، وعلى الجانب

الأيسر، مِنصَب لنوَط الموسيقى ورفوف عليها كتب عبرية كبيرة مُتهالكة ، عُلق في أعلاها المزراخ (مؤشر قِبلة اليهود) أو صورة عبرية تبيّن أنه جدارالغرفة الشرقي . تعلّق في أنحاء الغرفة صور أخرى لفاغنر ولكولومبس ولينكولن وليهود عند حائط المبكى . في الجانب الأمامي للمسرح ، وعلى بعد ياردة من الجدار الأيسر، يتوضّع مكتب ديفيد المفتوح ويبدو فيه خليط من الأوراق الموسيقية وريشة للكتابة وغيرها . وعلى الحائط ، خلف المكتب، رفّ يحمل كتباً إنجليزية مجلدة بعناية . بيانو من الحجم الكبير، يتصدّر الغرفة إلى الجانب الخلفي الأيسر، تتوضَع عليه كومة من الأوراق الموسيقية ومجلد عبري ضخم .

في منتصف الغرفة منضدة يكسوها غطاء أحمر، تتبعثر عليها أشياء متفرقة من لوازم موسيقية وجرائد وغيرها. يحتل مُصطلى النار المشتعل وسط الجدار الأيمن ، ويحمل الرفّ أعلى المُصطلى، ساعة وشمعدانين فضيين . إلى جانب المُصطلى، كرسي بمسندين، ملقى عليه مُجلد عبري ضخم آخر . هناك خزانة ذات أدراج في الجانب الأيمن من الجدار الخلفي، كما تتوزع بضع كراسي رخيصة في أنحاء الغرفة . المظهر العام للغرفة يوحي بمزيج غريب من الرثاثة والأمرَكة واليهودية والموسيقى ؛ وهذه الخصائص الأربع، تجتمع في شخصية مِندل كيكزانو، الذي يُشاهد واقفاً أمام باب البيت المفتوح، مُعتمراً

قلنسوة سوداء ومرتدياً سترة من المخمل البالي ومنتعلاً خفاً منزلياً أحمر اللون . إنه معلم موسيقى ، مُسنّ ذو وجه يهودي جميل غَضّنته أشجان سوء الطالع والمِحَن، وذقن قصيرة شائبة.

مِندل: **وداعاً يا جوني! ولا تنسى أن تتدرب على سَلالِمك الموسيقية** [يغلق الباب وهو يرتجف من البرد] **آوه!، ستثلج ثانية على ما أعتقد .** [يتثائب مطلقاً علامة الارتياح، يسير باتجاه المنضدة ويلاحظ وجود نوطة موسيقية عليها] **المغفل! لقد نسي نوطته الموسيقية!** [يلتقطها ويسرع باتجاه النافذة اليسرى وهو يغمغم غاضباً] **عديم العقل والآذان، هذا الغَيْر** (غير اليهودي) **ذو الأصابع الغليظة!** [يفتح النافذة ويصيح] **جوني! لا يمكنك التدرّب على السلالم الموسيقية إذا ما تركت النوطة هنا!** [يرمي له بلفافة النوطة الموسيقية وهو يرتجف من البرد عندما يغلق النافذة ثانية] **أوه! والآن يتوجب عليّ الخروج إلى درس الرقص التعيس لتحصيل الأجر** [يتوجه نحو المصطلى طالباً الدفء ليديه] **آه يإلهي، ماهذه الحياة! ما هذه الحياة!** [يتهاوى حزيناً على الكرسي، وينتبه إلى أنه يجلس بغير ارتياح على مجلد ضخم، ينهض نصف نهضة دافعاً المجلد إلى

جانبه. بعد برهة يُسمَع صوت إيرلندي غاضب آت من خلف باب المطبخ]

كاثلين (تتحدث دوماً بلهجة إيرلندية عامية وبأخطاء في التعبيروواللفظ) **فلتذهب الزبدة إلى الجحيم ! لن أتحمّلكم بعد اليوم ولو أعطيتُ مئة دولار أسبوعياً .**

مندل [ينهض من على كرسيه ليسترق السمع ويطلق تنهيدة قوية] **آه، أمي وكاثلين ثانية !**

كاثلين **قدور ومقلايات وصحون وسكاكين! هذا يكفي بالتأكيد ليصيب أي قديس بالجنون .**

فراو (السيدة) **كيكزانو** [بصوت عال أيضاً آت من المطبخ] (تتحدث باليديشية)

لم تزعقين؟ يا آلهة السماء، أي أمريكا هذه!

كاثلين [تفتح باب المطبخ مع نهاية حديث فراو كيكزانو، إلا أنها تعود ولا يشاهد منها سوى يد تمسك بالباب] **ما هذا الذي تهذرينه عن أمريكا ؟ إذا كنت لا تحبين البلد الذي خصّصه الربّ لنفسه، فمن المؤكد أن بإمكانك العودة إلى أورشاليمك، نعم بإمكانك ذلك.**

مندل **حتى خدمنا أصبحوا معادين للسامية .**

كاثلين [تصفق الباب خلفها وهي تدخل غرفة المعيشة مهتاجة، حاملة غطاء منضدة أبيض مطوي . كاثلين خادمة إيرلندية شابّة وجميلة] **سيكون حظي عاثراً إذا ما عملت ثانية لدى يهود همَج** [تفاجأ أن مندل جالس على الكرسي، تطلق صرخة خافتة وتسقط غطاء المنضدة على الأرض] **. آه، لقد اعتقدت أنك خارج البيت!**

مندل **وهكذا تجرأت أن تكوني وقحة مع أمي .**

كاثلين [تجيب بغضب وهي ترفع الغطاء عن الأرض] **لقد قالت إنني وضعت اللحم في صحن الزبدة .**

مندل **كما تعرفين، هذا يتعارض مع دينها .**

كاثلين **ولكنني لم أفعل شيئاً من هذا القبيل. ما فعلته إنني وضعت الزبدة في صحن اللحم .**

مندل **وهذا سيء بنفس القدر، إن ما يحرمه التوراة...**

كاثلين [تضع غطاء المنضدة على أحد الكراسي وبنشاط ترفع ماتبعثر من أشياء فوق المنضدة] **أكيد، وحتى الحبر الأعظم لا يستطيع أن يتذكر جميع هذه الأمور. لمَ لا تتبعون ديناً معقولاً؟**

مندل **أنت سليطة اللسان ، عودي إلى عملك** [يجلس إلى البيانو]

كاثلين **ألا يُعتبر عملاً عندما أفرش غطاء المنضدة استعداداً ليوم السَبتْ؟** [تضع كاثرين الأشياء المبعثرة بعنف في مكانها الصحيح على المنضدة]

مندل **لا تردّي عليّ بمثل هذه الفظاظة !** [يبدأ بالعزف على البيانو بنعومة]

كاثلين **في الواقع، يجب أن أردّ على أحد.. وأستخدم كلمة بالإنجليزية يمكنها أن تفهمها. وإلا قد يكون من الأفضل أن أتحدث إلى شجرة.**

مندل **نحن لاندفع لك للتحدث، بل للعمل** [يتابع عزفه بنعومة]

كاثلين **ومن يستطيع العمل مع امرأة مسنّة تنقّ وتتذمّر وتلقي عليّ باللائمة؟ صحون خاصة باللحم، صحون خاصة بالزبدة، كوشر** (الطعام الحلال)، **تريفا** (الطعام المُحرّم) **. بالتأكيد لقد حطمت أوان منزلية عند الآخرين، ولكنهم لم يجعلوا منها قصة أو رواية .**

مندل [يتوقف عن العزف] **تحطيم الأواني المنزلية شيء وانتهاك حرمة الدين شيء آخر. ألم تقولي لي عندما ألحقتك بالعمل بأنك قد عشت لدى عائلات يهودية أخرى؟**

كاثلين [بغضب] **والآن تريد أن تجعل مني كاذبة ؟ لقد عشت مع بائعي الأقمشة والمُقرضِين بالرهن وفناني المنوّعات، ولكنني لم أواجه أبداً بيتاً لا يمكن فيه للحم والزبدة أن يتعايشا بسلام على صحن واحد، مثل البيض وشريحة لحم الخنزير. وأقصى ما واجهته أن بعضهم لم يكن يأكل الشريحة إلا إذا كان الخنزير قد ذبح وفق الكوشر .**

مندل [مبتهجاً] **ها!، ها!، ها!**

كاثرين [مغتاظة، تتوقف عن مدّ غطاء المنضدة بالكامل] **على من تضحك؟ أعطيك إشعاراً بتركي العمل بعد أسبوع. فأنا لا أريد أن أكون أضحوكة لليهود، لا، قسماً لا أريد هذا** [تتابع مدّ الغطاء بعنف].

مندل [باتزان ينهض من البيانو] **هذا هراء كاثلين، لا أحد يضحك عليك. تحلي بقليل من الصبر.. قريباً ستتعلمين عاداتنا.**

كائلين [باعتدال أكبر] **عادات من؟ عاداتك أم عادات تلك السيدة المسنّة أو السيد ديفيد؟ الليلة ستبدأ لديك حرمة السَبتْ، ستطفىء شمعة غرفة النوم ولن تشعلها. السيد ديفيد سيشعل شمعته ثم يطفئها**

أيضاً، أما سيدة البيت فلن تلمس حتى الشمعدان. هناك ثلاثة أديان في هذا البيت وليس واحداً.

مندل [يسعل بصعوبة] **حسن ، تعلمي عادة سيدة البيت.. وهذا يكفي .**

كاثلين [متوجهة إلى الرف أعلى المصطلى] **ولكن ما الطريقة التي يمكنني بها فهم لغطها وهرائها؟.. فأنا لست قردة!** [تتناول من على الرف شمعداناً] **لم لا تتكلم الإنجليزية مثل المسيحيين؟**

مندل [مهتاجاً] **إذا ما استمريت على هذا المنوال، فربما من الأفضل ألا تبقي في هذا المنزل .**

كاثلين [تكاد تنفجر غضباً، ناسية تناول الشمعدان الثاني] **ومن يطلب البقاء هنا؟ في الواقع، سأغادر في هذه الدقيقة المباركة.**

مندل [مأخوذاً من المفاجأة] **لا ، لايمكنك أن تفعلي ذلك.**

كاثلين **ولمَ لا، بإمكانك الاحتفاظ بأجورك القذرة.** [تضع الشمعدان بعنف على المنضدة وتغادر في حالة هيستيرية إلى غرفة نومها]

مندل [متنهداً بعمق] **كان بإمكانها وضع الشمعدان الآخر.** [يذهب إلى الرف ويأخذ الشمعدان، يرنّ جرس البيت]

من ترى يكون القادم؟ [يسرع إلى غرفة كاثلين حاملاً معه الشمعدان من دون تفكير] **كاثلين! هناك زائر**

كاثلين [بغضب وهي داخل الغرفة] **أنا لست هنا!**

مندل **طالما أنت في هذا البيت فعليك القيام بواجباتك.** [يبرز رأس كاثلين من الباب مقطّبة]

كاثلين **لقد قلت لك إنّي مغادرة في الحال، إفتح الباب بنفسك.**

مندل **أنا لست مرتدياً ثياباً تسمح باستقبال الزائرين... لربما كان هو طالب موسيقى جديد.** [يتوجه إلى الدرج حاملاً معه الشمعدان دون تفكير ، يختفي من جهة اليسار]

كاثلين [متوجهة نحو باب المنزل] **فليأخذني الشيطان من هذا المكان إذا وطأت قدماي ثانية بيت أجانب همج.** [تفتح الباب بعنف وغضب ومن ثمّ الباب الثاني الخارجي. فيرا ريفندال، فتاة جميلة برداء وقفازات من الفرو، ولمسة من طراز مختلف . تخطو إلى داخل الرواق الصغير]

فيرا **هل السيد كيكزانو في المنزل؟**

كاثلين [مقطّبة] **أي منهما؟**

فيرا [متفاجئة] **هل هناك أثنان يحملان اسم السيد كيكزانو؟**

كاثلين [بحدّة] **ألم أقل نعم هناك اثنان؟**

فيرا **إذاً أريد العازف من بينهما.**

كاثلين **ليس هناك واحد يعزف.**

فيرا **آه، أأنت واثقة!**

كاثلين **أنت مخطئة تماماً، بل كلاهما يعزفان.**

فيرا [بابتسامة] **آه يا إلهي، وأفترض أن كليهما يعزفان على الكمان.**

كاثلين أنت **مخطئة ثانية. أحدهما يعزف على البيانو... فقط السيد الشاب يعزف على الكمان.. السيد ديفيد.**

فيرا [بلهفة] **آه السيد ديفيد، هو ذلك الذي أود رؤيته.**

كاثلين **إنه في الخارج** [تصفق الباب بشكل مفاجىء]

فيرا [تعيق إغلاق الباب] **لا تغلقي الباب!**

كاثلين [بنزاقة] **فرصُ رؤيته في الخارج أكثر منها هنا في الداخل.**

فيرا **ولكني أريد أن أترك له رسالة.**

كاثلين **إذاً، لم لا تدخلين؟ عظامي تكاد تتجمد من البرد** [تعطس].

فيرا **أنا آسفة** [تدخل وتغلق الباب من خلفها] **هل تسمحين بإبلاغه أن الآنسة ريفندال قد اتصلت من الضاحية**

السكنية، وأننا ننتظر بلهفة ردّه على الرسالة التي نطلب فيها منه أن يعزف لنا في...

كاثلين **بأية طريقة سأقول له كل هذا ؟ فأنا لست هنا.**

فيرا **ماذا؟**

كاثلين **أنا مغادرة.. حالما أنتهي من توضيب حقيبتي.**

فيرا **في هذه الحالة يجب.. أن أكتب.. له رسالة ــ هل بإمكاني كتابتها على هذا المكتب؟**

كاثلين **شريطة أن لا تأتي السيدة المُسنّة إلى هنا وتتجسس عليك.**

فيرا **أي امرأة مُسنّة؟**

كاثلين **جدة السيد كيكزانو ــ إنها تضع شعراً مستعاراً أسود** (الشايتل اليهودي) ، **إنها متدينة إلى حدّ كبير.**

فيرا [مذهولة] **ولكن لِمَ تمانع كتابتي رسالة؟**

كاثلين **انظري إلى الساعة** [تنظر فيرا إلى الساعة وهي مرتبكة إلى أبعد الحدود] **إن لم تسرعي فسيحل يوم شابُس** (السبت باليديشية).

فيرا **يحلّ ماذا؟**

كاثلين [رافعة يديها باشمئزاز] **لا تعرفين ما هو الشابُس! يهودية لا تعرف يوم أحدِها !** (عطلتها الأسبوعية)

فيرا [بحنق] **أنا يهودية! كيف تجرؤين؟**

كاثلين [بارتباك] **أطلب منك المعذرة ، آنسة ، ولكنك تبدين أجنبية قليلاً ، وأنا...**

فيرا [بجمود] **أنا روسية** [ببطء وشبه ذهول] **هل أفهم منك أن السيد كيكزانو يهودي؟**

كاثلين **يهوديان، يا آنسة، كلاهما.**

فيرا آه، **ولكن هذا مستحيل** [تغمغم شبه خدّرة] **فقد كانت لديه تصرفات جذابة** [وبصوت مسموع ثانية] **يبدو أنك يبدو أنك تظنين الجميع يهوداً .هل أنت متأكدة أن السيد كيكزانو ليس اسبانياً ؟... فالإسم يوحي بالإسبانية.**

كاثلين **اسباني!** [تتناول المجلد العبري القديم من على الكرسي] **أنظري إلى مُجلد السيدة المسنّة. هل هو بالإسبانية؟** [تشير إلى المزراخ] **وتلك الصورة المقدسة التي تقول عنها السيدة المسنّة بأنها "أبانا الذي في السماوات" الخاصة بها، هل هي اسبانية؟ وغطاء المنضدة المقدس مع الشمعدان الفضي المقدس...** [تصرخ بذهول مفاجىء] **لقد وضعت فقط...** [تنظر إلى الرف فوق المصطلى ثمّ تطلق صرخة انزعاج وهي تسقط

المجلد العبري على الأرض] **لماذا، أين الشمعدان الآخر! يا** أمنا **في السماء سيقولون إنّي سرقت الشمعدان!** [تدرك أن فيرا تتوجه شبه مخدرة نحو الباب الخارجي للمنزل] **استسمحك العذر يا آنسة....**

[تقترب لوضع كرسي أمام المكتب]

فيرا **شكراً لك، لقد غيّرت رأيي.**

كاثلين **هذا أكثر مما كنت لأفعله أنا.**

فيرا [واضعة يدها على الباب] **لا تقولي إطلاقاً إنّي قد أتيت.**

كاثلين **كما تشائين، هل تذكّريني باسمك!** [يدخل مندل من غرفة نومه مسرعاً ومبدلاً هيئته بالكامل ؛ فقد نزع قلنسوته السوداء وارتدى معطفاً على طراز الأمير ألبرت وجزمة بدلاً من نعله المنزلي بحيث بدا مظهره أكثر نبلاً . بدأت كاثلين تبحث بهدوء وسريّة في دروج المنضدة والخزانة عن الشمعدان الضائع]

مندل **آسف إذ تركتك تنتظرين..** [يفرك يديه لإضفاء الأهمية] **لعلمك لديّ الآن الكثير من الطلاب، هلاّ تفضلت بالجلوس؟** [مشيراً إلى كرسي].

فيرا [خجلة ومحرجة، ترفع يدها عن قبضة الباب] **شكراً، أنا.. أنا.. أنا لم آت من أجل دروس البيانو.**

مندل [متنهداً من خيبة الأمل] **أوه!**

فيرا **في الحقيقة أنا.. أنا .. لم تكونوا أنتم ما أردته إطلاقاً.. لقد كنت في صدد المغادرة .**

مندل [بتهذيب] **لربما يمكنني إرشادك إلى البيت الذي تقصدين.**

فيرا **شكراً، لا أود إزعاجك** [تتوجه إلى الباب الخارجي ثانية]

مندل **اسمحي لي!** [يفتح لها الباب]

فيرا [مترددة ومتأثرة بتصرفه هذا، يتنازع في داخلها تحاملها المسبق المعاد لليهود] **لقد .. لقد كان ابنك من أردت.**

مندل [وجهه يشرق من جديد] **تعنين ابن أخي، ديفيد. نعم، إنه يعطي دروساً في الكمان** [يغلق الباب]

فيرا **آه، هل هو ابن أخيك؟**

مندل **أنا آسف، فهو في الخارج.. ولديه أيضاً الكثير من الطلاب، ومع ذلك، فهو الآن في دار للأطفال المعاقين ليعزف لهم.**

فيرا **لكم هذا رائع!** [متأثرة بذلك ومقرّرة التغلب على تحاملها المُسبق] **في الواقع هذا ما جئت تماماً من أجله... وأعني أننا نرغب أن يعزف ثانية في ضاحيتنا السكنية. أرجو أن تسأله عن سبب عدم رده على رسالة الآنسة أندروز.**

مندل [متعجباً] **ألم يردّ على رسالتك ؟**

فيرا **أوه، أنا لست الآنسة أندروز، أنا فقط مساعدتها.**

مندل **فهمت.. كاثلين، ما الذي تفعلينه تحت المنضدة؟** [خلال تفتيشها في أرجاء المكان عن الشمعدان، تنحني الآن وترفع غطاء المنضدة]

كاثلين **أكيد أن الروح الشيطانية هي وراء اختفاء الشمعدان.**

مندل [محرجاً] **الشمعدان؟ آه.. أنا... أنا، أظن أنك ستجديه في غرفة نومي.**

كاثلين **سيدتنا العذراء، الآن!** [تذهب إلى غرفة نومه]

مندل [يلتفت إلى فيرا معتذراً] **أطلب المعذرة، الآنسة أندروز، أعني الآنسة.. أر..**

فيرا **ريفندال**

مندل [باهتمام أكبر بقليل] **ريفندال؟ إذا يجب أن تكوني الآنسة ريفندال التي حدثني عنها ديفيد!**

فيرا [بارتباك] **لماذا، لقد رآني فقط لمرة واحدة عندما عزف في الحفلة الموسيقة التي أقيمت في حديقتنا على سطح المنزل.**

مندل **نعم، لقد كان متأثراً جداً بالطريقة التي تعاملت بها مع أولئك المهاجرين الجدد... فقد أطلق عليك لقب "روح الضاحية السكنية".**

فيرا [بتواضع] **آه، لا.. هي الآنسة أندروز. لا بد أن تبلّغه أن يردّ على رسالتها فوراً، أليس كذلك؟ فقد بقي أسبوع فقط على حفلتنا الموسيقية.** [تهب عصفة ريح تهتز معها النوافذ، فيرا تبتسم] **وبالطبع، لن تكون الحفلة على حديقة السطح.**

مندل [يغمغم كمن يتحدث إلى نفسه] **غريب أمر ديفيد، لم يتلفظ بكلمة لي عن الحفلة! هل أنتِ متأكدة أن الرسالة قد أرسلت بالبريد؟**

فيرا **لقد وضعتها بنفسي في الصندوق.. منذ أسبوع، وحتى من نيويورك...** [تبتسم، تعود كاثلين مع الشمعدان المُستردّ]

كاثلين **بحق الإله، أنتَ أكبر مَشّاءٍ في نومه كما هو السيد ديفيد!** [تضع الشمعدان على المنضدة وتتجه نحو غرفة نومها]

مندل **كاثلين!**

كاثلين [تتابع سيرها بدون التفات] **أنا لست هنا!**

مندل **هل استلمت رسالة باسم السيد ديفيد حوالي الأسبوع الفائت؟** [مبتسماً للآنسة ريفندال] **لعلمِكِ، هو يتلقى العديد من الرسائل.**

كاثلين [عائدة] **رسالة؟ أكيد ، استلمت فقط بطاقة بريدية من الآنسة جونسون، وتلك فقط تقول...**

فيرا **ألا تذكرين مظروفاً - كبيراً - السبت الفائت.. يحمل ختم ضاحيتنا السكنية؟**

كاثلين **السبت الفائت ويحمل ختماً؟ بالتأكيد، كيف تسنى لي نسيانه؟**

مندل **إذا فقد استلمته؟**

كاثلين **أنت مخطىء كلياً، لقد استلمته سيدة المنزل.**

مندل [لفيرا] **أنا آسف لأن الشاب تعوزه اللباقة بعدم رده.**

كاثلين **ولكن سيدة المنزل لم تعطه الرسالة حالاً... فقد خبأتها لأنه كان يوم شابُس** (السبت)

مندل **آه، يالهي.. لقد نسيتْ أن تعطيها له. اعذريني** [يخرج مسرعاً إلى المطبخ]

كاثلين **واعذريني أيضاً، فعليّ توضيب حقائبي** [تذهب باتجاه غرفة نومها، وتتوقف عند بابه] **وستكونين شاهدة أنني لم آخذ معي الشمعدان** [تخرج بحماس]

فيرا [لا تزال مذهولة] **يهودي! ذاك الشاب الرائع يهودي!.. ولكن ألم يكن هكذا داوود ، ذلك الراعي الشاب**

بقيثارته ومزاميره ، ذلك المنشد اللطيف في إسرائيل؟
[تفحص فيرا الغرفة ومحتوياتها باهتمام. تهتز النوافذ مرة أو مرتين مع اشتداد الريح . يخفت الضوء تدريجياً . تلتقط المجلد العبري من على البيانو ثم تضعه ثانية وهي تبتسم ابتسامة خفيفة كما لوأثقلها وزن ذلك المجلد الأثري الغريب . ومن ثمّ تذهب إلى المكتب وتلتقط النوطة الموسيقية] **كونشيرتو لمندلسون، سوناتا ج ماينور لتارتيني، تشاكونّ لباخ.** [تنظر إلى رفّ الكتب] **" تاريخ الكومونولث الأمريكي "، " دائرة معارف التاريخ "، " تاريخ اليهود ".. يبدو أنه مغرم جداً بالتاريخ** . آه، **هناك شيلّي وتنّيسون** [بدهشة] **نيتشه إلى جانب التوراة؟ لا كتب روسية على ما يبدو..**[يعود مندل منتصراً ومعه مظروف كبير مختوم]

مندل **ها هو، لقد وصل يوم السبت، ولكن أمي خافت أن يفتحه ديفيد.**

فيرا [مبتسمة] **ولكن ماذا يمكنك أن تفعل برسالة غير أن تفتحها؟ تماماً كما تفتح المحار؟**

مندل [مبتسماً وهو يضع المظروف على مكتب ديفيد] **بالنسبة ليهودي وَرِع، الرسائل والأصداف محرَمة على قدم**

المساواة ـ على الأقل ، فمظاريف الرسائل لا يجوز فتحها في يوم الراحة الخاص بنا .

فيرا **بالنسبة لي، أنا متأكدة أنه لن يهدأ لي بال حتى أقرأ الرسالة.** [تدخل من المطبخ السيدة كيكزانو وتدافع عن نفسها بإيماءات مثيرة. سيدة عجوز تضع شعراً مستعاراً أسود اللون، إلا أن مظهرها مهيب وحتى موقر، وليس مضحكاً بأي حال. تتكلم حصراً اللغة اليديشية، وهي اللغة السائدة في حدود المُستوطنة الروسية] (حيث كان يعيش حوالي ستة ملايين يهودي قبل بدء هجرتهم الكبرى من روسيا في أواخر القرن التاسع عشر).

فراو كيكزانو (تتحدث باليديشية) **ولكنني قلت لكاثلين....**

مندل [يلتفت ويتوجه إليها] نعم، نعم أمي، **لابأس الآن** .

فراو كيكزانو [بفزع، وهي تلاحظ المجلد العبري على الأرض، حيث أوقعته كاثلين] **كتابي!** [ترفعه عن الأرض وتقبله بورع]

مندل [يجذب أمه إلى الكرسي بجانب المُصطلى، يخاطبها باليديشية] **اهدأي، اهدأي يا أمي!** [مخاطباً فيرا] **إنها**

بالكاد تفهم كلمة واحدة بالإنجليزية.. ولذا لن تعكّر صفو حديثنا .

فيرا آه، **ولكن يتوجب علي الرحيل.. لقد قضيت وقتاً طويلاً في الاهتداء إلى البيت، انظر لقد بدأت تثلج!** [يلتفتان سوية وينظران إلى الثلج المتساقط]

مندل **وهذا سبب كاف لانتظار ديفيد.. لربما غادر عائداً. لايمكن أن يتأخر أكثر. فلتجلسي** [يقدم لها كرسياً]

فراو كيكزانو [تتلفت حولها بريبة] **ماذا تريد هذه الشيكسِه؟** (تعبير مُهين باليديشية في وصف المرأة المسيحية)

فيرا **ماذا قالت أمك؟**

مندل [بابتسامة خفيفة] آه، **إنها تسأل ما هي رغبة الليدي غير اليهودية .**

فيرا **قل لها إنني آمل أن تكون بخير .**

مندل (يشرح لأمه باليديشية) **تتمنى الآنسة أن تكوني بخير...**

فراو كيكزانو [تهز كتفيها بلا مبالاة وبتعجب يائس] **بخير؟ من أين سيأتي الخير.. في أمريكا!** [تأخذ نظارتها وتبدأ بمسحها وضبطها على مهل]

فيرا [مبتسمة] **لقد فهمت آخر كلمة.**

مندل **إنها تسأل كيف يمكن أن يكون أي شيء بخير في أمريكا!**

فيرا **آه ، إنها لاتحب أمريكا .**

مندل [بابتسامة خفيفة]**هتافها المفضّل'أكلوغ تسوكولومبيسّن**

فيرا **وماذا يعني ذلك؟**

مندل **اللعنة على كولومبوس!**

فيرا [ضاحكة] **المسكين كولومبوس! أعتقد أنها قدِمَت مؤخراً إلى أمريكا .**

مندل **آه، لا، لقد مضت عشرة سنوات منذ أن استدعيتها إلى هنا.**

فيرا **حقاً ! هل وُلِد ابن أخيك هنا؟**

مندل **لا، فهو روسي أيضاً. ولكن اجلسي رجاءً ، فالأفضل أن تستمعي إلى إجاباته حالاً** [تجلس فيرا]

فيرا **أعتقد أنكَ قد علمته الموسيقى.**

مندل **أنا؟ لا أستطيع العزف على الكمان. إنه علّم ذاته بذاته. لقد كان في المستوطنة** (اليهودية) **الروسية الولد - المعجزة . المسكين ديفيد! كان يتطلع دوماً للقدوم إلى أمريكا؛ وكان يتخيّل أني موسيقي شهير هنا . لقد**

وجدني مجرد قائد فرقة موسيقية في مسرح رخيص - حانة للبيرة حوّلت إلى مسرح .

فيرا **هل خاب ظنه ؟**

مندل **خاب ظنه؟ كان مفتتناً ، إنه مجنون بأمريكا.**

فيرا [مبتسمة] **آه، فهو لا يلعن كولومبوس.**

مندل **لقد جاءت أمي بعد أن وضعت حياتها خلفها. أما ديفيد فحياته أمامه. الشاب المسكين!**

فيرا **لِمَ تقول الشاب المسكين؟**

مندل **أليس ما ينتظره هنا ليس سوى صراع مرير من أجل البقاء؟ إذا لم يلعن كولومبس فسوف يلعن القدر. دروس الموسيقى، صالات الرقص، حانات البيرة وصالات الزفاف.. كل الآمال والطموحات ستتلاشى في داخله، ولسوف يموت مغموراً ومجهولاً.** [يطرق برأسه إلى أسفل. يُسمَع نحيب السيدة كيكزانو الخافت على مجلدها. يستمر هذا النحيب حتى نهاية المشهد]

فيرا [على وشك النهوض] **لقد تسببت في بكاء أمك.**

مندل **آه، لا.. فهي لم تفهم شيئاً. فهي تبكي دوماً عشية دخول السَبّث** (السبت) .

فيرا [مشوشة، تغطس ثانية في كرسيها] **تبكي دوماً؟، لمَ؟**

مندل [مُحرجاً] آه، **حسن، فالمسيحي لا يمكنه فهم...**

فيرا **نعم بإمكاني.. قل لي!**

مندل **إنها تعرف أن في هذه المطحنة الكبيرة، أمريكا، يتوجب على ديفيد وعليّ الذهاب لكسب قوتنا يوم السَبَث كما في أيام العمل الأسبوعية. لم تقل لنا يوماً كلمة بهذا الشأن، ولكن قلبها ممتلىء بالدموع.**

فيرا **العجوز المسكينة. لقد أخطأنا بالطلب إلى ابن أخيك أن يعزف في الضاحية بلا مقابل.**

مندل [ينهض بعنف] **لو عرضتِ عليه أجراً، فلن يعزف. هل ظننت أنني كنت أستجدي منك؟**

فيرا **أرجو المعذرة...** [تبتسم] **ها أنا أتوسل إليك أن تجلس رجاءً.**

مندل [يسير نحو البيانو] **لم يكن علي أن أثقل عليكِ بمتاعبنا.. فأنت صغيرة السن.**

فيرا [بشجن] **أنا صغيرة؟، لو علمت كم هو عمري!**

مندل **أنتِ؟**

فيرا **لقد تركتُ صباي في روسيا.. منذ أزل بعيد.**

مندل **أوَ تعرفينَ روسيا خاصتنا ؟** [يذهب باتجاهها ويجلس]

فيرا **ألا ترى أنني روسية أيضاً ؟**

مندل **لقد كنتِ ثورية!**

فيرا **من يملك العيش في روسيا دون أن يكون ثورياً؟ وكما ترى فأنا والمتاعب لسنا غرباء إلى هذا الحدّ .**

مندل **من كان يظنّ ذلك بمجرد النظر إليك ؟ سيبيريا ، سجّانون، ثورات!** [ينهض] **لكم من أمور مزعجة تحملها الحياة في طياتها!**

فيرا **وحتى في أمريكا الحرة.** [نحيب السيدة كيكزانو يعلو قليلاً]

مندل **لا بد أن العمل في الضاحية السكنية مليء بالمآسي.**

فيرا **أحياناً لا يرى المرء شيئاً سوى مآسي الأشياء** [تنظر نحو النافذة] **الثلج يزداد سماكة. لكم هو يتساقط بلا شفقة.. مثل القدر.**

مندل [وهو يتابع أنظارها] **نعم جليدي و لا يرحم** [نحيب السيدة كيكزانو الخافت والمنحنية على مجلدها، والذي كان يُسمع طوال هذا المشهد كمرافقة موسيقية، شكّل جواً من الحزن الشديد، يعمقه تزايد عتمة الغسق، وهكذا مع تطّلع الإثنين إلى الثلج المتساقط، بدا الجو مشحوناً

بالانقباض والشجن . تمر بضع دقائق ينقطع فيها الحوار مما يعطي المجال لسماع نحيب السيدة كيكزانو، وعويل الريح التي تهزّ النوافذ، والتساقط السريع للثلج. فجأة يعلو صوت سعيد بأنشودة "وطني لأجلك.." يسمع من الخارج].

فراو كيكزانو [تصغي بانتباه وبسعادة غامرة] **دوفيدِل هنا!**

مندل **ذلك هو ديفيد** [يثبُ واقفاً]

فيرا [تدمدم بارتياح] **آه.** [يتغير الجو العام إلى بهجة متوقعة. يُرى ويُسمع ديفيد وهو يمر أمام النافذة اليسرى، وهو لا يزال ينشد النشيد الوطني ولكنه يتوقف فجاة مع فتحه الباب وظهوره على عتبته، شخصية مرحة مغطاة بالثلج، في معطف وقبعة عريضة الحواف، حاملاً حافظة للكمان. شاب مشرق جميل الطلعة و أنموذج للروسي - اليهودي النبيل . يتكلم بلغة تشوبها لهجة ألمانية خفيفة]

ديفيد **أليس عالماً رائعاً ، يا عمي ؟** [يغلق الباب الداخلي] **الثلج، الثلج الرائع...** [يلاحظ وجود الزائرة باندهاش] **الآنسة ريفندال هنا!** [يرفع قبعته وينظر إليها باحترام طفولي وتعجّب]

فيرا [مبتسمة] **لا تنظر مندهشاً هكذا.. فأنا لم أسقط، مثل الثلج، من السماء. اخلع حوائجك الندية.**

ديفيد آه، **إنه لا شيء، إنه ثلج جاف** [يضع حافظة الكمان جانباً وينفض الثلج عن معطفه الذي يتناوله منه مندل ويعلقه على المشجب، كل ذلك من دون أن يقطع مجريات الحديث] **لو قدّر لي أن أعرف أنك كنت تنتظرين....**

فيرا **كم أنا سعيدة أنك لم تعرف.. إذ ما كنت أرغب بحرمان أولئك المعاقين الصغار المساكين للحظة من موسيقاك.**

ديفيد **لقد أخبركِ عمي؟ آه، لقد كان جيداً! كان عليك أن تري المعاقين وهم يرقصون الفالس بعكازاتهم!** [يتحرك باتجاه المرأة المُسنة، واضعاً إحدى يديه بالقرب من نار المصطلى فيما تربت يده الأخرى على خدّها بالتحيّة، والتي قابلتها بابتسامة حبّ قبل أن تسكن برضا في سبات فوق مجلّدها] (ومن ثمَ بالألمانية والإنجليزية على التوالي) **لقد كان رائعاً، يا جدتي، حتى المعاقين رقصوا.**

مندل **ديفيد، لا تبالغ !**

ديفيد **أبالغ يا عمي؟ لِمَ، عندما لم يمكنهم استخدام أقدامهم، رقصت أيديهم على اللحاف؛ وإن لم تتمكن سواعدهم**

من الرقص، رقصت أيديهم من المعاصم؛ وإن لم تتمكن أيديهم من الرقص، رقصوا بأصابعهم؛ وإذا لم تتمكن أصابعهم من الرقص، رقصت رؤوسهم؛ وإن كانت رؤوسهم مشلولة، لِمَ، رقصت عيونهم... فالله يبلي ويعين، و يبقي ما يمكن أن ترقص به! [يتّجه نحو مكتبه]

فيرا [وكأنها مصابة بعدوى ابتهاجه] **ستقول لنا بعد ذلك إن الأسِرّة ترقص.**

ديفيد **هذا ما فعلته.. كانت تهزّ قوائمها كالمجانين!**

فيرا آه، **لِمَ لم أكن هناك؟** [تلتقي عيناه بعينيها لفكرة تواجدها]

ديفيد **المعاقون الأحبة الصغار، لقد شعرت وكأن بإمكاتي العزف لهم ثانية بلا توقف مع ذلك الحب والحبور اللذين ينبعان من هذا الكمان العتيق** [يضع يده بحنان على الكمان]

مندل [بكآبة] **لكنك في الواقع تركتهم مُحدَودبين، في نفس اعوجاجهم الذي كانوا عليه.**

ديفيد **لا لم أفعل** [يربت على مؤخرة رأس خاله كمن يوبخه بحنان] **لم يكن بمقدوري تقويم عظامهم ولكنني قوّمت أدمغتهم. فالأدمغة الحدباء أسوأ من الأظهُر الحدباء**

[فجأة يلاحظ المظروف على المكتب] **رسالة لي؟**
[يأخذها برغبة طفولية ويتردد في فتحها]

فيرا [مبتسمة] **أوه، بإمكانك فتحها!**

ديفيد [بتوق] **أمسموح لي؟**

فيرا [مبتسمة] **نعم، وبسرعة... وإلاّ سيحل يوم الشابُس** (السبت باليديشية)**!** [ينظر ديفيد إليها بتعجب]

مندل [مبتسماً] **اقرأ رسالتك!**

ديفيد [يفتح الرسالة بتلهف، ثمّ يبتسم برحابة وابتهاج] **آه، الآنسة ريفندال! أليس ذلك رائعاً! أن أعزف ثانية في ضاحيتكم السكنية، لقد أضحيت مشهوراً.**

فيرا **ولكن يتعذر علينا أن نجزيك أجراً.**

مندل [بسرعة وبما يشبه الهمس لفيرا] **شكراً لك!**

ديفيد **أجر! أتمنى أن أدفع أجراً لأرى أولئك المهاجرين السعداء الذين تُقاربون فيما بينهم.. هولنديين، يونانيين، بولنديين و نرويجيين، ويلزيين وأرمن. ولو جمعتم اليهود فقط، لغدا الأمر كمن يذهب إلى جزيرة إليس.** (مرفأ دخول تجمعات المهاجرين الجُدد في نيويورك) .

فيرا **يا للذوق الغريب! من بحق الشيطان يودّ الذهاب إلى جزيرة إليس؟**

ديفيد **آوه، أحب الذهاب إليها لمشاهدة السفن الآتية من أوروبا، والتفكير بأن كل أولئك الهائمين المرهقين الذين تتقاذفهم الأمواج، يشعرون بما شعرت به أنا عندما بسطت أمريكا لأول مرة يديها الحنونتين لي!**

فيرا [برقَة] **هل كنت في غاية السعادة؟**

ديفيد **كانت هي الجنة. عليك أن تتذكري أنني طوال حياتي كنت أسمع عن أمريكا.. كل واحد في بلدتنا كان لديه صديق هناك أو يتهيأ للذهاب إلى هناك أو يتلقى حوالة مالية من هناك. فأولى الألعاب التي مارستها في صغري، كانت بيع أثاث لعبي الصغيرة ومن ثمّ الرحيل إلى أمريكا. طيلة حياتي كانت أمريكا تنتظر، تومىء، تومض.. المكان الذي يمسح فيه الإله الدموع من على جميع الوجوه.** [ينهي كلامه بما يقرب من البكاء]

مندل [ينهض، كما لو أنه مُروّع] **الآن، حالاً، ديفيد دَعّ عنك هذا الهيجان!** [يقترب منه]

ديفيد **إن مجرد التفكير بأن مشعل الحرية نفسه الذي ألقى بضوئه، عبر جميع المحيطات و البلدان، على عُليّتي الصغيرة في روسيا، يشعّ أيضاً من اجل أولئك**

الملايين الآخرين المنتحبين في أوروبا، يشعّ حيثما يجوع الناس و يُضطهدون..

مندل [مهدئاً] **نعم، نعم، ديفيد** [واضعاً يده على كتف ديفيد] **والأن اجلس و...**

ديفيد [من دون مبالاة] **يشعّ على القرى الجائعة في إيطاليا وإيرلندا وعلى المدن المتداعية في بولندا وغاليسيا وفي المزارع المدمرة في رومانيا وفوق المجازر الروسية..**

مندل [مناشداً] **ديفيد!**

ديفيد **أه، آنسة ريفندال، عندما أنظر إلى تمثال الحرية، فكأنني أسمع صوت أمريكا يصيح: "تعالوا إليّ جميعاً أيها الكادحون والمثقلون وسأمنحكم الطمأنينة.. والسَكينة..."** [شبه منتحِب]

مندل **لا تتكلم أكثر من ذلك.. أنت تعلم أن ذلك ضارّ بك.**

ديفيد **ولكن الآنسة ريفندال سألت.. وأردت أن أشرح لها ما تعنيه أمريكا بالنسبة لي.**

مندل **يمكنك أن تشرح ذلك في سيمفونيتك الأمريكية** [فيرا بلهفة.. إلى ديفيد] **أنت تؤلّف؟**

ديفيد [محرجاً] آه، **يا عمي، لم تكلمت عن ذلك..؟ فعمي دوماً.. ما أؤلفه من موسيقى واهن ويفتقر إلى القوة. وعندما أؤلف سيمفونيتي الأمريكية يبدو الأمر كصاعقة تسقط في غابة تملؤها أغاني الطيور. ولكن في اليوم التالي.. آه، في اليوم التالي!** [يضحك بتعاسة ويدير ظهره مبتعداً]

فيرا **إذا فموسيقاك تستمد إيحاءاتها من أمريكا؟**

ديفيد **نعم.. من غليان البوتقة.**

فيرا **البوتقة؟ إنني لم أفهم!**

ديفيد **لم تفهمي! أنتِ يا روح الضاحية السكنية!** [ينهض ويقترب منها، مستنداً إلى المنضدة في مواجهتها] **لم تفهمي أن أمريكا هي بوتقة الإله، بوتقة الصهر الهائلة حيث تنصهر فيها جميع أعراق أوروبا ومن ثمّ يعاد تشكيلها! هنا تقفون، أيها القوم الطيبون، عندما أراهم في جزيرة إليس، هنا تقفون** [يوضّح ذلك تمثيلياً فوق المنضدة] **في خمسين مجموعة؛ في لغاتكم وتاريخكم الخمسين، وفي كراهيتكم العرقية وتنافسكم الخمسين . ولكنكم لن تستمروا طويلاً على هذا المنوال أيها الأخوة، فقد أتيتم إلى نيران الله.. هذه نيران الله.**

صورة لضغائنكم وصراعاتكم! ألمان، فرنسيون، إيرلنديون وإنجليز، يهود وروس.. ستحشرون في البوتقة جميعاً! الله يصنع الأمريكي .

مندل كنت أعتقد أن الأمريكي قد تم صنعه منذ حين.. ثمانين مليوناً منه.

ديفيد ثمانين مليوناً! [ينظر إلى فيرا مبتسماً بدعابة ساخرة] **ثمانين مليوناً! في قارة! انظر إلى بريطانيا في قوقعتها، لديها أربعون مليوناً. لا ياعمي! الأمريكي الحقيقي لم يأت بعد . إنه فقط في البوتقة، دعني أقول لك... سيكون هو صُهارة جميع الأعراق، ولربما الرجل الخارق المقبل. آه، كم ستكون خاتمة مجيدة من أجل سيمفونيتي.. لو تمكّنت فقط من كتابتها.**

فيرا ولكنك كتبت بعضاً منها الآن! ألا يمكنني أن أراها؟

ديفيد [يعاوده خجل طفولي] **لا، رجاءً لا تطلبي ذلك....** [يتحرك باتجاه مكتبه ويغلقه بعصبية مديراً مفاتيح الأدراج كما لو أنه يريد أن يحمي مخطوطته].

فيرا ألن تقدم مقطعاً منها في حفلتنا الموسيقية؟

ديفيد آه، الأمر يتطلب أوركسترا

فيرا أنت على الكمان وأنا على البيانو...

مندل **لم تقولي لي أنك تعزفين، آنسة ريفندال.**

فيرا **أخبرتك بأمور أقل من عادية.**

ديفيد **الآنسة ريفندال تعزف مثل المحترفين.**

فيرا [مبتسمة] **لا أشعر بالإطراء كما تتوقّع . ولعلمك فقد تلقيت تدريباً محترفاً.**

مندل [مبتسماً] **وأنا الذي ظننت أنك جئتني من أجل دروس موسيقية** [ديفيد يضحك] .

فيرا [مبتسمة] **لا، ذهبت إلى بطرسبورغ..**

ديفيد [شبه خدِر] **إلى بطرسبورغ...؟**

فيرا [مبتسمة] **بالطبع ، إلى الكونسرفاتوار. لم يكن هناك الكثير من الموسيقى التي يمكن تعلّمها في كيشينيف، المدينة التي...**

ديفيد **كيشينيف!** [بدأ ديفيد بالارتجاف]

فيرا [لا تزال مبتسمة] **إنها مسقط رأسي.**

مندل [يقترب من ديفيد بوضعية الحماية]**هدّىء نفسك، ديفيد.**

ديفيد **نعم، نعم.. إذا أنت روسية!** [يرتعد بعنف، يترنّح].

فيرا [مصدومة] **أأنت مريض؟**

ديفيد **لا شيء، أنا... ليس هناك الكثير من الموسيقى في كيشينيف! لا، هناك فقط مسيرة - الموت!. أمي! أبي! آه.. الجبناء، القتلة!. وأنتِ!** [يلوّح بقيضته في الهواء] **أنت تنظرين إلى ذلك بعينيكِ، بعينين باردتين كعيني جزار! يا إلهي! يا إلهي!** [ينفجر في نحيب هيستيري ويركض، خجلاً، من خلال الباب إلى غرفته]

فيرا [بضراوة] **ماالذي قلتُه؟ ما الذي فعلتُه؟**

مندل **أوه، هذا ما كنت أخشاه، هذا ما كنت أخشاه.**

فراو كيكزانو [التي كانت نائمة ورأسها فوق كتابها، تستيقظ وكأن لديها إحساس بالرعب، تحدق حولها شبه خدرة، بما يضيف إثارة على تلك اللحظة] (باليديشية) **دوفيدل! أين دوفيدل! يبدو لي...**

مندل [يدفعها إلى معاودة النوم] (باليديشية) **أنت تحلمين يا أمي! نامي!** [تعود إلى النوم ثانية]

فيرا [تهمس بصوت أجش] **هل تمّ التنكيل بأبيه وأمه؟**

مندل [بصوت مشابه] **نعم، أمام ناظِرَيه.. الأب، الأم، الأخت وصولاً إلى أصغر رضيع هُشّمت جمجمته تحت أقدام السفاحين.**

فيرا **ولكن، كيف هرب هو؟**

مندل **لقد أصيب بطلق في كتفه وسقط فاقد الوعي. ولأنه لم يكن فتاة، فقد حسبه السفاحون ميتاً وتابعوا سيرهم ليجدوا تسلية جديدة في مكان آخر.**

فيرا **هذا رهيب! رهيب!** [وهي تغالب دموعها]

مندل [يهز كتفيه، يائساً] **في نهاية المطاف هذا هو تاريخ اليهود!... فديفيد ينتمي إلى يتامى البوغروم** (المذابح)**... الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة على ظهر كل سفينة تقريباً.**

فيرا **المسكين! المسكين ! ، ومع ذلك كان يبدو سعيداً جداً!** [شبه باكية] .

مندل **هكذا هو، في معظم الأوقات.. شعاع من الشمس اتخذ هيئة إنسان عند ولادته. ومن الطبيعي أن يترك ذلك المشهد الفظيع ندبة في دماغه، كما تركت الرصاصة ندبة في كتفه. فهو معرّض دوماً للاهتياج عندما يذكر اسم كيشينيف.**

فيرا **لن أذكر له إطلاقاً اسم مسقط رأسي البائس ثانية**

مندل **ولكن كما تعلمين، في كل بضعة أشهر تنقل لنا الجرائد قصصاً عن بوغروم جديد ، وهكذا يبدأ بالصراخ على ما يطلق عليه ' وجه الجزار' ، وهكذا أبدأ أنا بالرجفان**

بسببه. أرتجف حتى عندما أراه يؤلف تلك الموسيقى المجنونة عن أمريكا، والتي تعني فقط أنه يتفكّر في الفارق بين أمريكا وروسيا .

فيرا **ولربما.... ربما ستتلاشى كل هذه الذكريات الرهيبة بسلام من خلال موسيقاه.**

مندل **ستكون هناك ندبة دائمة وُشمت على كتفه.. تمنعه من النسيان. وعندما يخزه الجرح، سيستحضر معه تلك الوجوه والرؤى المرعبة.**

فيرا **وهل الجرح في كتفه اليمنى؟**

مندل **لا.. بل في الأيسر، الأمر أسوأ لعازف كمان.**

فيرا **آه، طبعاً.. ثقل الكمان وحركة الأصابع** [بعفوية، تقلّد حركة عازف لكمان وهمية]

مندل **ولهذا أخشى على مستقبله.. إذ لن يكون أبداً قوياً بما فيه الكفاية ليبْرَع في أداء يتطلّبه جمهور المستمعين.**

فيرا **هؤلاء الوحوش الضواري! لكم أشعر بالخجل من بلادي أكثر من أي وقت مضى. ولكن هناك سيمفونيته.**

مندل **من سيتطلّع إلى سيمفونية هاوٍ، تعوزها الخبرة والنضج؟ فهو يعرف القليل عن التناغم وانسجام الألحان.. وهو**

يضرب عرضاً بكل القواعد الموسيقية. حاولت أن أعطيه بعض الاقتراحات.. ولكن كان عليه الذهاب إلى ألمانيا..

فيرا **ربما لم يفت الوقت لذلك.**

مندل [بحماس] **آه، لو بإمكانك وأصدقاؤك مساعدته! كما ترين.. أجدني أستجدي في نهاية المطاف، وإن كان الاستجداء الآن ليس من أجلي.**

فيرا **إن أبي يحب الموسيقى، ولربما بإمكانه... ولكن لا! فهو يعيش في كيشينيف. ولكن دعني أفكّر.. لديّ اشخاص هنا.. سأكتب لك.**

مندل [بحماس] **شكراً لك! شكراً لك!**

فيرا **عليّ أن أذهب الآن. وداعاً. قُل له أنني أعتمد عليه من أجل الحفلة الموسيقية.**

مندل **لكم أنت طيبة!** [يتبعها باتجاه باب البيت]

فيرا [عند الباب] **بلّغ تحياتي لوالدتك... فهي تبدو نائمة.**

مندل [يفتح الباب الخارجي] **أنا آسف، فالدنيا تثلج.**

فيرا **نحن الروس معتادون على ذلك** [مبتسمة عند المخرج] **وداعاً، ولنأمل أن يصبح ديفيد "روبينشتاين آخر".**

مندل [يغلف الباب بلطف] **لم أكن لأتخيل لمسيحي روسي أن يكون آدمياً على هذه الشاكلة** [ينظر إلى الساعة] **(**بالألمانية**) الإله في السماء..** (ثم بالإنجليزية) **درسي الخاص في الرقص!** [يسرع نحو معطفه المعلّق على المِشجب. يعاود ديفيد الدخول إلى الغرفة وقد استعاد بعضاً من تماسكه، وإن كان لا يزال خدراً بعض الشيء].

ديفيد **ذهبتْ؟ آه، لقد دفعها جنوني للرحيل، هل هي غاضبة جداً؟**

مندل **على العكس تماماً.. إنها تتوقّع حضورك الحفلة الموسيقية، وإضافة إلى ذلك...**

ديفيد [بسعادة] **أفهِمتْ! أفهمتْ ما أعنيه ببوتقة الإله! آه، ياعمي، أنت لا تعرف ما يعنيه لي وجود شخص يفهمني. وحتى أنت لم تفهم أبداً...**

مندل [كالجريح] **هراء! كيف للآنسة ريفندال أن تفهمك أفضل من عمك؟**

ديفيد [بسمو غامض] **لا أستطيع الشرح... أحس بذلك.**

مندل **الشكر للسماء. هي، بلا شك، مهتمة بموسيقاك، ولكن ما ذلك التفاهم الحقيقي الذي يمكنه أن يتولّد بين يهودي روسي ومسيحية روسية؟**

ديفيد **ما ذلك التفاهم؟ ألسنا كلانا أمريكيين؟**

مندل **حسن، ليس لدي الوقت الآن لمناقشة ذلك** [يعقد لفاعهُ حول عنقه]

ديفيد **لماذا؟، أين أنت ذاهب؟**

مندل [بسخرية] **وأين يتوجب علي الذهاب.. في الثلج.. ونحن عشية دخول السَبَث؟ لنفترض أنني ذاهب إلى الكنيس!**

ديفيد **آه، يا عمي... كم يبدو دائماً أنك تتوق إلى تلك الأشياء القديمة!**

مندل [بحدّة] **هراء!** [يأخذ مظلته من الحامل] **لا أحب أن أرى أبناء شعبنا مبدّدين، هذا كل شيء.**

ديفيد **إذاً لم أتيت إلى أمريكا؟ لِمَ لمْ تسعَ من أجل أرض لليهود؟ فأنت لست حتى صهيوني.**

مندل **لا يمكنني الجدل الآن، فهناك مجموعة من فتيات المدارس الضحوكات ينتظرن** (موسيقى) **الفالس.**

ديفيد **الفَتيّات النضرات الصاخبات! تذكّر سعادتهن! لكم أحب أن أعزف لهنّ.**

مندل [بسخرية] **أرى أنك قد عدت إلى طبيعتك ثانية.** [يفتح باب البيت الخارجي ثم يعود ثانية] **وماذا عن دروسك أنت؟ ألا يمكننا الذهاب معاً.**

ديفيد **علي أولاً أن أكتب ما يغني داخل روحي.. أه يا عمي، يبدو وكأنني قد عرفت فجاة ما الذي تفتقده موسيقاي!**

مندل [بدعابة جافة] **حسن، لا تنسى ما يفتقده هذا البيت! فأجرته لم تُدفع بعد** [يخرج من الباب الخارجي. وعند خروجه يلمس ويقبل المتسوساه على قائمة الباب كمن يستنهض لا شعورياً دافعاً دينياً يشاكسه. يفتح ديفيد غطاء مكتبه ويتناول رزمة من المخطوطات الموسيقية، يتمدد على كرسيه مدندناً لنفسه ويخربش بحماس بريشة الكتابة. بعد عدة لحظات تتثاءب السيدة كيكزانو، تستيقظ وتتمطى. ثمّ تنظر إلى الساعة]

فراو كيكزانو شابُس (السبت)**!** [تنهض وتتوجَه إلى المنضدة وتلاحظ عدم وجود شموع عليها، تمشي إلى خزانة الأدراج، تتناول منها الشموع وتضعها على الشمعدانات، ثمَّ تضيء الشموع وتهمهِم بطقوس عبرية للتبرّك] **بوروخ أتّو هادوشيم إلوهينو ميليخ هوأولام أسشير كيديشونو بميتسفوزوف فِتّسيفونو لِهادليك**

ناير شِل شأبُس. [تسدل ستائر نافذتين، ثمّ تذهب إلى المؤلف الموسيقي المُنهمك وتلمسه على كتفه مُذكّرة. يتابع ديفيد كتابته من دون أن يتحرّك] **دوفيدل!** [ينظر إليها خدراً. تشير إلى الشموع] **شابُس!** [تمّر ابتسامة حلوة على وجهه فيرمي ريشة الكتابة مستسلماً ويسلّم رأسه ليديها وهمهمات بركاتها العبرية] **يسيمخو إلوهيم كِ - إفراييم فِشيمناسيه - يفورِشِشو هادّوشِم فييشمِرخو، يوإر هادوشِم بونوف أيلِخو فِشونِشو، يسّو هادوشِم بونوف إيلِخو فيوسِم لِخو شولوم.** [ثمّ تتجه نحو المطبخ . وما أن تصل إلى الباب حتى يعاود الكتابة. تهزِ إصبعها نحوه، مكررة أتمنى لك شابُساً سعيداً !]

ديفيد شابُس سعيد [يضع القلم جانباً ويبتسم إلى أن يغلق الباب ثمّ يأخذ معطفه من المشجب وحافظة الكمان وهو يتنهد بعمق . يتوقف وهو لا يزال يدندن، ليأخذ قلمه ويكتب جملة موسيقية جديدة . وأخيراً يعتمِر قبعته ويتهيأ لفتح باب البيت الخارجي عندما تدخل كاثلين من غرفة نومها ، مرتدية كامل ثيابها استعداداً للرحيل ، حاملة علبة كبيرة بنية اللون وشمسية. يلتفت ديفيد لدى

سماعه وقع أقدامها ويظل واقفاً عند الباب وحاملاً حافظة كمانه ، حيث يدورالحوار التالي]

ديفيد أنت لستِ خارجة في هذا الطقس القارس؟

كاثلين [تبعده كاثلين بحدَة بواسطة مظلتها] **ومن سيجبرني على البقاء؟**

ديفيد آه، لا تفعلي... سأقوم بمهامك عوضاً عنك.. ما الأمر؟

كاثلين [بسخط] **مهام؟ هل هي مهام فعلاً؟ أنا لست باقية هنا!**

ديفيد لست باقية هنا؟

كاثلين أنا مغادرة، سيأتون لحمل حقائبي.. وستكون شاهداً بأنني لم آخذ معي الشمعدان .

ديفيد ولكن من الذي طلب إليك المغادرة؟

كاثلين أنا أغادر بنفسي، لقد حطمتني جدتك المقدّسة بالكامل.

ديفيد لماذا، ماذا فعلت المسكينة العَج...

كاثلين لأنّي لم أملّح اللحم، ولأنّي أخلط أواني الطعام مع بعضها البعض و...

ديفيد أعرف، أعرف... ولكن كاثلين، تذكري بأنها نشأت على هذه الأمور منذ طفولتها. وكان والدها حاخاماً.

كاثلين ما الحاخام؟ أهو كاهن؟

ديفيد ما يشبه الكاهن. لقد كان رجلاً عظيماً في روسيا. وزوجها أيضاً كان عالماً كبيراً، ولإعطائه فرصة دراسة الكتب المقدّسة كان عليها القيام بكل الأعمال طوال اليوم له وللأولاد .

كاثلين آه، أولئك الكهنة!

ديفيد [مبتسما] لا، لم يكن كاهناً. ولكنه مرض ثمّ مات، ثمّ تركها أولادها.. ذهبوا إلى أمريكا أو إلى السماء أو أماكن بعيدة أخرى.. وتركت وحيدة ومفلسة.

كاثلين سيدة مسنّة مسكينة.

ديفيد ليست كبيرة في السنّ بهذا القدر ، فقد تزوجت في الخامسة عشر.

كاثلين المخلوقة الفتية المسكينة!

ديفيد ولكنها مع ذلك كانت ملاك الرحمة في طائفتها.. تجالس المريض وتسهر على الميّت.

كاثلين قديسة حيّة! ألم تكن خائفة؟

ديفيد لا، لا شيء كان يخيفها.. عدايَ. كان لديّ كمان مهلهل وكنت أعزف عليه حتى في أيام الشابُس... لقد كنت مشاغباً جداً. ولكنها كانت محبّة لي. ولا أزال أتذكّر طعم قطعة الموتسو (الفطير اليهودي) ، التي أعطتني

إياها والمُغطسّة بنبيذ العنب! فطير عيد الفصح، كما تعلمين.

كاثلين [بافتخار] **آه، أعرف الموتسو.**

ديفيد [يلعق شفتيه، ويردَد] **مذاق ألهي!**

كاثلين **أكيد ، علي أن أتذوقه.**

ديفيد [يهزّ رأسه ، وبغموض] **الأطفال الصغار فقط يحسون بذلك الطعم .**

كاثلين **هذا غير مألوف.**

ديفيد [مبتسماً] **جداً غير مألوف، وفي أحد الأيام أرسل عمي إلى السيدة المُسنة تذكرة لكي تأتي لأمريكا، ولكنها لم تكن سعيدة هنا . فكما تعلمين، على عمي أن يكون بقرب صالته الموسيقية ولا يمكنه العيش في الحيّ اليهودي وبالتالي لا يستطيع أحد التفاهم معها، فهي تجلس طوال أيامها وحيدة... وحيدة مع كتابها ودينها وذكرياتها...**

كاثلين [منهارة] **آه، السيد ديفيد!**

ديفيد **والآن، في كل هذه الأمسية الطويلة والباردة والمثلجة ستجلس بالقرب من المُصطلى وحيدة، تفكّر في موتها ونار المُصطلى تهمد شيئاً فشيئاً، ولن تكون قادرة**

على لمسها لأنه يوم السَبَث المقدّس، ولن يكون هناك كاثلين الحنونة لإزكاء الرماد القاتم ، وأخيراً، ستزحف إلى غرفتها حزينة ومرتجفة من دون شمعدان، هناك حيث الظلمة والبرد...

كاثلين [تجهش بالبكاء بشكل هيستيري، تسقط العلبة من يدها وتفكَ رباط قبعتها] **آه، سيد ديفيد، لن أخلط أواني الطعام بعضها ببعض ولن...**

ديفيد [بودّ] **طبعاً لن تفعلي ذلك، تصبحين على خير** [يمرق بسرعة عبر الباب الخارجي وتقذف كاثلين قبعتها، ومعها تسدل ستارة المسرح بسرعة . عندما تُرفع الستارة ثانية، تُرى كاثلين وهي تُزكي نار المُصطلى بحماس وقد أضاء وهجها الأحمر وجهها] .

* * *

الفصل الثاني

المشهد نفسه في عصر الشهر التالي . ديفيد يجلس أمام مكتبه يخربش على أوراق بحماس شديد . مندل في أبهى حلله يعزف على البيانو بنعومة ويراقب ديفيد . بعد برهة أو اثنتين من التردد، يغلق غطاء البيانو بعنف محدثاً ضجّة وينهض بإصرار.

مندل **ديفيد!**

ديفيد [يرفع ذراعه اليسرى] **رجاءً، رجاءً...** [يكتب بحماس]**.**

مندل **ولكن أود التحدث إليك بجدّية.. حالاً.**

ديفيد **أنا في صدد إعادة كتابة ختام السمفونية . آه، يا له من إلهام رائع** [يتابع الكتابة] **.**

مندل [يهزّ كتفيه ويعاود الجلوس إلى البيانو. يعزف فاصلاً أو إثنين . ينظر إلى الساعة بنزق . بإصرار] **ديفيد، لديّ أخبار رائعة لك . ستحضِرُ الآنسة ريفندال أحدهم**

لرؤيتك ، وهناك أمل في إرسالك إلى ألمانيا لدراسة التأليف الموسيقي . [ديفيد لا يردّ ويتابع الكتابة بسرعة] **ما الأمر؟ إنه لم يسمع كلمة واحدة! لمَ لمْ يسمع ولا كلمة ؟** [يصرخ] **ديفيد!**

ديفيد [يتابع الكتابة] **لا أستطيع، يا عمي، علي أن أسجلها ما دام ذاك الانطباع المجيد نضِراً .**

مندل **أي انطباع؟ فأنت لم تذهب سوى إلى "اتحاد الشعب".**

ديفيد **نعم، وهناك شاهدت الأطفال اليهود.. الآلاف منهم.. يُحيّون العلم** [يعاود الكتابة] .

مندل **حسن ، وماذا في ذلك؟**

ديفيد **ماذا في ذلك؟** [يرمي ريشة الكتابة ويثب واقفاً] **فقط تخيّل، يا عمي . النجوم والأشرطة مُشرعة** (العلم الأمريكي) **وآلاف الأصوات الطفولية الحادة والأجنبية، القادمة تواً من أراضي الإضطهاد ، وهي تحيّي طياته الخافقة. لقد بكيتُ مثل الطفل الصغير .**

مندل **ما أخشاه أنك طفل فعلاً .**

ديفيد **آه ، ولكن لو تسنى لك سماعهم.. "علم جمهوريتنا العظمى".. فالكلمات باتت تغنّي في قلبي منذ ذلك الحين..** [يلتفت إلى العلم المُثبّت فوق الباب] **"علم**

جمهوريتنا العظمى حارس بيوتنا، الذي تشير نجومه وأشرطته إلى الشجاعة والنقاء والحقيقة والاتحاد، نحييك، نحن مواطني البلدان البعيدة، الذين وجدوا [شبه باكٍ] **السكينة في أعطافك ؛ عهداً على قلوبنا وأرواحنا وشرفنا المقدّس أن نحبَ ونحمي علمنا ووطننا وحرية الشعب الأمريكي إلى الإبد "** [ينهي النشيد في حالة شبه هيستيرية] .

مندل [بهدوء] **أنت محقّ تماماً ، ولكنك لست بحاجة لكي تنفعل كل هذا الانفعال من أجل ذلك .**

ديفيد **ليس عندما يُسمع أجيج نيران الآلهة ؟ وليس عندما ترى الأرواح تذوب في البوتقة ؟ عمي ، كلّ أولئك اليهود الصغار سيشبّون أمريكيين!**

مندل [واضعاً يده على كتف ديفيد مهدئاً ويجبره على الجلوس] **اجلس، أود التحدث إليك عن أمور تخصك .**

ديفيد [جالساً] **أمور تخصني ؟ ألم أكن أتحدث عنها طوال الوقت؟**

مندل **هراء، ديفيد** [يجلس إلى جانبه] **ألا ترى أن الوقت قد حان لدخولك إلى عالم أرحب؟**

ديفيد **ماذا؟ هذا الكوكب رحبٌ بما فيه الكفاية بالنسبة لي .**

مندل **بجد، فأنت لا تريد أن تعيش طوال حياتك في هذه الغرفة.**

ديفيد [متلفتاً حوله] **وما العيب في هذه الغرفة؟ إنها فخمة.**

مندل [رافعاً يديه في رعب] **فخمة!**

ديفيد **مَلكية، أتذكر عندما رأيتها للمرة الأولى.. بعدما قضيت أسبوعاً كالخنزير في العنبر الرخيص المُهتز ، أتأرجح في مضجع ضيّق كحافظة كماني المعلق بالقرب من مواقد الطبخ ؛ تخيّل رائحة الطعام الحار الزنِخ وزيت الآلات ونتانة جميع أولئك المصابين بدوار البحر والمحشورين...**

مندل [يضع يده على فم ديفيد] **لا تكمل! فأنت تصيبني بالغثيان! كيف أمكنك تحمّل ذلك؟**

ديفيد [مبتسماً] **كنت في غاية السعادة .. كان عليَ فقط أن أتخيّل انني غرقت ، وانني بعد أن تشبّثتُ بلوح خشبي عائم لخمسة أيام ، بلا طعام أو شراب في الأطلسي الكبير والموحش، وأن هذا المركب التقط كياني .هذا العنبرالرائع الجاف والوجبات المنتظمة ومشهد كل هذه الوجوه الصديقة... هل تعرف من كان على متن ذاك المركب؟**
كوينسي ديفنبورت.

مندل **اللورد؟ ملك الحبوب والزيت؟**

ديفيد [مبتسماً] **نعم ، وحتى نحن البائسون ، في عنبرنا الرخيص ، شعرنا بالأمان لمجرد أن اللورد كان على ظهر المركب في الأعلى . كنا نثق بأن شركة الملاحة لن تتجرأ على إغراقه. وهل كان بإمكان حتى كوينسي ديفنبورت أن ينال مقصورة كهذه؟** [يلّوّح بذراعه إلى أرجاء الغرفة] **لِمَ، يا عمّي، لدينا مقصورة تساوي ألف دولار.. ألف دولار في الأسبوع.. وأكثر من هذا، فهي لا تتمايل ولا تتأرجح** [يثبّت قدميه على أرضية الغرفة بحماس].

مندل **على رسلك يا ديفيد ، طلبت إليك أن تكون جادّاً. فمن المؤكّد أنك تود يوماً ما أن تُعزف موسيقاك.**

ديفيد [يثِب واقفاً] **ألن يكون ذلك شيئاً رائعاً أن نستمع إليها جميعاً ، وهي تُعزف على الكمانات وآلات التشيلو والطبول والأبواق؟**

مندل **وهل تحبَ أن تتنقّل في أرجاء العالم؟**

ديفيد **في أرجاء العالم وعلى مدى العصور.**

مندل **ولكن ألا تعلم أنك ما لم تذهب إلى ألمانيا وتدرس فيها بجدية....؟** [تدخل كاثرين من المطبخ حاملة صينية الشاي وفطائر على شكل الأذن، خبزاً وزبدة إلخ،

وتضع على وجهها أنفاً مستعاراً مضحكاً وغريباً. يصرخ مندل من الدهشة] **كاثلين!**

ديفيد [ينفجر بضحك صبياني] **ها! ها! ها!**

كاثلين [واقفة بلا حراك مع صينيتها] **بعينها ، هل هناك من مشكلة؟**

ديفيد **انظري في المرآة!**

كاثلين [تذهب باتجاه المُصطلى] **يا موسى المقدّس!** [تُسقط الصينية من يديها والتي يلتقطها مندل ومن ثمّ ينتزع الأنف المستعار من على وجهها] **أخ، لقد نسيت أن أنزعه من على وجهي.. لقد أعطتني إياه سيدة البيت... ووضعته لأرَفِّه عنها.**

ديفيد **هل هي تعيسة إلى هذا الحدّ؟**

كاثلين **في أدنى حالاتها، سيد ديفيد، فاليوم هو عيد البوريم** (عيد الفوريم اليهودي) .

مندل **بوريم! هل اليوم عيد البوريم؟** [يناولها صينية الشاي ثانية . ولكي تتناولها ، تُسقِط كاثلين الأنف المستعار على الأرض وتنسى التقاطه] .

ديفيد **ولكن عيد البوريم هو وقت سعيد، كاثلين، تماماً مثل كرنفالكم . ألم تقرأي سِفر أستير.. كيف نجا يهود بلاد فارس من المذبحة؟**

كاثلين **وهذا هو سبب تعاسة سيدة البيت. فأنتما لا تتقيدان بهذه المناسبة. هناك أنفان مُستعاران لكل منكما في المطبخ .. ألم أذهب معها إلى شارع هِستر لشرائهما؟.. ولكنكما غير مباليين. فرؤية أنوفكم المُستعارة مرمية باستخفاف وبلا قدسية، صدقاً، هذا ما يجعلني حتى أنا أبدأ بالبكاء .**

مندل [مخاطباً نفسه بمرارة] **من بإمكانه تذكّر عيد البوريم في أمريكا ؟**

ديفيد [بابتسامة خفيفة] **جدتي المسكينة، أخبريها أن تأتي وسأعزف لها لحن البوريم .**

مندل [بتعجّل] **لا، لا ديفيد ليس هنا... الزائرون!**

ديفيد **زائرون؟ أي زائرين؟**

مندل [بنزق] **هذا ما كنت أحاول أن أشرحه لك طوال الوقت.**

ديفيد **حسن، بإمكاني العزف في المطبخ.** [يأخذ كمانه ويخرج إلى المطبخ. يتنهد مندل ويهزّ كتفيه قاطعاً الأمل من حماقة الشاب، ثم يشير بإصبعه إلى الفناجين والصحون].

مندل [بقلق] **هل هذا أفضل طقم للشاي لدينا؟**

كاثلين **ألا ترى أنه طقم الشاي الخاص بعيد الفصح!** [بحزن] **وقد تهالك بالكامل ، ونستخدمه الآن في عيد فصحنا... وقد أرتأت السيدة أن الزوار لربما يفضلون تذوّق بعض فطائرها المعدّة للبوريم.** [تشير إلى الفطائر المحضّرة على شكل الأذن] .

مندل [بمرارة] **فطائر البوريم!** [يدير لها ظهره ويحدّق بنكد إلى خارج النافذة] .

كاثلين [تغمغم بازدراء] **تسمي نفسك يهودياً وتنسى التقيد بعيد البوريم!** [عندما تعود راجعة إلى المطبخ، تصدح موسيقى سلافية سعيدة، خافتة من وراء الباب؛ وشيئاً فشيئاً تتحرك قدماها عفوياً بخطوات راقصة، واخيراً ترقص بحركات أقوى وهي خارجة. مع فتحها الباب ومرورها عبره تعلو الموسيقى] .

فراو كيكزانو [يُسمع صوت ضحكها من المطبخ] **ها! ها! ها! ها! كاثلين !!** [حتى أقدام مندل بدأت تتحرك على وقع الموسيقى وترقص بينما هو آخذ في التحديق من النافذة ، فجأة يسمع صوت هدير سيارة متبوعاً بضجيج وقوفها] **آه، لقد أحضرتْ معها شخصاً رفيع المستوى!**

[يشرِع باب الدار ويخرج متلهفاً لمقابلة الزائرين . تستمر الموسيقى الراقصة طوال المشهد] .

كوينسي ديفنبورت [من خارج البيت] **آه، شكراً.. سأترك المعاطف في السيارة .** [يدخل بعد برهة كوينسي ديفنبورت وفيرا ريفندال ، وخلفهما مندل . لباس فيرا كما في السابق ، إضافة إلى خمار ترفعه بعد دخولها. ديفنبورت هو ابن المدينة المتألق، يُقلد في الشكل والتصرف شبان النوادي الرياضية الأوروبية . عمره يقارب الخامسة والثلاثين وذو بنية قوية ، يلبس نظارة غير اعتيادية أوركيدية اللون ، يعطي انطباعاً بالطرافة المُمتزجة بالخشونة والترفّع ، ولكن بقلب رجل طيّب أفسده الرخاء والنعيم].

مندل **هلاّ تفضلتم بالجلوس؟**

فيرا **بداية، دعوني أعرّف بصديقي، الذي تلطّف بإبداء اهتمامه بابن أخيك.. السيد كوينسي ديفنبورت.**

مندل [كمَن ينوءُ بحمل] **السيد كوينسي ديفنبورت! يا للغرابة!**

فيرا **ما الغريب قي الأمر؟**

مندل **لقد ذكر ديفيد للتو اسم السيد ديفنبورت.. قائلاً أنهما سافرا إلى نيويورك على المركب نفسه .**

كوينسي مستحيل! فأنا أسافر دوماً على يختي الخاص، هو بطيء ولكنه ممتاز . لا بد أنه كان شخصاً آخر يحمل نفس الإسم.. إنه أبي ، ها! ها! ها!

مندل آه، بالطبع . لقد ظننت أنك يافع جداً.

كوينسي إن أبي ، آنسة ريفندال ، هو واحد من أولئك الأمريكيين العتيقي الطراز، الذين هم دوماً على عجلة من أمرهمّ .

فيرا هو يحرِق الفحم وأن تحرق الزمن .

كوينسي تماماً ، ها! ها! ها!

مندل ألا تتفضلون بالجلوس.. سأذهب وأعُدُّ ديفيد نفسياً.

فيرا [تجلس] **ألم تُعدّه بعد؟**

مندل لقد حاولت أكثر من مرة.. ولكنني لم أتمكن أبداً... [يبتسم] **إلى ألمانيا .** [يجلس كوينسي] .

فيرا إذاً أعدّه لاستقبال ثلاثة زائرين .

مندل ثلاثة ؟

فيرا كما تعلم، فالسيد ديفنبورت نفسه ليس مؤهلاً لإبداء الرأي في الموسيقى .

كوينسي [يثب واقفاً] **عفواً، ماذا؟!**

فيرا كنوطة مكتوبة .

كوينسي آه، بالطبع لا. فالموسيقى يجب أن تُسمع لا أن تُرى.. مثل ذلك اللحن الجميل . هل هو ديفيد؟

مندل أوه، لا يجب أن تحكم عليه من هذا اللحن. إنه يُهرّج.

كوينسي أوه، الأفضل له ألاّ يهرّج مع بوبي . فبوبي متشدّد بشكل فظيع .

مندل بوبي؟

كوينسي بابلمايستر.. قائد الأوركسترا الخاصة بي .

مندل هل هي أوركسترا خاصة بك ، تلك التي يقودها بابلمايستر؟

كوينسي حسن ، أنا أدفع لعازف البوق.. ولقارع الطبل أيضاً! [بضحكة خافتة] .

مندل لقد أردت العزف فيها ، ولكنه رفضني .

كوينسي قلتُ لك إنه كان متشدداً بشكل فظيع [متحدثاً إلى فيرا] **إنه يسمح لي بأوبرا كوميدية مرة واحدة في الأسبوع. وزوجتي تطلق عليه اسم بسمارك ذو العصا الموسيقية .**

مندل [بتوقير] **قائد أوركيسترا عظيم!**

كوينسي هل كان له أن يحصل على عمل لديَ بعشرين ألف دولار لو لم يكن كذلك؟ ليس لأنه يحصل على نصف المبلغ في سوق الموسيقى.. بل فقط، لكي أخصصه لضيوفي بشكل مطلق [ينظر إلى الساعة] **ولكن كان يتوجب عليه أن يكون هنا ، الخُزي له، فقائد الأوركسترا يجب أن يكون دقيقاً، أليس كذلك، آنسة ريفندال؟** [بضحكة مكبوتة] .

مندل سأحضر ديفيد، هلاّ تفضلتم بتناول الشاي. [إلى فيرا] **كما ترين هناك ليمون لشايكِ.. كما في روسيا.** [يخرج إلى المطبخ.. وبعد لحظة تتوقف الموسيقى في منتصف مقطع موسيقي] .

فيرا شكراً لك [تتناول فنجاناً] **هل ترغب بالليمون مع الشاي، سيد ديفنبورت ؟**

كوينسي [بدلال] **تِبعاً للظرف . فآخر مرة تناولت فيها الليمون مع الشاي كان في روسيا نفسها... من يديّ أمك الكريمتين ، البارونة .**

فيرا [مجروحة] **أرجوك لا تُشِر إليها بأمي ، فأمي ميتة .**

كوينسي [مسيئاً فهمها ببلاهة] **آوه، ليس هناك ما يدعو للخجل من زوجة أبيك... فهي مخلوقة مذهلة؛ لديها كل الصفات العليا للأرستقراطية الروسية ، وإلا لما كان كوينسي**

ديفنبورت خبيراً في معرفة السلالات الاجتماعية! صحيح أنها لا تتكلم الإنجليزية مثل والدك... فالبارون معجزة .

فيرا [تتناول إبريق الشاي] **لقد أمِل والدي يوماً أن يكون سفيراً في بريطانياً .. ولهذا السبب كان لي مُربية إنجليزية . ولكنك لم تذكر لي مطلقاً انك قابلته في روسيا.**

كوينسي بالتأكيد ! عندما أعطيتك كل تلك الرسائل الغرامية....

فيرا [تصبَ الشاي بسرعة] **لقد قلتَ إنك قابلته في فيزبادن.**

كوينسي نعم، ولكن بعد أن نمَت صداقتنا ، اصطحبته بسيارتي والبارونة عائدين إلى سانت بطرسبورغ. روسيا بلد جميل.. والناس هناك يعرفون كيف يعيشون .

فيرا [ببرود] **أكثر مارأيت أولئك الذين يعرفون كيف يموتون... أتود إضافة الحليب والسكر؟**

كوينسي [بعاطفة] **أوه، آنسة ريفندال! هل نسيتِ؟**

فيرا [تصدّهُ بأدب] **كيف لي أن أتذكّر؟**

كوينسي ألا تذكرين لقاءنا الأول؟ في السوق الخيري للمُستوطنة السكنية؟ عندما دفعت لكِ مئة دولار عن كل قطعة سكر وضعتها في فنجاني؟

فيرا أفعلت ذلك؟ إذاً أتمنى لو انكَ شربت قطراً.

كوينسي أخ! أنا أكره السكَّر.. لقد ضحيت بنفسي .

فيرا من أجل المُستوطنة السكنية؟ لكم هي بطولة منك!

كوينسي لا، ليس من أجل المُستوطنة، بل من أجلكِ!

فيرا إذا سأضع لك الآن حليباً فقط .

كوينسي أكره الحليب. ولكن إن كان من يديكِ...

فيرا علينا إذاً أن نعود إلى الليمون .

كوينسي لا أطيق الليمون. ولكن من.....

فيرا سيكون إذاً شايك خالصاً.

كوينسي أمقتُ الشاي، وعلى الأخص هنا ، سيكون رخيصاً وكريهاً، ولكن...

فيرا فلتأخذ إذا فطيرة [تقدم له الطبق] .

كوينسي [يتناول واحدة] أتساءل إن كانت تؤكل؟ [يتذوقها] همم! ليست سيئة [بعاطفة] لم تقبلي أن تتناولي سوى فطيرة صغيرة ، هي كل ما أكلتهِ في المرّة الوحيدة التي أتيتِ بها إلى إحدى حفلاتي الموسيقية الخاصة. ألا تذكرين؟ نزلنا لتناول العشاء معاً .

فيرا [تأخذ فنجان الشاي المُعدّ له ، وتضيف إليه الليمون] **سأتذكر دوماً الموسيقى الشهية التي قدمها لنا السيد بابلمايستر.**

كوينسي لكم هذا جحود منكِ!

فيرا **جحود ؟** [ترشف الشاي وتضع الفنجان في مكانه] **أن أكون ممتنّة للموسيقى؟**

كوينسي تعرفين ما أقصده... فجحود منك أن تنسيني !

فيرا [وهي تنهض] **ألست تتناسى أنت نفسك؟**

كوينسي أتقصدين لأنني متزوج من تلك المخلوقة المُبهرجة - المتبرّجة؟ هي تُلحّ للعودة إلى المسرح ، تلك العجوز الشمطاء .

فيرا **ولا كلمة!، فالزواج من نجوم الأوبرا الكوميدية ليست في العادة تجربة عائلية تخلو من الهموم .**

كوينسي لقد وقعت ضحية حبي للموسيقى .

فيرا [تغمغم ، تبتسم] **الموسيقى !**

كوينسي ولم ألتق إلى الآن بالسلالة المناسبة.. الدم الأوروبي الأزرق الحقيقي . سأحصل على الطلاق. [يدنو منها] **فيرا!**

فيرا [تتراجع مبتعدة عنه] **ستجعلني آسفة للجوئي إليك .**

كوينسي لا، لا تقولي ذلك.. لقد وعدت البارون بأنني سأفعل دوماً ما أستطيع لكي ...

فيرا **وعدت؟ هل تجرأت على مناقشة شؤوني الخاصة ؟**

كوينسي لقد كان أبوكِ الذي أثار الموضوع بداية. وعندما وجد أنني أعرفك، كاد أن يبكي بحرقة. لقد سأل مئات الأسئلة عن حياتكِ في أمريكا .

فيرا **حياته وحياتي منفصلتان إلى الأبد . فهو رجعيّ وأنا راديكالية مُتطرِّفة.**

كوينسي ولكنه يحبكِ بشدة.. وهو لا يفهم لِمَ عليك أن تكدحي بعيداً صيفاً وشتاءَ في مستوطنة سكنية... أنتِ نبيلة المحتد ومن سلالة النبلاء الروس !

فيرا [بابتسامة باهتة] **بإمكاني القول ان نُبل المَحتد يقتضي نُبل التصرف . ولكن الحقيقة هي أنني أكسب رزقي بهذه الطريقة . وقد يكون من المفيد لك أن تكدَح أيضاً!**

كوينسي [بلهفة] **إن كانوا سيقيدوننا بالسلاسل مع بعضنا البعض فسآتي غداً** [يقترب منها. يسمع طرقتين على الباب] .

فيرا [متنفسة الصعداء] **ها هو بابلمايستر!**

كوينسي بوبي المزعج.. لمَ هو دقيق في مواعيده بهذا الشكل اللعين؟ [تدخل كاثلين من المطبخ] .

فيرا [بابتسامة] **آه، أنتِ لا تزالين هنا.**

كاثلين **ولم لا أكون هنا؟** [تذهب لتفتح باب البيت].

بابلمايستر السيد كيكزانو؟

كاثلين **نعم، تفضل** بالدخول [يدخل الهِرْ (السيد) بابلمايستر؛ بُنية ألمانية قوية ورأس كبير، يضع نظارات وشعره أبيض كثيف.. بُنيته تجعل حتى ربّ عمله يبدوأقلّ شأناً. يحمل شمسية لا تفارقه إطلاقاً . يبدو للوهلة الأولى جدياً وهادئاً، الأمر الذي يجعل أي انفعال منه لافتاً للنظر. فهو وكوينسي ديفنبورت يقدمان معاً صورة تجمع ' الوقار والوقاحة ' . لغته الإنجليزية ، كما تبدو بشكل عام ، جرمانية إلى أبعد الحدود] .

كوينسي **تأخرت في المجيء يا بوبي !** [بابلمايستر ينحني بصمت لفيرا] .

فيرا [بابتسامة تتوجه إليه وتقدَم له يدها] **فخورة بلقائك، هِر بابلمايستر!**

كوينسي أرجو المعذرة... [يقوم بإجراء التعارف] **الآنسة ريفندال.. لقد نسيت أنك وبوبي لم تتعارفا... ولعل من باب الغرابة أنني قد اخترت بوبي في فيزبادن أيضاً.. فقد كان يقود أوركسترا الأوبرا.. وكان أهلكِ في مقصورتي في دار الأوبرا ، ولا أذكر إطلاقاً إنني قابلت أحداً مهووساً بالموسيقى مثل البارون . لقد أخبرتني البارونة انه تقاعد من الخدمة في الجيش ، بسبب العذاب الذي كان ينتابه عند سماعه الجوقة الموسيقية العسكرية ، ها! ها! ها!**

فيرا نعم، كان أبي يأمل أن تواسيه الموسيقى التي أعزفها [تبتسم بحزن] **أبي المسكين! ولكن على الجندي أن يتحمّل الهزيمة . السيد بابلمايستر، أتسمح لي بإعطائك بعض الشاي؟** [تجلس ثانية إلى المنضدة] .

كوينسي شاي! البيرة أقرب إلى قلب بوبي [بضحكة خافتة] .

بابلمايستر[بجدية] **شاي رجاءً** [تصبّ الشاي،وهو يجلس] **ليمون، أربع قطع.. فقط.. خمس!.. أو ست!** [تُناوله الفنجان] **شكراً.** [عند تناولِه الفنجان يُطلق صيحة. ذلك أن كاثلين ، وبعد فتحها الباب ، بدأت تتجول في الغرفة وأخيراً زحفت تحت المنضدة إلى أن لامَستْ ساقه] .

فيرا **ما الذي تبحثين عنه؟**

كاثلين [يبرز رأسها من تحت المنضدة] **أنفي!** [يُحدَق الجميع فيها بشيء من الطرافة] .

فيرا **أنفكِ؟**

كاثلين **لقد نسيتُ أنفي !**

كوينسي **حسن، اتبعي أنفك .. وستجدينه . ها! ها! ها!**

كاثلين [تندفع إليه] **ها هو!** [تلتقطه من جانب الكرسي] **كلَه** (باللاتينية : أومنِس) ، **أوه!**

كاثلين **بالتأكيد ، لقد اتسَخ** [تأخذ منديلاً وتمسح الأنف المستعار بعناية] .

كوينسي **ولكن لِم تريدين أنفاً مثل هذا ؟**

كاثلين [بافتخار] **لأننا عبرانيون !**

كوينسي **ماذا؟**

فيرا **ماذا تعنين بذلك؟**

كاثلين **إنه يوم كرنفالنا ! البوريم** [تحمل أنفها المستعار بعناية وقدسية وتتوجه نحو المطبخ] .

فيرا **أوه! فهمت** [تخرج كاثلين] .

كوينسي [مصدوماً] **آنسة ريفندال، أنت لا تعنين بالقول أنك أتيت بي إلى يهودي!**

فيرا **آسفة للقول إني قد فعلت . كنت أفكر فقط في عبقريته، وليس عرقه. وكما تعلم فكثير من الموسيقيين هم يهود.**

كوينسي **لا ينطبق هذا على موسيقيي أنا . ليس لدي في الأوركسترا الخاصة بي قيثارة يهودي واحد، هيه؟** [بضحكة خافتة] **لا أريد يهودياً لديّ حتى لو دَفع لي .**

فيرا **أحسب أن لديك بعضاً منهم، الجميع سواسية.**

كوينسي **مستحيل، بوبي! هل هناك يهود عندي في الأوركسترا ؟**

بابلمايستر[يزيح الفنجان من فمه ويتكلم بوقار كَنَسي] **أتقصد هل هناك مسيحيون؟**

كوينسي [مصدوماً] **جِ.. روزالِم** (القدس) **! لربما أنت يهودي!**

بابلمايستر[بجدية] **لم يحصل لي الشرف . ولكن إن كنت تفضّل، سألغي من برامجنا الموسيقية جميع المُلحنين اليهود، ما رأيك؟**

كوينسي **لماذا؟ بالطبع . اطردهم، كل من ولدته أمه منهم .**

بابلمايستر[وقد غاضت ابتسامته] **فإذاً ، لن يكون هناك مزيد من الأوبرا الكوميدية !**

كوينسي ماذا !!

بابلمايستر اليهود مؤلفو جميع الأوبرات الكوميدية!

كوينسي وحوش! [بابلمايستر بضحكة خافتة تسمع قرقرتها من داخل فنجان الشاي. يدخل مندل عائداً من المطبخ] .

مندل [لفيرا] **أنا آسف.. لم أستطع أن أجعلهُ يأتي .. إنه خجول لأبعد الحدود .**

كوينسي لا يريد مواجهة الحقيقة، إيه؟ [بضحكة خافته].

فيرا هل أخبرته إنني هنا ؟

مندل بالطبع .

فيرا [بخيبة أمل] **أوه!**

مندل ولكنني أقنعته أن يُريكم مخطوطته الموسيقية.

فيرا [بارتياح مُكرَه] **أوه، حسن، هذا كل ما نريده** [يذهب مندل إلى المكتب ويفتحه، يُحضر المخطوطة ويقدمها إلى كوينسي ديفنبورت] .

كوينسي ليس لي.... لبوبي! [يقدمها مندل لبابلمايستر، الذي يأخذها بجدية] .

مندل [بقلق لبابلمايستر] **طبعاً عليك أن تتذكر حداثة سنه وافتقاره للتعليم الموسيقي ...**

بابلمايستر رجاءً، مِنصَب النوطة! [يحرك مندل منصب النوطة الموسيقية من الزاوية إلى وسط الغرفة. يضع بابلمايستر المخطوطة عليها] **إذاً لنبدأ!** [تتركَز عليه جميع الأنظار بلهفة . مندل يقف متوتراً والآخرون جالسون. بابلمايستر يلمّع نظارته بإتقان مزعج وتنهَد مُضجِر ثم يقرأ بصمتٍ مطلق . توقَف لهنيهة] .

كوينسي [وقد أضجرهُ الصمت] **ولكن ألا تنوي أن تعزفها لنا ؟**

بابلمايستر أعزفها؟ وهل أنا أوركسترا؟ إني أعزفها في عقلي [يتابع قراءة النوطة، حاجباه يتجعدان. ينكشُ شعره بلا وعي والجميع يراقبه بتلهّف.. يقلب الصفحة] . **إذاً !**

فيرا [بتلهف] **لا يبدو أنها تعجبك!**

بابلمايستر لا أفهمها .

مندل كنت أعرف إن ذلك كان جنونياً.. فالمفترض أن تكون السيمفونية حول أمريكا أو بوتقة الصهر أو شيء من هذا القبيل. وبالطبع هناك الكثير من الأخطاء .

فيرا ولهذا السبب أقترحُ على السيد ديفنبورت إرساله إلى ألمانيا .

كوينسي سأرسل من تشائين من اليهود إلى ألمانيا. ها! ها! ها!

بابلمايستر[مأخوذاً، يقلب الصفحات] **أخ! .. أخ سو!** (بالألمانية وتعني هكذا !.. هكذا إذاً **!**).

كوينسي بل وسوف أضع يَختي الخاص في خدمةِ إعادتهم إلى حيث كانوا . ها! ها! ها!

فيرا هسْ! فنحن نشوّش على السيد بابلمايستر.

كوينسي أوه، لا تقلقي فبوبي على أحسن ما يرام .

بابلمايستر[غير مُدرك لما حوله وقد أخذته النشوة] **أخ سو..أخ سو! ، هذا شيء جديد!** [يخبط بمظلته على الأرض بتواتر لتنظيم الإيقاع ، ويتحرك بسرعة متزايدة إلى أن يصل أخيراَ إلى حالة قائد الأوركسترا المُنفعل، يمدّ كفه اليسرى كي يشير إلى المقاطع الناعمة ثمّ يرفعها بعنف إلى تلك القوية ، ويُطلق بين هاتين من حين لآخر صيحة] . **رائع.. بيانيسّيمو!.. الآن الفلوت! الكلارينيت! أخ.. هذا مُبهج.. المِجوَز والطبول!.. فورتيسيمو! هائل!.. هائل!** [يُحاكي قيادة اوركسترا بحماسٍ بالغ] .

فيرا [تصفّق] **برافو! برافو! إنني في غاية الإثارة!**

كوينسي [مُتثائباً] **إذا فليست الموسيقى سيئة يا بوبي!**

بابلمايستر [غير مُصغٍ ، ولا ينفكَ عن محاكاة قيادة أوركسترا] .. **ومن ثمّ القيثارة لوحدها.. أخ.. مُثيرة.. الكمانات الثانوية ... !**

كوينسي ولكن يا بوبي! لا يمكننا البقاء هنا طوال اليوم .

بابلمايستر[غير مُصغٍ، متابعاً حركاته الإيمائية] **هسْ! بيانو.**

كوينسي [مُنفعلاً] **تقول هسْ.. لي؟** [ينهض] .

فيرا إنه لا يعي أنه أنت .

كوينسي انظر هنا، بوبي ... [ينتزع المظلة المُهتزة بعنف من يده . نظرة جوفاء من بابلمايستر ، الذي يعود شيئاً فشيئاً إلى وعيه] .

بابلمايستر ما الأمر...؟

كوينسي لقد نلنا ما فيه الكفاية.

بابلمايستر[ساخطاً] **كفاية؟ كفاية؟ من مثل هذه السمفونية الجميلة؟**

كوينسي لربما تكون جميلة لك، ولكن بالنسبة لنا فهي مملّة. انتبه يا بوبي، إن كنت مقتنعاً بأن الشاب لديه ما يكفي من الموهبة لإرساله للدراسة في ألمانيا...

بابلمايستر في ألمانيا! ليس لدى ألمانيا شيء لتعليمه ، عليهِ هو أن يُعلِّم ألمانيا .

فيرا **برافو!** [تقفز واقفة] .

مندل **لطالما حدَّثت نفسي أنه عبقري .**

كوينسي **حسن، في هذه الحالة يمكنك وضع إنتاجه في أحد برامجي الموسيقية.. سيمفونيا أميريكانا، إيه.**

فيرا **أوه، هذا لطف منك.**

بابلمايستر سأكون فخوراً بتقديمها إلى العالم .

فيرا **وسيتم عزفها في حجرة الموسيقى الرخامية الرائعة ، المطلة على** (نهر) **الهدسون؟**

كوينسي **بالتأكيد، وأمام خمس مائة من أرفع الوجوه في أمريكا.**

مندل **أوه، شكراً، شكراً لك. ذلك سيعني الشهرة!**

كوينسي **والدولارات، لا تنسى الدولارات.**

مندل **سأسرع وأخبره بذلك.** [يسرع إلى المطبخ . بابلمايستر يعاود الاستغراق في المخطوطة الموسيقية، لكنه لم يَعُد يمارس القيادة الموسيقية الإيمائية] .

كوينسي **أترين، سأساعد حتى يهودياً من أجلكِ.**

فيرا **هسْ!!** [مشيرة إلى بابلمايستر] .

كوينسي أوه، إن بوبي الآن في غاية الانتشاء .

فيرا عليك بمساعدتِه إكراماً له، إكراماً للفن

كوينسي ولِم ليس إكراماً للقلب.. ولأجلي ؟ [يقترب منها اكثر] .

فيرا [تتوجه نحو بابلمايستر] **هِر بابلمايستر! متى تظنّك قادراً على إنجاز هذا العمل الموسيقي ؟**

بابلمايستر رائع! [وهو نصف واع لحديث فيرا] **أربعة مقاطع** [يصحو لها] **عفواً ؟**

فيرا ما أقرب فرصة لإنجاز السيمفونية؟

بابلمايستر ما أقرب فرصة بإمكانه إنهاؤها؟

فيرا أليست منتهية بعد؟

بابلمايستر أرى نهاية السيمفونية قد تمَ شطبها وقطعة أخرى ليست كاملة تماماً . ومع ذلك، لا يمكننا إنجازها قبل يوم السبت، بعد أسبوعين .

كوينسي السبت بعد أسبوعين! لا يسمح لي هذا بحشد ضيوفي .

بابلمايستر فلنقل إذاً السبت بعد ثلاثة أسابيع، موافق؟

كوينسي موافق ، توقف لحظة! هل قلتَ السبت؟ إنها ليلتي المُخصصة للأوبرا الكوميدية! أيها اللص!

بابلمايستر على المرء أن يُضحّي بشيء أو بآخر.

مندل [من خارج الغرفة] **ولكن عليك أن تأتي يا ديفيد.** [يُفتح باب المطبخ، مندل يجرّ إلى الداخل ديفيد المُتردد بشكل صبياني . بابلمايستر يقرع الأرضية بمظلته، فيرا تصفّق ، كوينسي ديفنبورت يضع نظارته ويتفحّص ديفيد بفضول] .

فيرا **أوه، السيد كيكزانو ، إنني في غاية السعادة! سيقدم السيد ديفنبورت سيمفونيتك في حجرة الموسيقى الرائعة الخاصة به .**

كوينسي **نعم، أيها الشاب، سأقدم لك زبدة المستمعين في أمريكا. وإذا ما كان بوبي محقاً، فإنك في صدد حصد الدولارات. فأمريكا بحاجة إلى مُؤلف موسيقي .**

بابلمايستر[يرفع يديه مؤكداً] **آه يالهي، نعم!**

فيرا [لديفيد] **لِمَ لا تتكلم؟ أنت لست غاضباً لتدخّلي... أليس كذلك؟**

ديفيد **لا يمكنني أن أكون أكثر امتناناً لكِ ...**

فيرا **أوه، ليس لي ، بل للسيد ديفنبورت الذي...**

ديفيد **كما لا يمكنني أن أفي السيد بابلمايستر حقَه من الأمتنان. وحتى مقابلته هي شرف كبير** [ينحني له] .

بابلمايستر[يكاد يختنق من شدة الانفعال] (بالألمانية) **ابني الشجاع!**

فيرا [بلهفة] **ولكنه السيد ديفنبورت...**

ديفيد **قبل أن أقبلَ معروف السيد ديفنبورت، يجب أن أعرف لمن أدين بالفضل ... فإذا كان السيد ديفنبورت هو ذلك الشخص الذي...**

كوينسي **سافرَ معك إلى نيويورك؟ ها! ها! ها! لا ، أنا فقط ديفنبورت الابن .**

ديفيد **أوه، أعرف يا سيدي بأنك لا تكسب المال الذي تنفقه.**

كوينسي **ماذا؟**

فيرا [بلهفة] **إنه يقصد أنه يعرف أنك لست في مجال الأعمال المالية .**

ديفيد **نعم يا سيدي، ولكن هل صحيح أنك تفضّل الانغماس في المتعة ؟**

كوينسي [مرتبكاً] **عفواً؟ ماذا؟**

ديفيد **وهل جميع الروايات التي تنشرها الجرائد عنك صحيحة؟**

كوينسي **جميع الروايات . هذا طلب عسير. ها! ها! ها!**

ديفيد **حسن ، على أية حال، هل صحيح أنك.. ؟**

فيرا **سيد كيكزانو! ما الذي ترمي إليه؟**

كوينسي أوه، لمن الممتع سماع ما يقرؤه الناس عني . انتقاد مُسبق . ولكن ماذا عن سؤالك : هل صحيح؟

ديفيد **بأنك تزوجتَ في منطاد؟**

كوينسي هو! ها! ها! هذا صحيح . زواج مسرف، هذا ما قالوه، أليس كذلك؟ ها! ها!

ديفيد **وهل صحيح أنك تعيش فقط شهرين في السنة الواحدة في أمريكا، شهرين تقضيهما في تسلية الأوروبيين الذين يتجولون في أرجائها المثيرة؟**

كوينسي من حسن حظك أيها الشاب، أن أميراً إيطالياً ودوقاً بريطانياً سيستمعا إلى خربشاتك الموسيقية.

ديفيد **والقصر الذي سيستمعون فيه إلى خربشاتي .. هل صحيح أنه ... ؟**

فيرا [التي كانت أشبه بالمُخدّرة] **سيد كيكزانو، ما الذي...؟**

ديفيد [يرفع يده متوسلاً] **آنسة ريفندال!** [موجهاً حديثه إلى كوينسي ديفنبورت] **هل هو القصر الذي حُوّلت أرضياته إلى أقنية البندقية المائية، حيث كان الضيوف يأكلون في الغُندولات.. غندولات زيّنت بالحرير الرائع**

في محاكاة لنبلاء المدينة في احتفالاتهم المائية العظيمة ؟

كوينسي [موجهاً الحديث إلى فيرا] **آه، آنسة ريفندال.. لكم هو مؤسف رفضكِ لتلك الدعوة . كان مشهداً خيالياً من الأضواء البرّاقة والعتمة اللذيذة.. كان لكل اثنين غندول خاص لتناول الطعام والشراب وقناة مائية خاصة لينسابا عبرها . إيه؟ ها! ها! ها!**

ديفيد **وفي تلك الليلة بالذات، ماتتْ النساء والأطفال من الجوع في نيويورك!**

كوينسي [مُجفلاً، يسقط نظارته] **ماذا؟؟**

ديفيد [بغيظ] **وستدعو مثل هذه النوعية من الناس للاستماع إلى سيمفونيتي، سُكارى الغندولات هؤلاء؟**

فيرا **سيد كيكزانو!**

مندل **ديفيد!**

ديفيد **تلك المجموعة من الحيوانات العظيمة الذين ذهبوا زوجاً زوجاً، للأكل والغزل!**

كوينسي [خدراً] **يا سيد!**

ديفيد **سأكون التسلية الجديدة لكَ ولأمسيتك الموسيقية الخَرقاء... أنا وأحلامي وموسيقايَ!**

كوينسي أيها الوضيع، العاق..

ديفيد ليس من أجلك أو من أجل أمثالك جلستُ هنا أكتب وأحلم؛ ليس من أجلكم يا من تقتلون أمريكتي !

كوينسي أمريكتك، حقاً، أيها اليهودي المُهاجر!

فيرا سيد ديفنبورت

ديفيد نعم.. يهودي مهاجر! ولكنه يهودي يعرف أن آباءكم المهاجرين جاؤوا مباشرة من عهدِه القديم (توراته) وأن مُهاجرينا اليهود قد ساهموا في بناء مجد هذا الكومنولث العظيم أكثر من بعضٍ منكم ، أنتم يا من وُلدتم فوق هذا التراب . إنه أنتم أيها الشاذون المتأنقون من تبطلون إنجازات واشنطن ولينكولن، وتفسدون تراثكم العظيم وتحولون آخر وأنبل أمل للإنسانية إلى صورٍ مشوهة ساخرة .

كوينسي [يهتز ويضحك] ها! ها! هو! هو! [محدثاً فيرا] لم تقولي لي أبداً إن يهوديَك المُخَربِش كان اشتراكياً !

ديفيد أنا لست سوى فنان بسيط ، ولكنني أتيت من أوروبا كأحد ضحاياها، وأعرف أنها عاجزة ، وأن قصورها ونبلاءها هي لعبٌ بالية للروح الإنسانية، وأن الأمل

الوحيد للبشرية يكمنُ في العالم الجديد. وهنا.. في أرض المستقبل.. تحاولون أن تعيدوا أوروبا...

كوينسي [مقاطعاً] **أتمنى لو أمكننا ذلك..!**

ديفيد **أوروبا بأكاليل أوبراتها - الكوميدية، وديكورات مسارحها التي أكلتها الديدان ، وأُبَهتها وشهامتها المُشيدة على مُستنقع الجريمة والبؤس...**

كوينسي [بضحك ساخر] **مُستنقع!**

ديفيد [بعاطفة نبوية] **ولكنكم لن تقتلوا حلمي ! ولسوف تأتي نار تحيط ببوتقة الصهر التي ستصهُركم أنتم وذريتكم مثل الشمع في أنبوب النفخ...**

كوينسي [بغضب، وقبضتة مُطبقة] **أنت...**

ديفيد **أمريكا ستفي بوعدها..!**

بابلمايستر[الذي كان جالساً ، وبقي كذلك هادئاً طوال هذا المشهد، قفز من على كرسيه وهو يلوّح بمظلته بهستيرية] (بالألمانية) **الرفعة لكيكزانو، الرِفعة! الرفعة! عاش كيكزانو! الرفعة!**

كوينسي بوبي ! أنت مطرود!

بابلمايستر[يذهب إلى ديفيد بذراعين ممدودتبن] (بالألمانية) **شكراً!** [يمسكان بأياديهما . بابلمايستر يلتفت إلى كوينسي] **أوبرا الملهاة ! ، أف!**

كوينسي [يذهب إلى باب البيت، في غاية الإنفعال] **هل ستأتين، آنسة ريفندال؟** [يفتح الباب] .

فيرا [لكوينسي، ولكن من دون أن تتحرك] **رجاءً، رجاءً، تقبّل إعتذاري.. صدقّني.. لو عرفت..**

كوينسي [بغضب] **إذا إبقِ مع يهوديكِ !** [يخرج] .

مندل [باهتياج] **ولكن سيد ديفنبورت... لا تذهب! هو فقط شاب غُرَ** [يخرج خلف كوينسي] **عليك أن تأخذ بالاعتبار...**

ديفيد أوه، هِر بابلمايستر، لقد فقدتَ وظيفتك!

بابلمايستر وأنقذت روحي . الدولارات هي الشيطان . يتوجب علي الآن الذهاب إلى موعد . (بالألمانية) **إلى لقاء قريب.** [يصافح ديفيد] **فرولاين** (آنسة) **ريفندال** [يقبّل يدها ويخرج . يقف ديفيد وفيرا وهما يُحدقان في بعضهما البعض] .

فيرا ماالذي فعلته ؟ ماالذي فعلته؟

ديفيد وماذا يُمكنني فعل غير ذلك؟

فيرا إنني أكره المُتحذلقين مثلك تماماً.. ولكن بالنسبة لطموحاتك وموسيقاك...

ديفيد لن أبقى مديناً لهم . أعرف إنك كنت تقصدين صالحي، ولكن ما الذي يمكن لهؤلاء القرود المُقلّدين لأوروبا فهمه من أمريكا.. أمريكية موسيقايَ؟ إنهم يلتفتون إلى أوروبا كأرض للمتعة، كقصرٍ للفن.. ولكنني أعلم [يُصبح هِستيرياً] أنها مُشرّبة بالدم، حمراء بالمذابح الوحشية...

فيرا [مُنذرة، قلقة] دعنا لا نتحدث مزيداً عن ذلك. [تمدّ يدها] الوداع .

ديفيد [مُسمّراً، يتناول يدها، يبقى ممسكاً بها] آه، لقد آلمك نكراني للجميل.. ولن أراك ثانية بعد اليوم.

فيرا لا، لست متألمة. ولكنني فشلت في مساعدتك. وليس لدينا شيء آخر نتقابل من أجله. [تفلت يدها من يده] .

ديفيد لِم تريدينَ معاقبتي على هذا النحو؟ لقد آذيتُ نفسي فقط .

فيرا هي ليست عقوبة .

ديفيد وماذا غير ذلك ؟ عندما تكونين معي ، يبدو الهواء كله مرتعشاً مع الموسيقى الخيالية التي تعزفها أوركسترا خيالية خفية .

فيرا [مرتجفة] **وأنت حتى لم تقبل الدخول منذ لحظات عندما كنتُ...**

ديفيد **كنتُ جِدَ خائف من الآخرين...**

فيرا [مبتسمة] **خائف بالفعل!**

ديفيد **نعم ، أعرف أنني كنت وقحاً.. ولكن أن أتخلى عن كل تلك العذوبة السحرية في حياتي إلى الأبد.. ألا تسمين ذلك عقوبة؟**

فيرا [خجلة] **كيف يمكن لي أن أرغب في معاقبتك؟ كنت فخورة بك!** [تُطرق عينيها، تدمدم] **وعلاوة على ذلك سأكون بذلك قد عاقبت نفسي .**

ديفيد [بانشداه عاطفي] **آنسة ريفندال!.. ولكن لا، لا يمكن. هذا مستحيل .**

فيرا [مرتعدة] **نعم ، مستحيل جداً . وداعاً** [تستدير باتجاه الباب] .

ديفيد **ولكن ليس إلى الأبد؟** [فيرا تطرق رأسها. يقترب منها، بعاطفة] **عديني بأنكِ سَ.. بأني..** [يمسك بيدها ثانية] .

فيرا [تذوب مع لمسته لها، تهمس] **نعم، نعم، ديفيد .**

ديفيد **آنسة ريفندال!** [تسقط بين ذراعيه] .

فيرا عزيزي! عزيزي!

ديفيد إنه لحلم . لا يمكن أن أصدق أنك تهتمينَ بي .. فأنتِ أعلى مني شأناً .

فيرا أعلى منك، أيها الشاب الساذج؟ فعبقريتك ستسمو بك إلى النجوم.

ديفيد لا، لا، بل أنتِ التي سترفعينني إلى هناك...

فيرا [تُمسِّد شعره] **أوه، ديفيد، من كان يصدّق إنني رُبيت على احتقارِ عرقِكَ .**

ديفيد نعم، فجميع الروس كذلك .

فيرا ولكن خصوصاً نحن طبقة النبلاء .

ديفيد [مُنشدهاً، يُبعدها عنه قليلاً] **أنتِ من النبلاء؟**

فيرا أبي هو البارون ريفندال ! ولكن منذ منذ مدة طويلة رسمتُ لنفسي حياة خاصة بي .

ديفيد إذاً فهو لن يبعدنا عن بعضنا البعض؟

فيرا لا [تضمّه إليها من جديد] **لا شيء يمكنه أن يفرق بيننا.**
[طرق على باب الدار . ينفصلان ، يسمع صوت هدير السيارة مبتعدة] .

ديفيد إنه عمي عائد ثانية .

فيرا [بصوت منخفض ومتوتر] **إذاً فسأنسل خارجة، فأنا لا يمكنني تحمّل شخص ثالث. سأكتب لك** [تتوجه نحو الباب] .

ديفيد **نعم، نعم... فيرا.** [يتبعها إلى الباب. يفتحه وتنسلّ هي إلى الخارج] .

مندل [يظهر نصفه من الداخل، معترضاً] **وأنتِ أيضاً، آنسة ريفندال..؟** [يعاود الدخول] **أوه، ديفيد لقد أبعدّت جميع أصدقائك .**

ديفيد [يتوجه إلى النافذة وينظر نحو فيرا] **ليس جميعهم يا عمي، ليس الجميع.** [يرمي بذراعيه حول عمه] **أنا في غاية السعادة .**

مندل **سعيد؟**

ديفيد **إنها تحبني.. فيرا تحبني .**

مندل **فيرا؟**

ديفيد **الآنسة ريفندال.**

مندل **هل فقدت عقلك؟** [مُقرّعاً ديفيد]

ديفيد **لا أستغرب دهشتك .. . فالدهشة اعترتني أيضاً . بدا الأمر كما لو نزل مَلاك من عليائِه..**

مندل [بأجاشة] **هل هذا حقيقي؟ أهذه طرفة سخيفة في بوريم؟**

ديفيد **حقيقي و مقدّس كبزوغ الشمس.**

مندل **ولكنكَ يهودي!**

ديفيد **نعم، فكّر فقط ! لقد تربّت فيرا على احتقار اليهود.. والدها كان باروناً روسياً..**

مندل **ولو كانت ابنة خمسين باروناً، فليس بإمكانك أن تتزوجها.**

ديفيد [بانشداه مؤلم] **عمي!** [ببطء] **هذا يعني أن حنينك إلى الكنيس كان بمنتهى الجدية.**

مندل **لا يتعلق الأمر كثيراً بالكنيس.. بل هو نداء دمنا عبر أجيال مُمعنة في القِدَم .**

ديفيد **أنت تقول ذلك! أنتم يا من أتيتم إلى قلب بوتقة الصهر، حيث أزيز نيران الإله تصهر عِرقنا مع جميع الأعراق الأخرى .**

مندل [بانفعال] **ليس عِرقنا، ليس عِرقك وعرقي .**

ديفيد **ما الحصانة التي يمتلكها عرقنا ؟** [بتفكّر] **الكبرياء والتحامل، الأحلام والتضحيات، التقاليد والخرافات، الصيام والأعياد، أشياء نبيلة وأخرى خسيسة.. عليها جميعاً أن تنتهي إلى البوتقة .**

مندل [بغضب نبوئي] **لقد امتُحن اليهودي في آلاف النيران وكان له أن أمسى صلباً وقوياً .**

ديفيد **نيران الكراهية، وليس نيران الحب. تلك هي التي تُصهر.**

مندل [بسخرية] **هذا ما أراه بأم عيني.**

ديفيد **سُخريتك خاطئة. فالحب الذي ذوّبني لم يكن فيرا.. لقد كان حبَ أمريكا.. الذي أبدته لي.. يوم ضمتني فيه إلى صدرها .**

مندل [متكلماً بسرعة وانفعال] **لقد ضمَتنا دول كثيرة إليها. أخذتنا هولندا عندما طُردنا من إسبانيا.. ولكننا لم نصبح هولنديين.. وتركيا أخذتنا ، عندما اضطهدتنا ألمانيا ، ولكننا لم نصبح أتراكاً.**

ديفيد **تلك الدول لم تكن قيد النشوء. كانت حضارات قديمة مُهرت بخاتم العقيدة. في مثل تلك الدول، قد يكون اليهود مُحقين في تميّزهم عن الآخرين. ولكن هنا، في هذه الجمهورية العلمانية الجديدة، علينا أن نتطلّع إلى الامام...**

مندل [مقاطعاً ديفيد بانفعال] **وعلينا أن ننظر إلى الخلف أيضاً .**

ديفيد [بهيستيرية] **إلى ماذا؟ إلى كيشينيف؟** [وكما لو أنه يرى صورة في خياله] **إلى وجه ذلك الجزار الذي يقود المذبحة؟ إلى أولئك...**

مندل [مُنذراً] **شششش! هدىء نفسك!**

ديفيد [وهو يُصارع نفسه] **نعم، سأهدىء نفسي... ولكن كيف يتسنى لي أن أهدىء نفسي سوى بنسيان كل كوابيس الديانات والأعراق، سوى بمدّ يديَّ بالصلاة والموسيقى نحو جمهورية الإنسان ومملكة الرب! ، فالماضي لا يمكنني إصلاحه.. وصوره الشريرة قد حفرتْ في ذاكرة عَصيةٍ لا يمكن أن تمحى . أن تسلبني الأمل في إصلاح المستقبل يعني أنك تدفعني إلى الجنون .**

مندل لا حاجة لدفعك فأنت مجنون أصلاً.. أحلامك مجنونة.. واليهود مكروهون هنا كما في كل مكان.. أنت خائن لعِرقك .

ديفيد أنا مخلصٌ لأمريكا. وعندي إيمان بأن أمريكا ستُخلص لنا [يرفع يديه بنشوة دينية نحو العلم المثبّت فوق الباب] **علم جمهوريتنا العظمى، حارس بيوتنا، والذي تشير نجومه و...**

مندل **وفّر علي ذلك الهراء، اذهب وتزوج فتاتك المسيحية، وكن سعيداً .**

ديفيد **أتطردني؟**

مندل **هل تودّ البقاء وتحطيم قلب أمي؟ فأنت تعرف بأنها سَتحَدّ عليك بشقّ الثياب والجلوس سبعة أيام على الأرض . اذهب، فلقد نبذتَ إله آبائنا!**

ديفيد [مُرعِداً] **وإله أولادنا .. ألا يستوجب خدمة نؤديها؟** [بهدوء، يتجه نحو عمِه ويلمسه بحنان من كتفه] **أنت مُحقْ.. فأنا أحتاج فعلاً لعالم أرحب،** [يزيد من احتضانه] **يجب أن أغادر.**

مندل **اذهب إذاً.. وسأخفي الحقيقة.. إذا يجب أبداً ألا تخامرها الظنون .. خِشية أن تحَدّ عليك كميّت.**

فراو كيكزانو [تُسمَع من المطبخ] **ها! ها! ها!** [يلتفت الرجلان نحو المطبخ وينصتان] .

كاثلين **ها! ها! ها!**

فراو كيكزانو وكاثلين ها! ها! ها!

مندل [بمرارة] **بوريم سعيد** [يفتح باب المطبخ ويبقيه مشرعاً. السيدة كيكزانو تدخل مسرعة وهي تحمل كمان وقوس ديفيد. كاثلين تنظر إليهم وقد رسمت ابتسامة عريضة] .

فراوكيكزانو[بجذل] (باليديشية) **والآن اعزف ثانية! اعزف!** [تحمل الكمان والقوس مناشدة ديفيد].

مندل [ماداً يداً مُحتجة] **لا، لا، ديفيد.. لا يمكنني تحمّل ذلك**

ديفيد **ليس لدي خيار آخر! لقد قلت بنفسك انه لا يجب أن تخامرها الظنون** [ينظر بحبّ إليها وهو يتلفظ بصوت عال تلك الكلمات التي لم تعنِ لها شيئاً] **ولربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي سأعزف لها.** [مصطنعاً ابتسامة سعيدة وهو يأخذ الكمان والقوس منها] (باليديشية) **أكيداً يا جدتي!** [يبدأ بعزف الرقصة السلافية القديمة نفسها] .

فراوكيكزانو[بسرور طفولي] **هيْ! هيْ! هيْ!** [تضع أنفاً مستعاراً مضحكاً تتناوله من جيبها] .

ديفيد [مُمزقاً بين الضحك والدموع] **ها! ها! ها!**

مندل [مصدوماً] **أمي!**

فراو كيكزانو وانتَ أيضاً! [تضع لمندل أنفاً مستعاراً آخر وهي تضحك بطفولية من المنظر، ثم تبدأ الرقص . تنسلُ كاتلين وترقص إلى جانبها بابتهاج] .

ديفيد [يشارك في الضحك دامعاً] **ها! ها! ها!**

[تسدل الستارة بسرعة ، وترفع ثانية على مشهد السيدة كيكزانو وهي تسقط مُنهكة وضاحكة على الكرسي وتُهوّي وجهها بمئزرها ؛ في حين تسقط كاثلين مقطوعة الأنفاس إلى جانب المقعد . ديفيد لا يزال يعزف ومندل، بعد أن نزع الأنف المستعار، يقف جانباً وهو يحملق . تسدل الستارة مرة أخرى وترفع على المشهد الأخير لديفيد ، بمعطفه وقبّعته ، وهو يمرُق خارجاً من الباب بكمانه ، ملقياً نظرة وداع حزينة على المرأة المُسنّة وعلى البيت الذي آواهُ]

* * *

الفصل الثالث

بعد شهر تقريباً، في نيسان/أبريل يتغيّر المشهد إلى غرفة معيشة الآنسة ريفندال في بيت بالمستوطنة السكنية في يوم مشمس . أثاث بسيط وجميل : صوفا، كراسي ومنضدة صغيرة، إلخ . بيانو مُشرَع وعليه نوطات موسيقية . تتوزع في الغرفة زهور وكتب لوحات فنية منسوخة علقت على الجدران . المُصطلى في الطرف الأيسر . باب في الطرف الأيسر يؤدي إلى صالة ، وآخر في الطرف الأيمن يؤدي إلى الغرف الداخلية. تدخل خادمة من اليسار ، وهي ترشد البارون والبارونة ريفندال وكوينسي ديفنبورت . البارون رجل طويل القامة ونحيل وشعر رمادي وتصرفات عسكرية، له جبين ضيق يوحي بالصرامة، ولكن عدا ذلك فهو ذو مظهر صادق ومميّز؛ لحيته قصيرة بيضاء محفوفة بعناية، ويرتدي ثياباً أوروبية أنيقة . ورغم أن ريبَتهُ العصبية الدائمة، تلك الريبة التي يتّسم بها المسؤولون الروس،

تطغى على وقارِه فهو لم يفقد ذاك الوقار أبداً ؛ فعصبيته ، وعلى الرغم من جانبها المُضحِك، ليست سوى انعكاساً مأساوياً واضحاً لموقعه الوظيفي . أما إنجليزيته فتحمل لمسات أجنبية في اللكنة والمفردات ، ولكنها أفضل بكثير من إنجليزية زوجته ، التي اكتسبتها من خلال الفرنسية . البارونة جميلة، ترتدي اللون الأحمر في آخر صيحات الأزياء الفرنسية، وتتوهّجُ من خلال المجوهرات الغرائِبية حول رقبتها وحنجرتها ومعصمها . وهي تومىء بحرَية بيدها التي تبرقُ بخواتم ثمينة ، عندما تخلع قفازها . والبارونة ، الواعية لفتنتها ، أصغر بكثير من البارون . أما مظلتها ، المتماشية مع ثوبها، فتوحي بما يشع خارجها من شموس. يرتدي كوينسي ديفنبورت بدلة ربيعية ومعطفاً خاصاً بالسيارات المكشوفة وقبعة وضعها بعد ذلك على رفَ فوق المُصطلى .

الخادمة الآنسة ريفندال في حديقة سطح المنزل . سأذهب لإبلاغها [تخرج باتجاه الصالة] .

البارون كم أنتم رائعون أيها الأمريكيون . حدائق في السماء!

كوينسي حدائق ، حقاً! فنحن نزرع أصيصاً ونسميه جنَة. لا، أيها البارون ، فنيويورك هي صحراء من الحجارة والاسمنت .

البارونة (بإنجليزية هجينة) **ولكن ماذا عن الحديقة الجميلة والكبيرة ، التي قدتنا من خلالها ؟**

كوينسي بلا طعم ، بارونة، منحوتات معاصرة ومعارض للوحوش! تذكري حدائق مِديتشي في روما.

البارونة آه، **روما!** [بتنهدٍ وجداني، تجلس على مقعد، ثمّ تتناول حافظة أنيقة للسجائر وتخلع قفازها الأيمن، عارضة خواتمها، وتختار سيجارة . عند ملاحظته ذلك ، يُخرج البارون علبة ثقاب من جيبه] .

كوينسي والآن، عزيزي البارون ريفندال، وبعد أن أحضرتكم بأمان إلى عرين اللبوءة.. إذا ما جازفت بتسميةِ ابنتك هكذا.. فيجب أن أترككم لمهمة الترويض، إيه؟

البارون أنتَ دوماً الأكثر ودّاً. [يشعل عود ثقاب] .

البارونة (بالفرنسية) **لكمْ هي لفتة ساحرة بلا شك** [البارون يشعل لها السيجارة] .

كوينسي [ينحني لها بلباقة بالغة] **لا عليكِ . كل ما في الأمر أن سيارتي ستأخذني إلى النادي، ثمّ سأرسلها لكم ثانية .**

البارونة آه، **شكراً لك .. فتلك السيارات العامة تبدو مريعة.** [تنفث دخان سيجارتها] .

البارون أمرٌ **غير وارد إطلاقاً . فما الذي سيمنع فوضوياً، يجلس إلى جانبكم ، من أن يطلق النار على أدمغتكم؟**

كوينسي ليس لدينا الكثير منها هنا.. ولا أعني بذلك الأدمغة. ها! ها! ها!

البارون ولكنني رأيت مجرمين خارجين عن القانون (ديسبيرادوس) **يتلصصون ، عندما غادرنا يَختك .**

كوينسي أوه، لقد كانوا من رجال الصحافة.

البارون [يهزّ رأسه] **كلا .. إنهم يعلنون عن وجودي لجميع العصابات في الولايات المتحدة . لقد التقطوا صوراً .**

كوينسي إذاً سأضمن أن لا يتعرّف عليك أحد [بضحكة خافتة] **. ألم يوجهوا إليك أسئلة ؟**

البارون نعم، ولكنني كدبلوماسي ، لا أردّ .

كوينسي ولكن ذلك لا يعتبر دبلوماسية في هذا البلد، ها! ها!

البارون (بالفرنسية) **يا لإبليس اللعين!** [يضع يده بسرعة في جيبه الجانبي ، مظهراً طرف مسدسه، تنظر البارونة أيضاً بقلق]

كوينسي ما الأمر؟

البارون [يشير إلى النافذة ويهمس بصوت أجش] **انظر! قاطع طريق يختلس النظر!**

كوينسي [يذهب إلى النافذة] **إنه فقط شخص بائس ، آتٍ إلى المستوطنة السكنية.**

البارون [بصوت أجش] **ولكن تحت إبطه... قنبلة!**

كوينسي [هازاً رأسه ومبتسماً] **قصعة حساء .**

البارونة ها! ها! ها!

كوينسي ما الذي يجعلك بهذه العصبية، بارون؟ [يعيد البارون المسدس إلى مكانه بشيء من الخجل].

البارونة المُثقفون والبُوند (مُختصر باليديشية : الإتحاد العام للعمال اليهود في روسيا القيصرية) ؛ **فجميعهم يكرهون زوجي لأنه مُخلِص للمسيح** [ترسم علامة الصليب] **وللقيصر .**

كوينسي ولكن المثقفين هم في روسيا .

البارون لديهم أفرع هنا.. اللاجئون هم قادتهم.. إنها شبكة شيطانية .

كوينسي حسن، وعلى كل حال ، فنحن لسنا في روسيا ، إيه؟ لا، لا يا بارون، فأنت في مأمن تماماً. ومع ذلك، بإمكانك الاحتفاظ بسيارتي لأي مدة تشاء.. فلدي العديد منها .

البارون ألف شكر [يمسح جبهته] **ولكن بالتأكيد لا يمكن لمحترم الجلوس في حافلة عامة ، محصوراً بين العمال و بنات المتاجر، إن لم نقل اليهود والسود .**

كوينسي هذا ما يجري هنا ، ولكننا سنغير كل ذلك . فلدينا الآن قليل من سيارات الأجرة. أعطنا بعض الوقت، يا عزيزي البارون، أعطنا بعض الوقت. إذ لا يصحّ أن تحكم علينا بمعيارك الأوروبي .

البارون بالمعيار الأوروبي ، يا سيد ديفنبورت، أخجلتنا بكرم الوفادة . فمنذ اللحظة التي أرسلت فيها يختك من أجلنا إلى أوديسا..

كوينسي رجاءً ، لا تعاود التحدث عن ذلك ثانية.. فأنت تعلم مدى لهفتي لإحضاركم إلى نيويورك .

البارون شريطة أن نكون قد وصلنا في الوقت المناسب!

كوينسي هذا صحيح، وأكرر ما قلته لك. إنهما لم يتزوجا بعد..

البارون [يُصرّ على أسنانه ويهزّ قبضته] **أولئك اليهود - الحشرات.. لقد عانيتُ منهم طوال حياتي!**

كوينسي جميعنا نعاني منهم .

البارونة إنهم وباء الحضارة .

البارون ولكن هذه إهانة كبرى. لن تضيف فيرا مثل هذه الإهانة إلى دم الريفنتال .. ولو أدى ذلك إلى أن أرديها قتيلة بيديّ هاتين .. وأردي نفسي في إثرها!

كوينسي لا، لا، يا بارون، هذا ما لا نفعله هنا. وإلى جانب ذلك ، إذا ما أرديتها قتيلة ، فأي حال سأكون عليه؟

البارون [مرتبكاً] **حالك؟**

كوينسي آوه ، يا بارون ، من المؤكّد أنك خمنّت أن الأمر لا يتعلق فقط بكراهية اليهود وإنما بحبِ المسيحيين، ألا توافق؟ [يضحك بعصبية] .

البارون أنت!

البارونة [تصفق بيديها] **أوه، لكم هذا ساحر، ساحر! إنها الرومانسية بعينها!**

البارون ولكنك مُتزوج!

البارونة [محبَطة] (بالفرنسية ثمَّ الإنجليزية) **آه، نعم.. ياللأسف، لكم هو مؤسف!**

كوينسي **أنت تنسى، يا بارون، أننا في أمريكا . القانون يعطي والقانون يأخذ** [بضحكة مكبوتة] .

البارونة **إنه بلد رائع! ولكن زوجتك.. إيه؟.. هل ستوافق؟**

كوينسي **إنها مهووسة بالعودة إلى خشبة المسرح.. سأقيم صالة عرض من أجلها. المشكلة الحقيقية هي في موافقة ابنتكم .. فهي ترفض مقابلتي لأنني انفعلت وطلبت منها أن تقطع علاقتها باليهودي؛ وإني أتطلع إليكما لكي تصلحا الأمور.**

البارونة (بالفرنسية) **تماماً .**

البارون [ينظر إليها باستياء] **أنت تتسرعين ، يا كاتوشا. فما مدى تأثيري على فيرا؟ وأنتِ.. حتى أنها لم تلتق بك أبداً! فطرد اليهودي - الوحش شيء و..**

كوينسي **حسناً ، بأية حال، لا تقتلها.. بل الأفضل أن تقتل الوحش.** [بضحكة مكبوتة] .

البارون **لا يستحق أعداء المسيح حتى إطلاق النار عليهم** [يرسم علامة الصليب] ، **ففي كيشينيف أذقنا الخنازير الأمرين .**

كوينسي [باهتمام] **آه ! لقد قرأت عن ذلك . هل رأيت المذبحة؟**

البارون **أي منها ؟ أعطني سيجارة ، كاتوشا.** [تستجيب له] **كان لدينا عدة مذابح لليهود في كيشينيف.**

كوينسي **أكان الأمر كذلك؟ لقد أسهبتْ الصحف في الكتابة عن واحدة.. منذ أربع أو خمس سنوات.. في عيد الفصح، أظنّ...**

البارون **آه، نعم... ذلك عندما أهان اليهود مسيرة جماهيرية!** [يشعل لنفسه من سيجارة زوجته]**.**

كوينسي **هل فعلوا ذلك؟ كنت أظن....**

البارون [بسخرية] **أستطيع القول. إنها الكذبات التي أشاعوها في الغرب. فالصحافة في أيديهم، اللعنة عليهم. لمعلوماتك، لقد كنتُ في موقع الحدث.** [يتهاوى على كرسي] **كنت مسؤولاً عن المنطقة بأكملها .**

كوينسي [متلهفاً] **أنت!**

البارون **نعم ، وأمرت فوجاً عسكرياً بالإسراع لتلقين الوحوش المُجدّفين دروساً في السلوك...** [يطلق بتمهّل غيمة من الدخان] .

كوينسي [مُصَفِراً] **وو!... أنا.. أنا أقول، أيها الرجل المُسِنّ، أعني البارون، من الأفضل ألاّ تُصرّح بهذا هنا.**

البارون ولم لا؟ فأنا فخور بذلك .

البارونة لقد كُرِّم زوجي من أجل ذلك.. إذ قُلِّدَ وسام القديس فلاديمير (أول من أدخل المسيحية إلى روسيا ٩٥٨ ـ ١٠١٥م).

البارون [بافتخار] وسام من الدرجة الثانية! هل سنسمح لهؤلاء المتعصبين أن يهزأوا بكل ما نعتبره مقدّساً؟ فاليهود هم ألدّ أعداء الأوتوقراطية المقدّسة والكنيسة الأرثوذوكسية الوحيدة . واتحاد عمالهم (البُوند) **هو وراء الثورة جمعاء .**

البارونة بؤرة الطاعون يجب أن تزال!

كوينسي حسناً، لو كنت في موضعك ، لعتّمت على هذا الموضوع . فكيشينيف هي من مُخلفات الماضي، ولا نقوم كثيراً بعملية جردٍ للمذابح الجديدة . ومع ذلك، فنحن حساسون قليلاً...

البارون حساسون! ألم تقتلوا وتحرقوا السود (النِجّر) **عندكم؟**

كوينسي ليس بشكل رسمي . في حين أن منظمتكم ' البلاك هَندرِدس'(منظمة مناصرة للأوتوقراطية والقيصر والكنيسة الأرثوذوكسية ومعادية للثورة) **...**

البارون 'البلاك هندردس' !عزيزي السيد ديفنبورت،هم الجيش الأبيض للمسيح [يرسم علامة الصليب] **وللقيصر، وكيل الله على الأرض . ألم تقرأ أعمال قديسنا بوبيدونوستزف، وكيل المجمّع الكنسي الأكثر قداسة؟**

كوينسي حسناً، بالطبع، لقد شعرتُ دوماً أن هناك وجه آخر للرواية ، ومع ذلك...

البارونة لربما هو محق ، ألِكسيس . فقد قال لي سفيرنا ذات مرة ان الأمريكيين عاطفيين أكثر من كونهم متحضرين.

البارون آه، دعيهم ينتظرون حتى تجتاح بلادهم عشرة ملايين حشرة.. وسنرى كم من الوقت سيبقون عاطفيين. فكري في ذلك! أسراب تزحف وتدبّ في كل مكان، يا للقرف! لقد دمروا فلاحينا عن طريق ديونهم وخمّاراتهم، ودمروا جيشنا بدعاياتهم الثورية، ودمروا طبقات محترفينا والمهنيين لدينا بانتزاع جميع الجوائز وكراسي الأستذة منهم ، دمروا طبقاتنا التجارية باحتكار صناعة السكر وحقول النفط وتجارة

الأخشاب.. لماذا، إن إعطيناهم حقوقاً متساوية، فإنهم سيهيمنون على بلدنا المقدَس روسيا.

البارونة (بالفرنسية) **يا إلهي! هذا صحيح** (بالإنجليزية) **سنصبح نحن الروس الأصليين عبيداً.**

كوينسي إذاً ما الذي تنوون فعله بهم؟

البارون ثلثٌ سَيُنصَّر، وثلثٌ سيُذبح، والثلثُ الأخير سيُهجّر إليكم. [يشعل عود ثقاب ليعيد إشعال سيجارته] .

كوينسي [بارتعاد] **شكراً، يا عزيزي البارون... فقد طفح الكيل بذلك اليهودي الذي أرسلته . ونحن عازمون على إيقاف هجرة جميع الغرباء .**

البارون وقف هجرة جميع الغرباء.. ؟ ولكن ذلك عمل همجي!

كوينسي حسناً ، دعنا لا نضيع وقتنا في مشكلة اليهود... فمشكلتنا الصغيرة مع اليهودي كافية، أليس كذلك؟

تخلّص من عازف الكمان التافه هذا ، وقد يكون لديَ عندئذ فرصة للنجاح . إلى اللقاء يا بارون .

البارون إلى اللقاء [ممسكاً بيده] **ولكنك في الواقع لست جاداً بصدد فيرا؟** [تقوم البارونة بإيماءة تنمّ عن الانزعاج] .

كوينسي لست جاداً، يا بارون؟ لماذا، فالزواج منها هو الشيء الوحيد الذي أردته دوماً ولم أتمكن من الحصول عليه.

إنه لعذاب! بارونة! إني أعتمد على تعاطفك. [يُقبّل يدها ، ليُضفي على تصرَفه طابعاً أجنبياً] .

البارونة [بموافقة عاطفية] (بالفرنسية) آه، **الحب! الحب!** [يخرج كوينسي، متناولاً معطفه أثناء عبوره] **كان بإمكانك إعطاؤه بعض الدعم والتشجيع، يا أليكسيس .**

البارون **صمتاً كاتوشا، تحمّلت هذا الرجل في أوروبا فقط لكونه صِلة الوصل مع فيرا .**

البارونة **ولكنك قبلتَ يَخته و...**

البارون **لو كنت أعرف آراءه الصفيقة عن الطلاق...**

البارونة **أخلاقياتك هذه تصيبني بالغثيان. فأنت المسؤول الوحيد المُعدَم في بِسأريبيا** (إحدى مقاطعات روسيا القيصرية، مولدافيا حالياً) .

البارون **صمتاً! ألم أمنع...؟**

البارونة **أمنع ، أمنع! لقد خدمت القيصر طوال حياتك، وليس بمقدورك تملّك سيارة واحدة . وصهرٌ مليونير هو أقلّ ما تدين به لي .**

البارون **بماذا أدين لك؟**

البارونة نعم، فعندما تزوجتك، ظننت أن لديك منصباً مرموقاً. ولم أكن أعرف بأنك إنسان شريف جداً لا يمكن استغلاله . لم تكن صريحاً معي أليكسيس .

البارون كنت تعرفين أنني من عائلة ريفندال. والريفندياليون يبقون أيديهم نظيفة... [يتوجه فجأة على أطراف أصابعه إلى الباب المؤدي للصالة ، ويفتحه بسرعة . لا يرى أحداً . يغلق الباب خِلاً] .

البارونة [كانت تشاركه تَرقَبه إلى أن تمّ فتحُ الباب،ولكنها الآن تنفجر في ضحكة ساخرة] **حبذا لو فكرت أقل بسلامتك النفيسة، وأكثر بي وبفيرا...**

البارون هسْ! فأنت لا تعرفين فيرا. لقد رأيتِ كيف امتنعت عن الإفصاح بإسمي . فلربما كانت سترفضني، كما رفضت صحن لحم الخروف الذي يخصّ القيصر.

البارونة صحن القيصر...؟

البارون ألم أخبرك بالقصة من قبل؟ عندما كانت لا تزال طالبة في الثانوية الإمبراطورية.. قام الإمبراطور، أثناء زيارته السنوية بتذوّق طعامهم هناك . وقد مُنِحت فيرا، كممثلة للطالبات، شرف إنهاء بقية الطعام من صحن جلالته.

البارونة [برعبٍ يخالطه الشكّ] **أرفضتْ الصحن؟**

البارون **أعطته للخادمة** [صمت رهيب] **فهل تظنين أن بإمكاني فرض زوج عليها . لا ، كاتوشا ، فعلي أن أكسب حبها لنفسي وليس لأصحاب المليارات.**

البارونة [غاضبة مرة ثانية] **أناني دوماً وبشكل مروّع!**

البارون **أقول لكِ! لا سلطة لي عليها** [بمرارة] **، لِمَ لاأتمكن أبداً من فرض سلطتي على نسوتي؟**

البارونة **لأنك تظن أنهن عسكرك. سكوتْ! قِفْ! ممنوع! إلى اليمين دُرْ! أمام سِرْ!**

البارون [بتجهّم] **أتمنى لو ظننتهنَّ عساكري.. عندها لكنت جربت السوط .**

البارونة [تنهض غاضبة وتهزَ مظلتها باتجاهه] **أنت أيها البربري البريطاني !**

فيرا [من خارج الباب المؤدي للغرف الداخلية] **نعم شكراً لك، آنسة أندروز . أعرف أن لديَ زائرين .**

البارون [بسعادة] **صوت فيرا!** [تخفض البارونة مظلتها. ينظر البارون بشوق نحو الباب . يُفتح، تدخل فيرا وفي عينيها نظرة مستعلمة] .

فيرا [بصدمة كبيرة من المفاجأة] **أبي!**

البارون فيروتشكا!.. حبيبتي الغالية! [يتحرك باتجاهها، ولكنه يقف لعدم تجاوبها] **لماذا ، لقد غدوتِ أكثر جمالاً من أي وقت مضى .**

فيرا أنتَ في نيويورك!

البارون ترغب البارونة برؤية أمريكا . كاتوشا، هذه ابنتي .

البارونة [بعذوبة حلوة] **وابنتي أيضاً، إذا ما سمَحتْ لي بحبها.**

فيرا [تنحني لها ببرود، ولكنها لا تزال تخاطب أباها] **ولكن كيف ؟ متى ؟**

البارون لقد أتينا للتو و....

البارونة [مقاطعة] **أعارنا ذلك الرجل الفتيّ الرائع يَخته.. إنه يُعشَق .**

فيرا أي رجل فتيّ؟

البارونة آه، يبدو أن هذه الصغيرة الغندورة لديها الكثير منهم.. ها! ها! [تلمس فيرا بمظلتها مداعبة] .

البارون أردنا أن نجعلها مفاجأة سارّة .

فيرا إنها مفاجأة بالتأكيد .

البارون [مُثبطاً] **أنتِ لا... تتصرفين كابنة مُحبَة.**

فيرا أتذكر عندما رأيتني آخر مرة؟ لم تُبْدِ الكثير من الأبوة آنذاك .

البارون [يغطي عينيه بيديه] لا تستدعي ذلك إلى خاطري؛ فهو يُؤلم كثيراً.

فيرا كنت في قفص الاتهام .

البارون كان الأمر مرعباً . كرهتكِ من أجل شيطان الثورة الذي دخل إلى روحِك . ولكنني شكرت الله عندما تمكنتِ من الهرب.

فيرا [أقل حدّة] أظن انني كنت حزينة من أجلك أكثر من حزني على نفسي . وآمل ، على الأقل ، أن لا تكون قد مسّتك أية شبهة .

البارونة [بتلهّف] بلى.. سيل من الشبهات. ولا يزال يرزح تحتها. لِم عيّنوا سوكوفالوف سفيراً بدلاً منه ؟ وحتى الآن هو يخاطرُ بكل شيء في سبيل رؤيتك ثانية. آه، يا طفلتي، في رقبتك دين كبير عليكِ تسديده .

فيرا أي دَينٍ هو ذاك، وكيف أسدده؟

البارون أن تحبينني ثانية، يا فيرا .

البارونة [تخبط بقدمها] أليكسيس أنت تقاطع..

فيرا **ما أخشاهُ، يا أبي، أننا كبرنا غرباء عن بعضنا.. وأفكارنا متناقضة بشكل.. .**

البارون **ليس الآن، فيرا، أكيداً ليس الآن؟. فأنت لم تعودي** [يخفض صوته ويتطلّع حوله] **من الثوار؟**

فيرا **لربما من غير متفجرات ، وأشكر السماء لأنه قُبضَ عليّ قبل أن أنفّذ أي عمل فعلي . ولكن إن كنت تعتقد أني أقبل الأمور كما هي، فأنت مخطىء. لقد ناضلت في روسيا ضد الأوتوقراطية... .**

البارون **هسْ! هسْ!** [ينظر حوله بعصبية] .

فيرا **وهنا أناضل ضد الفقر. لا، يا أبي، فالمرأة التي سمِعتْ النداء ذات مرة، ستكون دوماً مخلوقاً متطرفاً .**

البارون **ولكن** [خافضاً صوته] **تلك النوادي الثورية الروسية هنا.. أنتِ لست عضوة فيها ؟**

فيرا **لا أؤمن بثورات تنفّذ من مسافة بعيدة آمنة . ولقد وجدت هدفاً لحياتي في أمريكا .**

البارون **لكم أنا مُفتتِن بهذا، فيرا، مُفتتن .**

البارونة [بشعور فيّاض] **إسمحي لي أن أقبلكِ..** (بالفرنسية) **الطفلة الجميلة .**

فيرا أنا لا أعرفكِ إلى الآن بشكل كافٍ. سأقبّل أبي .

البارون [بصرخة ابتهاج] **فيرا!** [يعانقها بعاطفة] **أخيراً! أخيراً! وجدت صغيرتي فيرا ثانية!**

فيرا لا، يا أبي، فابنتك فيرا تنتمي إلى روسيا مع أمها وأيام الطفولة السعيدة. ولكنني من أجلِهم.. [تنهار منفعلة] .

البارون آه، أمك المسكينة!

البارونة [بغنج] **أليكسيس ، يخالجني شعور بأنني مُتطفِّلة هنا!** [تبدأ بالتوجه نحو الباب] .

البارون لا، لا، كاتوشا، ستتعلم فيرا كيف تحبكِ أيضاً .

فيرا [للبارونة] **ماالذي يعنيه إن أحببتك؟ فأنا لا أستطيع العودة إلى روسيا إطلاقاً .**

البارونة [بعد برهة] **ولكن بإمكاننا القدوم إلى هنا.. مراراً.. عندما تتزوجين .**

فيرا [متفاجئة] **عندما أتزوج؟** [بنعومة، خجلة] **أتعرفين؟**

البارونة [مبتسمة] **نحن نعرف أن ذلك الرجل الفتي يعشق الأرض التي تمشين عليها!**

فيرا [خجلة] **هل رأيتم ديفيد؟**

البارون [بأجاشة] **ديفيد !** [يضمّ قبضته] .

البارونة [تتنحى قليلاً إلى الجانب ، وتومىء أكثر مما تتكلم] **هسْ! دَع الأمر لي!** [بعذوبة] **أوه، لا لم نرَ ديفيد .**

فيرا [تنقل نظرها بين الواحد والآخر] **لم تروه..؟ إذاً عمَن.. تتحدثون؟**

البارون عن ذلك الوسيم المعشوق السيد ديفنبورت.

فيرا ديفنبورت!

البارونة الذي يجمع ما بين تصرفات الأوربيين وملايين الأمريكيين!

فيرا [تنفجر بضحكة صبيانية] **ها! ها! ها! هكذا إذن السيد ديفنبورت تحدّث إليكم! ولكن يبدو أنكم نسيتم جميعاً نقطة صغيرة.. فالزواج من امرأتين غير مسموح به حتى لأصحاب الملايين .**

البارونة آه، ليس كلتاهما في آن واحد، ولكن... .

فيرا أو تظنين أنني سأقبل أن أحلّ محل امرأة مهجورة؟ لا، ليس حتى لو كانت ميتة .

البارونة أنتِ تهينينني !

فيرا **أرجو المعذرة.. لم أكن حتى أفكر فيكِ . أبي، سيضع حداً لهذا النقاش السخيف في الحال، ودعيني أعلمكِ بأنني الآن مخطوبة .**

البارون [يرتجف، بأجاشة] **للذي يُدعى ديفيد .**

فيرا **نعم.. ديفيد كيكزانو .**

البارون **يهودي!**

فيرا **كيف عرفتَ ذلك؟ نعم، إنه يهودي، من النبلاء .**

البارون **يهودي نبيل!** [يضحك بمرارة] .

فيرا **نعم.. وحتى حسب مفهومك لنبل المَحتد.. هو من سلالة النبلاء الأصيلين . لقد كان أسلافه من الهَيْدلجيين** (هَيدَلجوس : لقب لنبلاء إسبان) **والمَحظيين في قصر فرديناند وإيزابيللا ؛ وخلال عملية الطرد الكبرى في عام** ١٤٩٢، **فضلوا النفي إلى بولندا بدلاً من التنصير.**

البارون **وأنتِ، من آل ريفندال تتزوجين من كلبٍ غير معمَّد!**

فيرا **كلب! وتسمّي زوجي كلباً!**

البارون **زوج! يا إله السماء.. أأنت متزوجة الآن؟**

فيرا **لا، ولكون ديفيد ليس مليونيراً عاطلاً عن العمل مثل السيد ديفنبورت، فنحن نقطع عهوداً أبدية.** [بسكون]

فقرنا ، وليس تحاملكم، يقفُ عائقاً أمام زواجنا. ولكن ديفيد موسيقي عبقري، ويوماً ما... .

البارونة عازف كمان في صالة للبيرة! إنها تفضل موسيقياً على مليونيير من أرقى العائلات الأمريكية .

فيرا [بازدراء] **أرقى العائلات! لقد قلت لكم بأن عائلة ديفيد جاءت إلى بولندا في عام ١٤٩٢.. قبل أشهر من اكتشاف أمريكا .**

البارون فلينقذنا المسيح! لقد أصبحت يهودية!

فيرا ليس أكثر من كون ديفيد قد صار مسيحياً. فنحن الآن قد توحدَنا.. كما جميع الشرفاء . بالتأكيد، يا أبي، فعلى جميع الديانات أن تخدم الإله نفسه.. لأن هناك إله واحد يُخدَم .

البارونة الفتاة مُلحدة!

البارون صمتاً، كاتوشا ! دعيني أتعامل مع ابنتي . [يغيّر نبرته إلى الرثاء وآخذاً بوجهها بين يديه] **أوه، فيرا، فيروتشكا، يا حبيبتي الغالية. كنت أفضّل بقاءك مدفونة في سيبيريا من أن...** [ينهار] .

فيرا [متأثرة، تجلس إلى جانبه] **بالنسبة لك، يا أبي، كنت لك كما لو دُفنت في سيبيريا. لمَ أتيت إلى هنا لتنكأ الجرح من جديد؟**

البارون **يا ليتني بكرت في المجيء. ليتني لم أخشَ الجواسيس الروس بهذا القدر . آه، فيروتشكا، لو كنتِ فقط تعلمين كيف بحثتُ في صور الصحف عنكِ، وفي المقالات عن حياتك في هذه المستوطنة السكنية!**

فيرا **لقد طلبت مني ألا أرسل رسائل .**

البارون **أعرف، أعرف.. ومع ذلك كنت أشعر أن بإمكاني المخاطرة بالنفي إلى سيبيريا من أجل أن أقرأ ثانية خط يديك العزيز والجميل .**

فيرا [بنعومة أكثر] **أبي، إذا كنت تحبني بهذا القدر، فمؤكد أنك أيضاً ستحبُ ديفيد قليلاً.. من أجلي.**

البارون [خدراً] **أحب.. يهودياً؟ مستحيل** [يرتعد] .

فيرا [تبتعد عنه، ببرود شديد] **وكذلك إذاً سيكون حبي لك. لقد اخترت أن تعود إلى حياتي ثانية بعد سنين طويلة من الألم والفراق. سيسعدني أن أستعيد عاطفة**

طفولتي القديمة شريطة ألا تكره ديفيد ، عليك أن تختار!

البارون [بشفقة] **أختار؟ ليس لدي أي خيار. هل بإمكاني حمل الجبال؟ تماماً كما ليس بإمكاني حبَ يهودي** [ينهض بتصميم] .

البارونة [التي كانت مبتعدة، مغتاظة ومهتاجة، تعود إلى زوجها وهي تصفق] **برافو!**

فيرا [تذهب إليه ثانية، مُتملقة] **لم أطلب منك أن تحمل الجبال ولكني وددت لو تسقط الجبال التي تحملها.. جبال التحامل. انتظر حتى تراه .**

البارون لا أريد رؤيته.

فيرا إذاً فاستمع إليه.. فهو سيؤلف موسيقى للعالم أجمع. باباشا ، أنت لا يمكنك تجاهله بما عُرِف عنك من هيام بالموسيقى . فكأنك بتجاهله كمن يتجاهل روبينشتاين.

البارونة ولكن روبينشتاين لم يكن يهودياً.

فيرا روبينشتاين كان صبياً يهودياً عبقرياً، تماماً مثل ديفيد.

البارونة ولكن والديه كانا قد عُمِّدا مباشرة بعد ولادته. عرفت هذا من راعيته الدوقة الكبرى هيلينا بافلوفنا .

فيرا وهل يغيّر الماء الخارجي الدماء في الداخل؟ روبينشتاين كان عازف البيانو في البلاط وأنعم عليه القيصر بالأوسمة . وأنت، يا خادم القيصر، هل تجرؤعلى القول إنه لا يمكنك مقابلة روبينشتاين؟

البارون [مضطرباً] لم أقل إنه لا يمكنني مقابلة روبينشتاين .

فيرا عملياً، قلت ذلك. سيكون ديفيد أعظم من روبينشتاين. تعال ياأبي، سأهاتفه ؛ فهو على مرمى حجرٍ منا .

البارونة نحن لن نقابله!

فيرا [متجاهلة إياها] سيحضر كمانه ويعزف لك. وكما ترى، يا أبي المدلل ، أنت الآن أقل تجهماً.. والآن أزلْ آخر تغضّنٍ عن جبينك [تربت على جبينه] لا بأس، سيصقلها ديفيد بموسيقاه كما صقل أجداده التوراتيون ملكهم شأول (طالوت) .

البارونة لن نستمع إليه!

البارون صمتاً، كاتوشا! أوه، يا صغيرتي فيرا، لم أفكر كثيراً عندما تركتك تدرسين الموسيقى في بطرسبورغ ..

فيرا [تبتسم مُتملقة] ولذلك علي الزواج بموسيقي . وكما تعلم، يا أبي المدلل، ففي المحصلة، تصبّ الأمور جميعها في الموسيقى. الآن، سأذهب لإجراء مكالمة هاتفية. فأنا

لست ملاكاً لتحَمّل أحدهم هنا. [تذهب باتجاه الباب المودي إلى الصالة وهي تبتسم بسعادة] .

البارون [بآخر صرخة ألم تعزز رفضه] **قفي !**

فيرا [تلتفت إليه ، وهي تلقي بتحية عسكرية ساخرة] **نعم باباشا** (أبي) .

البارون [منهزماً أمام ابتسامتها الخبيثة] **أنتِ .. أنا.. هو.. هل تحبين هذا اليهو.. ديفيد بهذا القدر؟**

فيرا [بمأساوية مفاجئة] **أفضّل قتلَ نفسي على التخلي عنه** [تعاود الابتسام] **ولكن دعنا لا نتحدث عن الجنازات في هذا اليوم السعيد المفعم بأشعة الشمس ولمّ الشمل.** [تُرسل له قبلة في الهواء وتخرج باتجاه الصالة] .

البارونة [**غاضبة**] **أنت مثل الشمع بين يديها!**

البارون إنها الإبنة الوحيدة التي رزقت بها، كاتوشا، ذراعاها الصغيرتان طوقتا عنقي؛ وفي حزنها الطفولي احتضن وجهها الندي المبلل وجهي الضئيل . [يتهاوى على كرسي مُسنداً رأسه إلى المنضدة] .

البارونة [تقترب منه هازئة] **إذاً سيكون لك صهر يهودي!**

البارون أنت لا تعرفين ما يعنيه لي الإحساس بذراعيها تطوقانني من جديد.

البارونة وطفلٌ معقوفُ الأنف يناديك يا جدي، ووجههُ الدبق يُطبق على وجهك.

البارون [يخبط بقبضته على المنضدة] **لا تدفعيني إلى الجنون!** [يضع رأسه على المنضدة مرة أخرى] .

البارونة إذا خذني إلى مكان إقامتنا .. فأنا لن أقابله .. يا أليكسيس! [تنقر على كتفه بمظلتها. ولكنه لا يتحرك] **أليكسيس إيفانوفيتش! ألا تسمع!** [تخبط بقدمها الأرض] **إذاً سأذهب لوحدي إلى الفندق** [تمشي بغضب باتجاه الصالة، وقُبيل وصولها يفتح الباب وتدخل الخادمة وخلفها الهِر بابلمايستر حاملاً مظلته . تتغيّر نبرة صوت البارونة فوراً إلى لهجة اجتماعية عذبة] **كيف حالك هِر.**

بابلمايستر؟ [تمدّ يدها بالتحية التي يأخذها بتراخٍ] **ألا تذكرني؟.. لا؟** [تخرج الخادمة] **كنا مع السيد كوينسي ديفنبورت في فيزبادن... البارونة ريفندال.**

بابلمايستر هكذا إذاً ! [يترك يدها] .

البارونة نعم ، لقد كانت حماسة البارون لك هي التي منحتك وظيفتك الحالية.

بابلمايستر [مقوساً حاجبيه] **هكذا إذاً !**

البارونة نعم.. هو هناك! [تلتفت نحو البارون] **أليكسيس، انهض!** [تنقر عليه بمظلتها] ، **يبدو أن الهواء الأمريكي يجعل البارون نعِساً بشكل كبير .**

البارون [ينهض خدراً وينحني] **سعيد بمقابلتك، هِر... .**

البارونة بابلمايستر! أنت تذكر بابلمايستر العظيم .

البارون [يصحو، ويصبح مُتأهباً] آه، **نعم، نعم ياللعار.. لِمَ لم تُحضِر إطلاقاً فرقتك الموسيقية إلى روسيا ، هِرْ بابلمايستر؟**

بابلمايستر [مذهولاً] **روسيا؟ لم يخطر على بالي قط الذهاب إلى روسيا.. إذ تبدو في غاية اللاتمدّن .**

البارونة [غاضبة] **غير متمدنة؟ لماذا، فلدينا أفضل المطاعم في العالم! وأفضل الهواتف!**

بابلمايستر هكذا إذاً !

البارونة نعم ، وأكثر عروض الباليه جمالاً.. فروسيا يُساءُ تقديرها بشكل مريع [تتحرك هنا وهناك بغضب حارق . بابلمايستر يغمغم باستنكار . تعود فيرا من الصالة، ضاحكة وسعيدة] .

فيرا **سيأتي إلى هنا حالاً .** [تطلق صرخة للمفاجأة السعيدة] **هِرْ بابلمايستر! هذا مبعث سرور حقيقي** [تقدم يدها إلى بابلمايستر فيقبّلها] .

البارونة [هامسة للبارون] **دعنا نغادر قبل أن يصل** [البارون يتجاهلها وعيناه النهِمتان على فيرا] .

بابلمايستر [لفيرا] **سآتي مرة أخرى.. فلديكِ ضيوف**

فيرا [مبتسمة] **فقط أبي و..**

بابلمايستر[متفاجئاً] **أبوك؟ هكذا إذاً !** [يضرب على جبينه] **ريفندال!**

البارونة [هامسة للبارون] **أقول لك ، لا أريد مقابلة يهودي .**

بابلمايستر لا شك أنك تريدين التحدّث إلى أبيك. كل ما أردته هو عنوان السيد كيكزانو . لقد قالت لي خادمة البيت الإرلندية إن الطائر قد طار .

فيرا [برصانة] **لا أعرف إن كان يتوجب علي إخبارك أين هو عشُه الجديد ..**

بابلمايستر أخ!!

فيرا [مبتسمة] **ولكنني سأجعل الطائر يحط هنا .**

بابلمايستر[يتلفت حوله] **ستجعلين السيد كيكزانو يتواجد معنا؟**

فيرا [بسعادة] **بتصفيقة من يديَّ** [وبغموض] **فأنا ساحرة .**

البارون [الذي كانت عيناه ملتصقتين بفيرا] **أنتِ كذلك بالتأكيد . ولا أعرف كيف سحرتني طوال الوقت** [تحملق فيه البارونة].

فيرا **أبي العزيز المُدلل** [تقترب منه وتعبث بشَعره] **هِرْ بابلمايستر، حدّث أبي عن موسيقى السيد كيكزانو .**

بابلمايستر [هازّاً رأسه] **الموسيقى لا يمكن التحدّث عنها .**

فيرا [تبتسم] **هذا أمر معقّد بالنسبة للنقّاد . ولكن أخبر أبي كم عبقري هو ديف.. السيد كيكزانو .**

البارونة [تقاطع بنفاذ صبر] **وداعاً، فيرا.** [تدفع بيدها إلى فيرا مودَعة ، وفيرا تستجيب لها] **أعاني من الصداع. أرجو المعذرة . هِرْ بابلمايستر** (بالفرنسية) **سعيدة برؤيتك .**

[يُسرع بابلمايستر إلى الباب ويفتحه لها ، تلتفت البارونة وتُحملق في البارون] .

البارون [مهتاجاً] **دعيني أرافقك إلى السيارة ..**

البارونة **يمكن أن تقابلني في الفندق بأسرع وقت.**

البارون [لفيرا] **لن أقول وداعاً ، فيروتشكا ، سأعود** [يذهب باتجاه الصالة ثمّ يلتفت] **سَتدَعين روبينشتاينكِ ينتظر، أليس كذلك؟** [فيرا تبتسم بودّ] .

البارونة **أنتَ تدعني أنتظر** [البارون والبارونة يخرجان] .

بابلمايستر والآن أوجدي لنا السيد كيكزانو!

فيرا ليس بهذه السرعة . ما الذي تخططه له ؟

بابلمايستر سأضعه في فرقتي الموسيقية!

فيرا [بنشوة] **أوه ، أيها العزيز!** [ثمَّ تتغيّر نبرة صوتها إلى خيبة أمل] **ولكنه لن يشارك في أوركسترا السيد ديفنبورت .**

بابلمايستر لم تعد هناك أوركسترا للسيد ديفنبورت. لقد طردني، ألا تتذكرين ؟ الآن أنا ربَ العمل.. كيف تقولون ذلك بالأمريكية ؟

فيرا [تبتسم] **العرض الخاص بك .**

بابلمايستر نعم، فرقتي الموسيقية الخاصة. فعندما تركت ذلك المليونير صاحب الأوبرا الكوميدية، وقف جميع أفراد الأوركسترا في صفي عدا واحداً .

فيرا لكم هو رائع منهم!

بابلمايستر جميعهم عدا المسيحي .. الذي كان صامداً، ووقف في صف المليونير. وهكذا فقدت عازف الكمان الرئيسي الأول في الأوركسترا .

فيرا وسيكون السيد كيكزانو ال.. ، أوه، لكم هذا مبهج! [تصفق بيديها بطفولة] .

بابلمايستر [يتلفتُ حوله بعبثية] **أخ ، لقد فشل السحر.**

فيرا [مرتبكة] **ماذا؟**

بابلمايستر لم تتمكني من إيجاد ديفيد . لقد صفقتِ بيديك.. ولكنه لم يتواجد بيننا . ها! ها! ها! [ينفجر في ضحك لطيف صاخب] .

فيرا [تفاطعه بسعادة] **ها! ها! ها! ولكني أخبرتك أنه يجب علي أولاً أن أعرف كل شيء . هل سيحصل على راتب جيد ؟**

بابلمايستر ما يكفي لإعالة زوجة وثمانية أولاد!

فيرا ولكن ليس لديه زو...

بابلمايستر لا ، ولكن المسيحي لديه .. وسيكون لديفيد نفس الشيء.. أعني الراتب ، ها! ها! وليس الأولاد . ومن ثمَّ يمكنه أن يكون مستقلاً.. سواء أأعجب الجمهور الأحمق بسمفونيته الأمريكية أم لا.. (بالألمانية) **أليس كذلك ؟**

فيرا كم أنت طيب معنا.. [بسرعة تصّحح جملتها]**.. مع السيد كيكزانو.**

بابلمايستر [يبتسم] **ورغم أنك غير قادرة على أن تحضريه إلى هنا، سأقدم سيمفونيته... أليس كذلك؟**

فيرا **أوه، هِرْ بابلمايستر! أنتَ مَلاك .**

بابلمايستر (بالألمانية ثمّ بالإنجليزية) **كلا، كلا يا طفلتي العزيزة! أخشى أنني لا أمتلك هيئة الملاك الصحيحة.** [يضحك من أعماقه. طرقٌ على الباب من جهة الصالة] .

فيرا [بسعادة] **الآن سأصفق بيدي.** [تصفق] **ادخل!** [يُفتحُ الباب] **انظرْ إليه!** [تقوم بإيماءة مشَعوذ . يفتح ديفيد الباب، حاسر الرأس وحاملاً كمانه، ثمّ يقف محدَقاً بسرور إلى بابلمايستر] .

ديفيد **أظن أنكِ طلبتِ مني مقابلة أبيكِ .**

بابلمايستر إنها ساحرة. لقد استبدلتنا [يلوّح بمظلته] **بسرعة سحرية، كيف؟ ها! ها!** [يتَجه نحو ديفيد ويصافحه] (بالألمانية ثمّ بالإنجليزية) **وكيف الحال؟ سمعت أنك تركتَ البيت.**

ديفيد **نعم، ولكن لدي قَمرَة** (كابينة) **ممتازة..**

بابلمايستر هل ستسافر بحراً ؟

فيرا [ضاحكة] **لا، لا.. فهذه فقط طريقته في وصف المُلحَق الذي يسكنه بدولارين شهرياً .**

ديفيد **نعم.. مخدعي الملكي في أعلى السطح!**

فيرا [تبتسم] **ستة أقدام مربعة .**

ديفيد **وليس فيها ثلاثة من المُبْحِرين محشورين معي، ولا تتأرجح مع الأمواج أو تتمايل أبداً. إنها قطعة من السماء .**

بابلمايستر ومن السماء هبطت لتعزف في صالة البيرة تلك. أليس كذلك؟ [ديفيد ينظر إليه بدهشة] **لقد استمعت إليك.**

ديفيد **أنت! .. لمَ ذهبت إلى هناك من بين جميع الأماكن؟**

بابلمايستر بحق السماء، لِمَ يذهب المرء من بين جميع الأماكن إلى حانة البيرة ؟ها!ها! أمن أجل الماء ؟ ها! ها! ها! . وعندما سمعتك تعزف، قلت لنفسي.. إذا نجح مخططي وحصلت على صالة كارنِجي (من أهم صالات الحفلات الموسيقية في منهاتن بنيويورك) **من أجل حفلة السبت، فذلك الفتى سيكون واحداً من بين عازفي الكمان الأوائل في فرقتي الموسيقية. أليس كذلك؟** [يضرب ديفيد على كتفه الأيسر] .

ديفيد [مرتبكاً وسعيداً، وإن انكمش قليلاً من أثر الضربة على جرحه] **أكون واحداً من بين أوائل..** [متذكراً] **، أوه ، ولكن مستحيل .**

فيرا [مصدومة] **سيد كيكزانو! عليك أن لا ترفض .**

ديفيد **ولكن هل يعرف هِرْ بابلمايستر عن الجرح في كتفي ؟**

بابلمايستر [مُهتاجاً] **هل كنت جريحاً ؟**

ديفيد **شيء ورثته فقط من روسيا.. ولكنه يخزني عند بعض التقلبات الجوية .**

بابلمايستر وهل يؤثر الألم على عزفك؟

ديفيد **الألم أقله.. ولكنها جميع الذكريات المُرعبة..**

فيرا [مصدومة] **لا تتحدث عنها .**

ديفيد **يجب أن أشرح ذلك لِهِرْ بابلمايستر.. وإلا فلن يكون الأمر عدلاً. حتى الآن يتراءى لي جسد أمي النازف والوجه الوحشي البارد للضابط الروسي، الذي أشرف على المذبحة..**

فيرا **هسْ! هسْ!**

ديفيد [بهيستيرية] **أوه، وجه الجزار.. ها هو يحوم في الهواء، ذلك الجبين الضيق المتعصّب الذي...**

بابلمايستر[ينزل مظلته بحركة مفاجئة] (بمزيج من الإنجليزية والألمانية) **كفى! لم يتجرأ أحد إطلاقاً على الإنهيار أمامي . فعصاي الموسيقية ستبعد جميع تلك الوجوه والتخيلات. أخرجْ كمانك!** [ينقر بمظلته بسلطوية على

المنضدة] **لا تفقد أعصابك!** [يُخرج ديفيد كمانه من الغلاف ويضعه على كتفه. يتابع بابلمايستر سيلَ أوامره الألمانية المخدِّرة والمشجّعة] **إذاً! استعداد! ابدأ!** [يلوِّح بمظلته كعصا قيادة الأوركسترا] **واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة....**

ديفيد [بارتياح كبير] **شكراً، شكراً.. لقد تبددتْ الأشباح الآن.**

بابلمايسترها! ها! ها! أترى. وعندما نعزف سيمفونيتك الأمريكية...

ديفيد [بخدر] **ستعزف سيمفونيتي الأمريكية؟**

فيرا [بخيبة أمل] **ألا تثب من الفرح ؟**

دفيد [لايزال مندهشاً ولكنه سعيد] **هِرْ بابلمايستر!** [قانطاً من جديد] **ولكن ما الذي يضمن أن يفهم مستمعوك ، في صالة كارنِجي ، موسيقاي؟ فالحضور سيكون مجموعة السادة المتحذلقين ذاتها** [يجلس بتعاسة على كرسي ويُنحّي كمانه] .

بابلمايستر أخ، لا.. بالطبع، **البعض قد لا.. فنحن لا نستطيع إبعاد الناس لأنهم يدفعون ثمن تذاكرهم ، أليس كذلك؟** [يضحك] .

ديفيد كان حلمي الدائم أن أعزفها أولاً للمهاجرين الجدد.. أولئك الذين عرفوا ألَمَ العالم القديم وأمل العالم الجديد.

بابلمايستر جَرّبْ سيمفونيتك على كلب.. ما رأيك؟

ديفيد نعم.. على كلب يتحوّل هنا إلى رجل!

بابلمايستر [يهزّ رأسه] **أخشى أن الكلاب والرجال لا يملكون حسّاً موسيقياً على حدَ سواء .**

ديفيد لن يفهم المُهاجرون موسيقاي بعقولهم أو آذانهم، بل بقلوبهم وأرواحهم .

فيرا حسناً ، إذاً لِمَ لا نُقيمها هنا.. في حديقة سطح المنزل؟

ديفيد [يقفز واقفاً] **باس - كول! باس – كول .**

فيرا ماذا تقول؟

ديفيد بالعبرية! تعني صوتٌ من السماء .

فيرا آه، ولكن هل سيوافق هِرْ بابلمايستر؟

بابلمايستر [ينحني] **من يمكنه أن يعصي صوتاً من السماء؟.. ولكن متى؟**

فيرا في أمسية عطلة أو عيدٍ ما.. لِمَ لا يكون الرابع من تموز/يوليو؟

ديفيد [بسعادة أكبر] **باس - كول مرة أخرى!.. سيمفونيتي الأمريكية! تُعزف للناس! تحت سماء الإله! في يوم الاستقلال! مع جميع ال..** [يلوّح بيده تعبيراً عن ذلك، يتنهد ببهجة] **سيكون ذلك الكمال بعينه .**

بابلمايستر هذا ما سنراه. وعليك أن تسمح لي بدعوة...

ديفيد [بخوف] **ليس نُقّاد الموسيقى!**

بابلمايستر [يرفع كلتا يديه والمظلة بخوف مماثل] (بالألمانية ثم بالإنجليزية) **فليمنع ذلك الإله ! ولكن أودَ دعوة جميع الذين يفهمون الموسيقى بحقَ في نيويورك .**

فيرا رائع! ولكن ألا يجب أن تكون لدينا غرفة؟

بابلمايستر غرفة ؟ أريد أربعة أماكن .

فيرا [مبتسمة] **أنت قاس! السيد ديفنبورت كان محقاً .**

بابلمايستر [مبتسما] **لربما يكون الآخرون خارج المدينة. إذاً!** [يمدّ يده إلى ديفيد] **ستأتي غداً إلى كارنِجي في الحادية عشرة، أليس كذلك؟** (بالألمانية) **آنسة** [يُقبل يدها] **إلى اللقاء!** [في طريقه خارجاً] **فى حديقة السطح... أليس كذلك؟**

فيرا إذا سمحتْ بذلك الرياح والطقس .

بابلمايستر أحمل معي دوماً مظلتي . أليس كذلك ها! ها! ها!

فيرا [تدمدم] **أليس هو بشخص فاتن ؟، أليس هو..؟**

بابلمايستر [يتوقف فجأة] **ولكننا لم نحسِم مسألة الراتب.**

ديفيد **الراتب!** [ينظر باندهاش من واحد لآخر] **من أجل شرف العزف في فرقتك الموسيقية !**

بابلمايستر شيلوك !!.. لا بأس.. سنحسم مسألة رطل اللحم غداً. وداعاً [يخرج، يغلق الباب] .

فيرا [بائسة بشكل مفاجىء] **لكم هي أنانية منك، ديفيد.**

ديفيد **أنانية، فيرا؟**

فيرا **نعم.. عندما لا تفكر براتبك . ويبدو كما لو أنك لم تحبني حقاً .**

ديفيد **لا أحبك؟ أنا لا أفهم .**

فيرا [شبه باكية] **فقط عندما كنت في غاية السعادة لمجرد فكرة انه أصبح بمقدورنا الزواج الآن .**

ديفيد **أصبح بمقدورنا؟ الزواج؟ براتبي كعازف كمان أول؟**

فيرا **ليس إذا لم ترغب بذلك .**

ديفيد **حبيبتي ! هل هذا حقيقي؟ كيف لكِ أن تعرفي؟**

فيرا [تبتسم] **أنا لست يهودية، لقد سألت .**

ديفيد **يا ملاكي الحارس** [يحضنها. يجلس، وتجلس بحبٍّ عند قدميه].

فيرا [ترفع إليه ناظريها] **أذا فأنت مهتمّ فعلاً ؟**

ديفيد **يا له من سؤال!**

فيرا **وأنت لا تفكر كلياً بموسيقاك وتنساني؟**

ديفيد **لماذا، وأنتِ وراء كل ما أكتب وأعزف!**

فيرا [بعاطفة غيورة] **وراء ؟ ولكنني أريد أن أكون أمام! أريدك أن تحبني أولاً، وقبل أي شيء آخر .**

ديفيد **إنني أضعك فعلاً قبل أي شيء آخر .**

فيرا **هل أنت متأكّد؟ ولا شيء يفرّق بيننا؟**

ديفيد **ولا جميع البحار السبعة يمكنها أن تفرّق بيني وبينك.**

فيرا **ولن تضجر مني مستقبلاً.. حتى ولو أصبحتَ شخصية مشهورة عالمياً ...؟**

ديفيد [بلمسة من الفظاظة] **حبيبتي، بما أنني أجد أن كل الفضل يعود إليك....**

فيرا [تدني رأسه إلى صدرها] **أوه، ديفيد! لا تغضب من فيرا الصغيرة البائسة إذا ما ارتابت أو أرادت أن تكون متأكدة . لقد كان موقف أبي رهيباً، وفي المحصلة**

فإنني تربيت في الكنيسة اليونانية، وليس علينا أن نسبب كل هذه المعاناة إلا إذا....

ديفيد **يجب أن يعاني أولئك الذين يحبوننا وعلينا أن نعاني لمعاناتهم. هي أمور تنبض بالحياة وليست معادن ميتة يتمّ صهرُها في البوتقة.**

فيرا **ومع ذلك، فعلينا أن نخفف المعاناة بأكبر قدر من...**

ديفيد **نعم، ولكن الوقت وحده يُدمِل الجراح**

فيرا [بتحوّل إلى السعادة] **ولكن يبدو أن والدي قد أذعن الآن قليلاً ! ليت والدي العزيز المُدلل لم يكن ضيق الأفق إلى هذا الحدّ بشأن روسيا المقدسة !**

ديفيد **وليت شعبي لم يكن ضيق الأفق بشأن يهودا المقدسة! فالأبناء لا يجب أن يُكرهوا على قبول مُثُل الآباء المخاتلة . ويجب على كل جيل أن يحيا ويموت وفق أحلامه الخاصة .**

فيرا **نعم، ديفيد، نعم. أنت نبيّ هذا الواقع الحيّ . لكم أنا سعيدة.** [تنظر إليه بتأمّل] **هل أنت سعيد أيضاً؟**

ديفيد **أنا مذهول .. ولا يمكنني إدراك أن جميع مشاكلنا قد ذابت نهائياً.. حدث ذلك كله بشكل مفاجئ .**

فيرا **أنت يا ديفيد؟ أنت الذي ترى دوماً كل شيء وردي اللون؟ أجدك الآن وقد أصبح الأفق بأكمله وردة رائعة وكأنك تُحدّق في الظلام..**

ديفيد **نحن اليهود نبتهج في الأسى، سيّئو الظنّ في السعادة. إنه تاريخنا المأساوي...**

فيرا **ولكنك جئتَ لتنهي التاريخ المأساوي واضطرابات القرون.**

ديفيد **نعم، نعم، فيرا. أنت تعيدين لي إشراقة ذاتي . يجب أن أكون الرائد في طريق السعادة الضائع . اليوم سيكون كله فرح ، كله نشوة العاطفة** [يتناول كمانه] **نعم، سأجعل أوتار كماني تفيض بالفرح!** [يعزف بسرعة رقصة شعبية مفرحة . بعد عدة مقاطع منها هناك قرعٌ على الباب المؤدي إلى الصالة ، لم يتمكنا من فرط سعادتهما سماعهُ ؛ يُفتح الباب قليلاً ويبرز وجه البارون ريفندال وهو يتطلّع بتردَد إلى الداخل . وما أن يلاحظ ديفيد ذلك، حتى تتشنّج ملامحه وينقطع وتر كمانه مُحدثاً صوتاً حاداً ؛ يترنّح ديفيد إلى الخلف بين ذراعي فيرا ، وبصوتٍ أجش] **الوَجه! الوَجه!**

فيرا **ديفيد.. أيها الغالي!**

ديفيد [عيناه مغلقتان، يحتضن كمانه عفوياً] **لا تقلقي.. سأتحسن قريباً.. كان عليَ أن أتحدث عن ذلك.. فالهلوسة لم تكن بمثل هذه الواقعية .**

فيرا **لا تتكلم.. ارتح عند قلب فيرا.. إلى أن تتلاشى وتزول عنك النوبة.** [يتقدم البارون إلى الداخل مذهولاً، أولاً لإحساسه بصدمة كلام فيرا غير المقبول لديفيد، وثانياً بسبب رغبته إراحتها من ثقل معاناتها. تشير فيرا إلى البارون بالتراجع] **هذا من فعل روسيا المقدّسة لديك.**

البارون **ماذا جرى له؟** [يفلت الكمان والقوس من قبضة ديفيد ويسقطان على المنضدة] .

ديفيد **الصوت!** [يفتح عينيه ويحدَق بنظرة هيستيرية إلى البارون، ثمّ يتملّص من يدي فيرا] .

فيرا **أيها الغالي....**

ديفيد **دعيني أذهب** [يتّجه ، كمن يمشي في نومه ، نحو البارون المصعوق ويلمس بيده وجهه متفحصاً]

البارون [مُتنحياً إلى الخلف ومرتجفاً] **أبعد يديك !**

ديفيد [بصرخة عالية] آ.. آ.. آه! **إنه لحم ودم، لا إنه حجر.. رجلٌ من حجر! وحش!** [يرفع يده بشكل هيستيري] .

البارون [مُستلاً مسدسه] **إلى الخلف يا كلب!** [تندفع فيرا بينهما مطلقة صرخة]

ديفيد [مُتجمداً مرة أخرى ، يتفحّص المسدس بلا حراك] **ها! تريد حياتي أيضاً. هل الصرخة لم تكن عالية بشكل كاف؟**

البارون **الصرخة؟**

ديفيد [بهيستيرية] **ألا يمكنك سماعها؟ صوت دم إخوتي وهم يتهمونك من تحت الأرض؟ أوه، كيف تتحمل ألا تدير المسدس إلى رأسك وتنفذ العدالة بحق نفسك ، عدالة حجَبتها عنك روسيا ؟**

البارون **عند حدّك!** [يضع المسدس في جيبه باستحياء] .

فيرا **العدالة بحق نفسه؟ من أجل ماذا؟**

ديفيد **من أجل جرائم تتجاوز العقاب الإنساني ، من أجل آثام تتجاوز كل وصف، من أجل...**

فيرا **أنت تهذي .**

ديفيد **كنت أتمنى ذلك، بحق السماء!**

فيرا **ولكن هذا أبي .**

ديفيد **أبوكِ.. يا إلهي** [يترنّح] .

البارون [يجرّها نحوه] **تعالي، فيرا، لقد قلتُ لكِ...**

فيرا [بهياج، تنكمش متراجعة] **لا تلمسني!**

البارون [يعاود ثانية بذهول] **فيرا!**

فيرا [بأجاشة] **قلْ إن ذلك ليس صحيحاً .**

البارون **ما هو غير الصحيح؟**

فيرا **ما قاله ديفيد. لقد كان الرعاع هم من نكّلوا.. وأن لا يد لك في ذلك .**

البارون [بتجهّم] **كنت هناك مع عساكري .**

ديفيد [مستنداً إلى كرسي، بوجه شاحب وصوت أشبه بالفحيح] **وكنت تنظر بذلك الوجه الحاقد والبارد.. فيما كانت أمّي.. وأ..**

البارون [بتجهّم] **لم يكن بمقدوري رؤية كل شيء .**

ديفيد **ومن وقت لآخر كنت تعطي الأوامر لعساكرك بإطلاق النار..**

فيرا [بارتياح بهيج] **آه، لردع الرعاع.. أمر عساكره بإطلاق النار.**

ديفيد **على كل يهودي يحاول الدفاع عن نفسه .**

فيرا **ياإلهي !** [تسقط على المقعد وتخفي وجهها بالمخدة ، تنوح] **أليس هناك رحمة في السماء؟**

ديفيد **لم تكن هناك رحمة في الأرض .**

البارون **لقد كان الشعبُ يثأر لنفسه ، فيرا. لقد هبَ الناس كالطوفان . كان عليهم إزالة قرون من النهب . فصوت الشعب هو صوت الربّ.**

فيرا [تنوح] **ولكن كان بإمكانك منعهم .**

البارون **لم يكن لدي أوامر للدفاع عن أعداء المسيح** [يرسم علامة الصليب] **والقيصر. فالشعب...**

فيرا **ولكن كان بإمكانكَ منعهم .**

البارون **من كان بإمكانه أن يوقف سيلاً تدفق؟ لقد قمت بواجبي. فواجبات العسكري ليست جميلة كتلك التي للموسيقار .**

فيرا **ولكن كان بإمكانك منعهم .**

البارون [فاقداً الصبر] **صمتاً ! تتكلمين كبنت جاهلة تعميها العاطفة. فالبوغروم** (الشغب المُوجّه ضد مجموعة ما) **هي حربٌ صليبية مقدسة . فهل نحن الروس أول الشعوب التي سحقت اليهودي؟ لا.. فمنذ فجر التاريخ وطأته الشعوب بأقدامها.. المصريون، الآشوريون، الفرس، البابليون، الإغريق، الرومان ، ...**

ديفيد **نعم، هذا صحيح. وحتى المسيحية لم تبتدع الكراهية. ولكننا لم نُحرَق على خشبة الموت إلا عندما نهضت**

الكنيسة المقدّسة، وإلا عندما نهضت روسيا المقدّسة تمّ تمزيق أطفالنا عضواً فعضواً. أوه هذا كثير! لقد سُلِّمنا من مصر منذ أربعة آلاف سنة لنصبح اليوم عبيداً عند الفرعون الروسي، [يسقطُ ، كما لو أنه يركع، على كرسي واضعاً رأسه على مسنده] **يا إلهي، هل كُتب علينا أن تدوسنا عجلة التاريخ على مرّ الأزمان؟ إلى متى؟ آه يالهي، إلى متى؟**

البارون [بوحشية] **إلى أن يتم اجتثاثكم جميعاً ، مطحونين بقذارتكم .** [بلطف] **أنظري فيرا الصغيرة! لقد رأيتِ كيف أن باباشا يحبك.. كيف كان مستعداً لمدَ يده.. وكيف أن هذا الكلب الخسيس حاول عضّها. اهدئي.. قولي له إن ابنة روسيا لا يمكنها الاقتران بالحثالة .**

فيرا **أبي، سأكون هادئة. سأتحدث من دون عاطفة أو عمى بصيرة . سأقول لديفيد الحقيقية. لم أكن أبداً متأكدة من حبي له.. ولربما كان ذلك سبباً في شكّي بحبَه لي.. فكثيراً ما راودتني بعد لحظاتنا الساحرة بعض المشاعر الغريبة، بعض الغرائز المُبهمة، بقايا من قرون طويلة من اشمئزاز لليهود وبعض الانكماش**

الغريب من عقيدته ، التي لا يشغل المسيح فيها مكاناً...

البارون [بصرخة منتصرة] آه، **إنها من آل ريفندال .**

فيرا **ولكن الآن..** [تنهض وتمشي بثبات نحو ديفيد] **الآن، يا ديفيد آتي إليك لأقول كما قالت راعوث : " شعبكَ شعبِي، وإلَهك إلَهي! "** (العهد القديم، كتاب راعوث ١:١٦) [تمدَ يديها نحو ديفيد] .

البارون **أيتها الوقحة..** [يصمت بعد شعوره أن ديفيد بقي سلبياً إزاءها] .

فيرا [بصرخة ألم] **ديفيد!**

ديفيد [بصوت منخفض وبارد] **لا يمكنكِ أن تأتي إلي . فهناك بحر من الدماء بيننا .**

فيرا **لو كانت هناك سبعة بحار، فعلى حبنا أن يعبرها .**

ديفيد **هي كلمات بسيطة بالنسبة إليك. فأنتِ لم تري سيل الدماء الذي حمل أثداء النسوة المبتورة وأدمغة الأطفال والرضُع المتناثرة . أوه!** [يغطي عينيه بيديه. يدور البارون مبتعداً بوهن كئيب. وأخيراً، يبدأ ديفيد بالحديث بهدوء كالحالم] **لقد كان هو يوم عيد الفصح لديكم، وكان الجو مفعماً برنين الأجراس المقدّسة**

والشوارع تزخر بالمواكب القدسية.. الكهنة مُتشحون بالسواد، والفتيات بالبياض يلوحون بسعف النخل والصلبان ، والجميع يتبادلون بيض الفصح ويقبلون بعضهم البعض ثلاث مرات من فمهم رمزاً للسلام و الود . وحتى الصبي - اليهودي شعر بروح المحبَة تتربع على الأرض ، رغم أنه لم يكن يعرف آنذاك أن هذا المسيح، الذي تعلن الترانيم المقدَسة قيامه (من الموت)**، قد وُلِدَ على هيئة أخ يهودي. وما أضاف لذلك السلام والسعادة المقدسة أن عيد فصحنا كان على الأبواب. كانت أمي قد أعدَت نبيذ العنب لهذه المناسبة، والذي ارتشف منه خلسة أخي الصغير الشرِه سليمان في ذلك الصباح . كنا جميعاً في البيت.. جميعاً عدا والدي.. المتواجد في الكنيس الصغير، والذي كان قائد فرقة الترانيم فيها . آه، كان له ذلك الصوت.. صوت الدموع والرعد.. عندما كان يرتّل الصلوات، وهو أشبه بالروح المجروحة التي تقرع أبواب السماء... ولكن تراتيله كانت أجمل في طقوسنا المنزلية. كم كنا نتطلع إلى أناشيده ، ونحن نجلس إلى طاولة عيد الفصح..** [يتداعى. يلتفت البارون شيئاً فشيئاً تحت تأثير رواية ديفيد وينصت الآن كمن نوّم مغناطيسياً].

كنت أعزف على كماني الصغير المُصدّع. وكانت أختي الصغيرة مريم ترقّص دميتها على أنغامها. آه، تلك الدمية الصينية القديمة البالية.. والوحيدة التي حصلت عليها تلك الطفلة البائسة في حياتها.. وكما أراها الأن.. بعين واحدة، بلا أنف ونصف ذراع . كنا نضحك جميعاً ونحن نرى الدمية وهي تنطّ على إيقاع موسيقاي... . اندفع أبي من خلال الباب شاداً إلى صدره اللفافة المقدسة (التوراة)**. صرخنا طالبين منه أن يجيب عمَا به ، إلى أن رأينا الفم الغالي ، المُفعم بالغناء ، قد فُقد منه اللسان.. وامتلأ بالدم... حاول أبي أن يسدّ الباب.. ولكن الرعاع اقتحموه.. أسرعنا بالخروج من الباب الخلفي إلى الشارع، وكان هناك عساكر.. والوجه..** [تبحث عينا فيرا بشكل لا إرادي عن وجه أبيها، الذي انكمش عندما التقت نظراتهما] .

فيرا [بتنهد خافت] **يا إلهي !**

ديفيد **وعندما عدْتُ إلى وعيي، وألم غريب ينتابني في كتفي الأيسر، رأيت إلى جانبي شيئاً غريباً لا شكل له...** [يشير ديفيد بشكل غير قابل للتصديق إلى أرضية الغرفة، وتميل فيرا إلى الأمام تحدّق بعيون متحجَرة إليها، كما لوأنها ترى المشهد المرعب] **إلى جانب**

الدمية القرمزية كانت تظهر يد، عرفتُ أنها يد الصغيرة مريم . بدَت الدمية صورة عن الجمال والكمال مقارنة بالكتل المشوَهة التي قبعت جانبها، هي كل ما تبقى من أختي ومن أمي ومن سليمان الصغير الشَرِه... أوه!. أنتم المسيحيون لا ترون إلاً الإشراقة الوردية في أفق السعادة . ولم يكن اليهود ورديون بشكل كاف بالنسبة لكم. ها! ها! ها!، اليهود الذين يتلمّسون طريقهم في ذلك الضباب القرمزي الكبير. [يتداعى ديفيد في حالة من الضحك التشنجي التهكّمي الطويل والمرعب] .

فيرا [تحاول بلا طائل أن تهدئه] **هسْ ديفيد! ضحكتك تؤلم أكثر من الدموع . دع فيرا تواسيك** [تجثو إلى جانب كرسيه وتحاول وضع يديها حوله] .

ديفيد [مرتعداً] **أبعديهما! ألا تشعرين بالموت البارد يشقّ طريقه بيننا ؟**

فيرا [يإصرار، تحرَك وجهه نحو شفتيها] **قبّلني !**

ديفيد سأشعر بالدم على شفتي .

فيرا حبي سيمسحه .

ديفيد **حُبّ! حبّ المسيحي!** [يبعد يديها الملفوفتين حوله ؛ وتسقط فيرا مُمدَدة على الأرض وهو يهمّ بالنهوض] **من أجل ذلك تخلّيت عن شعبي.. من أجل ذلك أظلمتُ البيت الذي آواني.. كان هناك دوماً صوت صغير ساكن في قلبي يدعوني إلى العودة إليه، ولكنني لم أكترث لشيء.. سوى لصوت ابنة الجزار.** [بصوت متقطّع] **دعيني أذهب إلى البيت، دعيني أذهب إلى البيت.** [ينظر متلكئاً إلى وضعية فيرا المُمدّدة، ولكنه يتغلّب على مشاعره بلمسها أو مواساتها، ويبدأ بالسير المترنّح والمتقطّع نحو الباب المؤدي إلى الصالة] .

البارون [يمدَ يديه بارتياح و شوق] **وهنا بيتك يا فيرا!** [يرفعها البارون شيئاً فشيئاً عن الأرض ، خدرة ولكنها تعي فجأة من هو صاحب الأيدي التي تحملها، فتطلق صرخة نفور] .

فيرا **هذه الأيدي تفوح منها نتانة ذلك النهر القرمزي!** [تتراجع مبتعدة] .

البارون [بتجهّم] **لا ترددي تلك الترّهات. لقد كنت تأتين إلى تلك الأيدي مراراً عندما كانت تعود ساخنة من ساحة المعركة .**

فيرا **ولكن ليس من المذبحة! سمعت ما أطلقه عليك. لست عسكرياً.. بل جزاراً! أوه ، تجرأت أن أحلم بالسعادة بعد كابوسي في سيبيريا ، ولكنك.. لكنك..** [تنهار للمرة الأولى تحت وطأة نحيب هيستيري] .

البارون [بصوت متقطّع] **فيرا! فيرا الصغيرة! لا تبكي! فأنت تطعنينني في القلب!**

فيرا **كنت تظن أنك تأمر عساكرك بإطلاق النار على اليهود، ولكن قلبي هو الذي كان يُخترق.** [تنتحب] .

البارون **.. وقلبي أيضاً.. ولكن لنواسي بعضنا البعض. سأذهب بنفسي إلى القيصر.. وهامتي محنيَة إلى الأرض.. طالباً مغفرتكِ.. تعالي وضعي وجهك الدامع على وجه أبيك...**

فيرا [تدفع وجهه بعيداً بعنف] **أكرهك! وألعن اليوم الذي ولدتُ فيه ابنة لك!** [تترنّح وهي تتوجه نحو الباب المؤدي إلى داخل المنزل. وفي اللحظة عينها، كان ديفيد، الذي بلغ الباب المؤدي إلى الصالة، قد شعر بأن فيرا تغادر المكان وأن سبب تلكؤه قد زال ، يدير مقبض الباب . يسترعي صوت قرقعة المقبض انتباه البارون، يلتفت إليه] .

البارون [لديفيد] **قِفْ!** [يلتفت ديفيد إليه بشكل آلي. تخرج فيرا من خلال الباب، تاركة الرجلين وجهاً لوجه. يومئ البارون لديفيد، الذي يقترب منه كالنائم . يخرج البارون مسدسه ويقترب ببطء من ديفيد، الواقف كمن ينتظر قدره . يعطي البارون المسدس لديفيد] **كنت محقاً!** [يُسرع إلى الخلف بحركة بطولية كمذنب لحظة تنفيذ حكم عسكري عليه بالإعدام] **اقتلني !**

ديفيد [يأخذ المسدس بشكل تلقائي، ينظر إليه طويلاً متملياً وكأنه لا يعنيه . وشيئاً فشيئاً تتراخى ذراعه ويُسقِط المسدس على المنضدة . هنا ، تلمسُ يده وتراً من كمانه، فيصدر صوتاً . مُتذكراً، يتناول الكمان وما أن تقع يده على الوتر المقطوع حتى يغمغم] **يجب أن أحصل على وتر جديد .** [يجرَ قدميه نحو الباب، مكرراً هذيانه] **يجب أن أحصل على وتر جديد .**

[تسدل الستارة]

* * *

الفصل الرابــع

السبت، ٤ تموز/ يوليو مساءً . حديقة السطح لبيت في المستوطنة السكنية تطلّ على مشهد رائع ومُمتد لمدينة نيويورك، بناطحات سحابها غير المنتظمة إلى الطرف الأيسر (من المسرح) .الميناء وتمثال الحرية إلى الطرف الأيمن . كل شيء مُبلل وبرّاق بُعَيدَ هطول المطر . سور السطح إلى الخلف. المصعد إلى اليمين و مدخل الدرج إلى اليسار . غيوم كثيفة في السماء تتخللها خيوط ذهبية لشمس تشارف على المغيب . يجلس ديفيد على مقعد وسيع، مُحتضناً كمانه، مُحدقاً بكآبة في السماء. يُسمع صوت تصفيق خافت آتٍ من أسفل السطح، يستمر بشِدَات مُتغيرة خلال الجزء الأول من المشهد . يتقاطع مع هذا الصوت ضجيج المصعد، المقبل من الأسفل . يخرج مندل من باب المصعد ويسرع باتجاه ديفيد .

مندل انزل يا ديفيد! ألا تسمعهم يهتفون مطالبين بعودتك؟
[يمرّ بيده على المقعد الندي] **بحق السماء! ستصاب بحمى الروماتيزم!**

ديفيد لمَ تبِعتني إلى هنا ؟

مندل انهض.. فكل شيء لا يزال رطباً وكئيباً .

ديفيد [ينهض، كئيباً] نعم، فهناك ما يسبب الكآبة في كل شيء.

مندل هراء.. لم يقلل المطر من انتصارك إطلاقاً. وفي الواقع، فإن الألحان والمؤثرات الناعمة لم يكن لها أن تُحرز ذاك النجاح في الهواء الطلق . اسمع هتافاتهم لك!

ديفيد دعهم يصرخون، ولكن من أخبرك بمكان وجودي هنا في الأعلى؟

مندل الآنسة ريفندال ، بالطبع .

ديفيد [مُثاراً] الآنسة ريفندال؟ ولكن كيف لها أن تعرف؟

مندل [بتجهُّم] يبدو أنها تفهم أساليبك المجنونة .

ديفيد [يمرّ بيده على عينيه] آه يا عمي، أنت لم تفهمني أبداً.. أقصد كيف كانت تبدو؟ أكانت شاحبة؟

مندل دعنا من الآنسة ريفندال. بابلمايستر يُريدك.. الناس مُصِرون على رؤيتك، ولا أحد يستطيع تهدئتهم.

ديفيد لقد رأوني طوال السمفونية في موقعي في الأوركسترا.

مندل لم يكن يعرفون أنك المؤلف و عازف الكمان الرئيسي في آن واحد . الآنسة ريفندال أخبرتهم الآن. [يتعالى

التصفيق] **اسمع! لقد استمر التصفيق إحدى عشرة دقيقة.. وكما يفعل المتقدّم إلى وظيفة ، عليك أن تذهب وتقدّم نفسك لهم .**

ديفيد **لا أريد.. فأنا لست بباحث عن وظيفة. اتركني في بؤسي.**

مندل **بؤسك؟ مع كل هذا المجد والشهرة التي فتحت أمامك؟ انتظر حتى تصبح في سني..** [تتعالى هتافات منادية 'كيكزانو!'] **أتسمع! ما الذي يجب أن نفعله إزاء ذلك؟**

ديفيد **أرسل أحدهم إلى المنصة ليذكّرهم بأننا في فرصة للإستراحة!**

مندل **لا تكن متهكّماً، فأنت تعلم أن أغلى رغبة لديك كانت إذابة هذه النفوس البسيطة في موسيقاك. و الآن..**

ديفيد **والأن أحيل نفسي حجراً متصلب الفؤاد .**

مندل **أنت محقَ، فأنت مُتحجّر طولاً وعرضاً.. منذ أن رجعت إلينا ثانية. تحوّلتَ إلى عمود من الملح ، كما تقول أمي .. مثل إمرأة لوط .**

ديفيد **كانت تلك عقوبة من ينظر إلى الوراء . آه، ياعمي، فهناك حِكَم في ذلك العهد القديم أكثر مما يتوقعه الحاخامات . ولربما هذا هو سر عجز شعبنا.. فنحن**

ننظر دوماً إلى الوراء. [يهوي، خائب الرجاء، على كرسي الحديقة المعدني الذي خلفه] .

مندل [يمنعه من السقوط قبل أن يلامس الكرسي] **انتبه!.. فهو مشبع بالرطوبة، فأنتَ لا تنظر إلى ما ورائك بشكل كاف** [يُخرِجُ منديله ويبدأ بتجفيف الكرسي] .

ديفيد [بابتسامة باهتة] **حسبت أنك أردت أن يذوب الملح .**

مندل **سيذوب قليلاً إذا ما تمكنت من الابتسام . هل تعلم، ديفيد، لم أرك مبتسماً منذ عصرعيد بوريم ذاك ؟**

ديفيد **وأنت، يا عمي، لم تضع منذ ذلك الوقت أنفاً مستعاراً.** [يضحك بمرارة] **ها! ها! ها! هذا الولع بالتنكّر في أمريكا، فقط لأن اليهود نجوا من بوغروم بلاد فارس قبل خمسة وعشرين قرناً ،ألفين وخمسمائة عام مضت! ألسنا غريبي الأطوار** [يتهاوى على الكرسي المُجفَف] .

مندل [غاضباً] **من الأفضل لك أن تتركنا جميعاً بدلاً من الهزء بنا. كنت أظن أن قلبك اليهودي هو من أعادك إلى بيتنا، ولكن إن كنت ما تزال تَحِنّ إلى الآنسة ريفندال..**

ديفيد [متألماً] **عمي!**

مندل **الأفضل أن أراك متزوجاً منها بدلاً من تَشتتك على هذا النحو، فلن تزيد بيتنا كآبة أكثر مما فعلت .**

ديفيد **عدْ إلى الحفلة، رجاءً. فقد خَفّتْ هتافاتهم .**

مندل [متردداً] **وأنت؟**

ديفيد **أوه، لن أشارك في المقطوعة الشعبية التالية. فقد ارتأى بابلمايستر بأنني قد أتداعى تحت ضغط سيمفونيتي.. فلديه من عازفي الكمان ما يكفي .**

مندل **إذا فلا داعي لتحمل هذا هنا وهناك** [يأخذ الكمان من يد ديفيد] .

ديفيد [يتشبث بها] **لا تسرق مني موسيقاي.. فهي كل ما أملك.**

مندل **ستتلفه مع كل هذا البلل. سآخذه إلى البيت.**

ديفيد **لا...** [يلمح فجأة شخصين يدخلان من اليسار.. فراو كيكزانو وكاثلين مُرتديتين الأفضل وحاملتين أعلاماً أمريكية صغيرة احتفاءً بيوم الاستقلال . كالملاك الحارس ترافق كاثلين السيدة المُسنّة ، التي تتقدم بتمايل وبطء نحو ديفيد . فراو كيكزانو تلهث وتنفخ بعد صعودها العديد من الأدراج. يقفز ديفيد واقفاً بدهشة، تاركاً الكمان لمندل] **يحضران سيمفونيتي !**

مندل أصرَتْ أمي على المجيء، رغم أنه يوم الشابُس، وكان عليها أن تمشي .

ديفيد ولكن ألم تُصدَم بسبب عزفي يوم السَبَت؟

مندل لا.. وهذا هو الجزء الغريب في الأمر . لقد قالت إنك حتى عندما كنت صبياً ، كنت تعزف الكمان في الشابُس ، وإذا كان المولى قد تحمّل ذلك طوال تلك السنين، فلا بدّ أنه كان يعتبرك حالة استثنائية .

ديفيد ألا ترى! إنها أكثر حكمة مما تظن . وأحسب أن أي شيء كنت أفعله كانت تعتبره حالة استثنائية .

مندل [بإذعان تجهمي] أفترض أن العباقرة هم كذلك.

كاثلين [تبلغُهم وهي تلهثُ بإعجاب وانقطاع النفس] أوه، السيد ديفيد! لقد كان مثل قدّاس منتصف الليل! ولكن سيدة البيت كانت نائمة .

ديفيد نائمة! [يضحك ضحكة ممزوجة بالسعادة والحزن] ها! ها! ها!

فراوكيكزانو [تلهث وتضحك كردّة فعل] هي! هي! هي! (باليديشية) دوفيدل يضحك ثانية هي! هي! [تلمس يده بحنان، ولكنها تحسُ ببللِ معطفه، فتطلق صرخة رعب] أنت مُبتلّ!

ديفيد **لا شيء البتة ياجدتي.. فثيابي سميكة.** [تُبرّبر مُعترضة، وتمسحُ بَللهُ بيدها المَكسوة بالقفاز] .

مندل **ولكن ما الذي حملكم إلى هنا، كاثلين؟**

كاثلين **بالتأكيد، ليس المصعد . فسيدة البيت قالت إن الصعود به سيفسد يوم الشابُس .**

ديفيد [بقلق] **ولكن هل.. هل أرسلتكم الآنسة ريفندال إلى هنا؟**

كاثلين **ومن غيرها يسأل سيدة البيت إن لم تكن فخورة بالسيد ديفيد؟ في الواقع إنها سيدة رائعة .**

مندل [بنفاذ صبر] **كاثلين ، لا تثرثري .**

كاثلين **ولكن، سيد كيكزانو...!**

ديفيد [بودّ] **رجاءً خذي سيدتك إلى الأسفل ثانية.. ولا تدعيها تمشي .**

كاثلين **ولكن يوم شابُس لم يَنتهِ بعد!**

مندل **تُثرثرين ثانية!**

ديفيد [بلطف] **لا ضيرَ في استخدام المصعد يا كاثلين .**

كاثلين **عهداً عليَ ، سأشرح لها أن النزول في المصعد ليس 'ركوباً ' .**

ديفيد [مبتسماً] **نعم، قولي لها إن النزول هو أمر طبيعي.. وليس عملاً كالطيران .** [تبدأ كاثلين بالتوجه نحو الدرَجْ، وهي تشرح ذلك لفراو كيكزانو] **كاثلين! قدَمي لها بعض المُرطبات.**

كاثلين [تلتف مُحملقة] **مُرطبات؟ أُعطيها مُرطبات، حيث يخلطون أطباق اللحم بأطباق الزبدة! أوه، سيد ديفيد!** [تتابع السير نحو الدرج بتأنيب حزين] .

مندل [مبتسماً] **سأحضر لها بعض القهوة .**

ديفيد [مبتسماً] **نعم ، فذلك سيبقيها صاحية . وإلى جانب هذا، كان بابلمايستر متأكداً أن الحضور لن يفهموا موسيقاي، وهو يهدئهم الآن بمقطوعات غونود وروسيني .**

مندل **يا له من رأي لبابلمايستر حول التهدئة! لو كنت بدلاً منه، لقدمتُ لهم أوبرا كوميدية .** [ينادي كاثلين فجأة إذ هي تتجه والسيدة إلى المخرج الخاطىء] **كاثلين! المصعد في هذا الجانب!**

كاثلين [تلتفت] **إلى أين يؤدي المخرج الآخر؟ لقد أتيت من هذا الجانب.**

مندل **أنت تثرثرين كثيراً** [السيدة كيكزانو، غير فاهمة الحديث، تخرج] **تعالي إلى هذا المخرج، ألا ترين المصعد؟**

كاثلين [تتنبّه إلى أن فراو كيكزانو قد ذهبت، فتناديها باليديشية الممزوجة باللكنة الإرلندية] **أين تذهبين بحق الإله؟** [وبنفاذ صبر] **بحقّ موسى المقدّس، عودي!** [تخرج قلقة، ثمّ تعود ثانية مع فراو كيكزانو] **قسماً، إننا نحن اليهود لا نعرف طريقنا أبداً** [مندل حاملاً الكمان، يقود أمه وكاثلين إلى المصعد . وعندما تصبحان بقربه، يقف المصعد مُحدثاً قرقعة ويخرج منه بابلمايستر بمظلته المفتوحة وهو يواجههم . يبدو بابلمايستر سعيداً ومشرقاً بسبب نجاح ديفيد] .

بابلمايستر[بصوت مرتفع وفرح] (بمزيج من الألمانية والإنجليزية) **والآن فراو كيكزانو، ماذا تقولين؟ ما رأيك بديفيد؟**

فراو كيكزانو دوفيد؟ إنه مِشوغّاه [تنقر على جبينها] .

بابلمايستر [مرتبكاً، لمندل] **مِشوغاه! ما الذي تعنيه بمِشوغاه؟ مجنون؟**

مندل [بضحكة خفيفة] **لقد أصبتْ. إنها تقول بأن ديفيد أحمق يبقى في الخارج عندما تُمطِر** [يضحك الجميع] .

ديفيد [ينهض] **لقد توقّف المطر، هِر بابلمايستر، أنت لا تحتاج إلى مظلتك** [يضحك الجميع] .

بابلمايستر إذاً . [يغلق المظلة].

مندل **ادخلي يا أمي** [يدفع جسد فراو كيكزانو النحيل إلى المصعد، تتبعها كاثلين ثمّ مندل] **هِر بابلمايستر، نحن جميعاً خدمُك المُعترفين بالجميل .** [بابلمايستر ينحني، يغلق باب المصعد وينزل] .

ديفيد **أرجو ألا تعتقد بأنني ناكر للجميل بسبب هروبي.. فأنت تعرف أن امتناني أعمق من أن أبوح به.**

بابلمايستر وكذلك هي تهانيّ!

ديفيد **إذاً، لا تقلها، أرجوك.**

بابلمايستر ولكن يجب أن تأتي وتتحدث إلى جميع من يفهم الموسيقى في أمريكا .

ديفيد [بضحكة خفيفة] **أتحدث إلى خبرائكَ الأربعة؟** [بجدية] **أوه، رجاءً، لا يمكنني فعلاً مقابلة الغرباء ، وبالأخص مصاصي الدماء الموسيقيين.**

بابلمايستر [ما بين الغضب والدهشة] **مصاصي دماء، أوه، على رِسْلكَ!**

ديفيد **شهوانيين، ثم.. أغنياء، مُتملقين للفنون، تافهين ممن لا يربطون بين الفن والحياة، طفيليات تمتص موسيقانا ...**

بابلمايستر [يضحك بودّ] **ها! ها! ها! انتظر حتى تسمع ما يقولونه .**

ديفيد **سأنتظر المدة التي تشاء .**

بابلمايستر إذاً أود أن أقول لك الآن [ينفجر بضحكة عبثية] **ها! ها! ها! يقول مصاص الدماء الأول إنه عمل هائل، ولكن أداء الأوركسترا كان ضعيفاً .**

ديفيد [بسخط] **آوه!**

بابلمايستر ويقول مصاص الدماء الثاني إنه عمل ضعيف، ولكن أداءه كان رائعاً .

ديفيد [بخيبة أمل] **أوه!**

بابلمايستر أما مصاص الدماء الثالث فيقول إنه عمل هائل وأداؤه كان عظيماً.

ديفيد [برضا ذاتي] **آه!**

بابلمايستر ويقول مصاص الدماء الرابع إنه عمل ضعيف وأداؤه كان ضعيفاً .

ديفيد [بغضب وخيبة أمل] **أوه!** [ثمّ بابتسام] **وكما ترى، عليك أن تتبع الآخرين في المُحصَلة .**

بابلمايستر [يهز رأسه، يبتسم] **لا.. عندما يختلف النقاد.. فأتفق مع ذاتي . ها! ها!** [يضرب ديفيد على ظهره] **العمل الرائع سيؤدى بشكل أفضل في المرة القادمة ها! ها! عشرة آلاف من التهاني** [يسحب يد ديفيد ويقبض عليها بودَ] .

ديفيد لاتفعل ذلك! فأنت تؤلمني .

بابلمايستر [يفلت يد ديفيد.. سوء فهم] **عذراً ! لقد نسيت جرحك.**

ديفيد لا.. لا.. ما علاقة ذلك بجرحي؟ فهذا لا يؤلم نصف ما يؤلمه ذلك التصفيق والتهنئات .

بابلمايستر[مرتبكاً ولكن مراعياً له] **كنت أعرف أن أعصابك ستتوتر توتر أوتار الكمان . أوه، أنتم العباقرة!** [يبتسم] **أنتم لا تحبون التصفيق ولا النقد.. أليس كذلك؟**

ديفيد كلاهما خارج السياق.. على حد سواء . وعلى المرء أن يتصارع مع فنه هو. ومع روحه هو.. لوحده!

بابلمايستر [يربتُ عليه مهدئاً] **كم أنا سعيد لأنني لم أدعك تعزف في الجزء الثاني .**

ديفيد عزيزي الهِر بابلمايستر! لا تظن إنني لا أقدّر كل أفضالك.. فأنت لي بمثابة الأب .

بابلمايستر وأنت تعصيني مثل الابن . ها! ها! ها! سأقدم أعذارك إلى مصاصي الدماء . ها! ها!، أيضاً ديفيد، [يضع يده ثانية بحنان على كتف ديفيد الأيمن] **وداعاً! يجب أن 'أهبط' لأقدم الموسيقى الكلاسيكية الشعبية** [بكآبة] **هبوط حقيقي !.. أليس كذلك؟**

ديفيد [يبتسم] **أوه ، ليس هبوطاً بهذا القدر . يقول عمي إن عليك أن تقدم لهم أوبرا كوميدية .**

بابلمايستر[يرتجف متشنجاً] **أوبرا كوميدية.. أُفْ!** [يتجه نحو المصعد ويقرع جرسه، ثم يلتفت إلى ديفيد] **ماذا كانت تلك الكلمة يا ديفيد؟**

ديفيد **أية كلمة؟**

بابلمايستر [يردد بعدم ثقة] **ميغا.. ميغاشو...**

ديفيد [مرتبكاً] **ميغاشو؟** [يأتي المصعد ويفتح الباب].

بابلمايستر مِغوشاه! كما تعلم. [ينقر بمظلته على جبينه].

ديفيد **آه، مِشوغاه!**

بابلمايستر[بفرح] **نعم، مِشوغاه!** [يطلق ضحكة كبيرة] **ها! ها! ها!** [يلوّح بمظلته لديفيد] **حسن لا تكن.. مِشوغاه.** [يدخل إلى المصعد] **ها! ها!** [يغلق الباب وينزل المصعد مع صوت ضحكته] .

ديفيد [بعد فترة] **لربما أنا.. مِشوغاه .** [يمشي جيئة وذهاباً بعصبية، يقترب من سور السطح الخلفي] **السقوط إلى أسفل هو قطعاً أمر طبيعي .** [ينظر متفحصاً] **كيف يجذب المرء ويَجرَه!** [يتراجع إلى الخلف بإصرار ويهز رأسه] **سيكون هذا هبوطاً أشد من نزول**

بابلمايستر إلى الأوبرا الكوميدية. يجب على المرء أن يطير عالياً.. بشكل أو بآخر. [يجلس على الكرسي الذي جففه مندل . يُسمَع صوت الموسيقى الخافت ، الآتي من الأسفل ، والذي يبقى إلى نهاية المشهد] **آه! الموسيقى الكلاسيكية الشعبية!** [يضع رأسه على منضدة صغيرة. يصعد المصعد ثانية ، لكن ديفيد لا يلتفت إليه. تخرج فيرا، شاحبة وحزينة، وتتقدم نحوه بهدوء ؛ تقف وهي تنظر إليه بحنان الأمّ ، ثمّ تقرر عدم إزعاجه وتنسحب عائدة . يرفع ديفيد رأسه فجأة فيراها . يثب واقفاً على قدميه و يصيح بسعادة وخدر] **فيرا !**

فيرا [تلتفت و تتكلم بوقار جدي] **طلبت مني الآنسة أندروز أن أنقل إليك الشكر الحميم وتهاني المستوطنة السكنية .**

ديفيد [بجمود] **هذا لطف من الآنسة أندروز.. آمل أن تكوني بخير.**

فيرا **شكراً لك، سيد كيكزانو، جيدة جداً ومشغولة جداً. أرجو أن تعذرني** [تشرع في الذهاب] .

ديفيد **بالطبع.... كيف هي أحوال أهليكِ؟**

فيرا [تلفت رأسها] **لقد عادوا إلى روسيا، وأهلكَ؟**

ديفيد **لقد رأيتهم جميعاً للتو.**

فيرا [مُربكة] **نعم.. نعم.. بالطبع.. لقد نسيت! وداعاً سيد كيكزانو .**

ديفيد **وداعاً آنسة ريفندال** [يجلس على الكرسي ثانية. تتوجه فيرا إلى المصعد. وقبل أن تستدعيهِ، تلتفت إليه ثانية] .

فيرا **لا أنصحك بالجلوس في هذا البلل .**

ديفيد **لقد جفف عمي المقعد .** [بمرارة] **من المستغرب أن يهتمّ الجميع بجسدي ولا أحد يعنيه أمر روحي .**

فيرا **لأن روحك أقوى من جسدك. فكّر فقط ! لقد رفع روحُك ألفَ شخص إلى ما هو أعلى من حديقة السطح هذه .**

ديفيد **أرجو أن لا تهنئيني أنت أيضاً ! سيكون ذلك تهكمياً أكثر مما يجب .**

فيرا [منفعلة، تقترب منه] **تهكّم، سيد كيكزانو؟ رجاءً ، رجاءً، لا تظن أن هناك أي تهكّم في تهنئتي .**

ديفيد **التهكم يكمن في جميع التهاني . وكيف لي أن أتحمّله وأنا أعرف طبيعة الخطيئة الرهيبة التي ارتكبتها!**

فيرا **خطيئة! إن كان هذا لأن النقاد انقسموا على أنفسهم، فهو البرهان الأكيد على النجاح . لقد أنجزت شيئاً حقيقياً وجديداً.**

ديفيد **أنا لا أفكر بنقّاد بابلمايستر 'العارفين'.. فأنا الناقد الوحيد، والوحيد الذي يعرف. فكل مقطع من موسيقاي يصرخ ' فشل! فشل!' رددتْ أصداءه الكمانات، ودوَت به الأبواق، وهدرتْ به الطبول. كان منقوشاً على جميع الوجوه...**

فيرا [بحماس، مقتربة أكثر من ديفيد] **أوه، لا! لا! لقد راقبتُ الوجوه.. وجوه الكدح والأسى ، تلك الوجوه القادمة من أصقاع الأرض وقد اشتعلت برؤاك التي استشرفت أخوّتهم القادمة ، وهدهد أرواحهم حلمُك بأرض تمنحهم الطمأنينة . لقد كنت محقاً، كما أرى الآن، في توجهك إلى هؤلاء . لقد تسللت المعاني الحقيقية لموسيقاك إلى تلك الأرواح البسيطة بطريقة غريبة وجميلة...**

ديفيد [يثب واقفاً] **وروحي أنا ؟ وماذا عن روحي؟ هل كانت تزيف موسيقاها؟ تزيف رسالتها وحلمها . هذا ما عنيته بالإخفاق ، فيرا. لقد بشّرتُ ببوتقة الإله، هذه القارة الجديدة التي يمكنها أن تذيب جميع الفروقات بين الأعراق وصراعاتها الثأرية، والتي يمكنها أن تُطهِّرهم وتعيد تكوينهم ؛ والإله جرّبني في اختباره**

الأكبر . لقد أعطاني تراثاً من العالم القديم، كراهية وانتقاماً ودماً، وقال لي : "ارمِها جميعاً في بوتقتي". أجبتهُ : "لا يمكن حتى لبوتقتك أن تذيب هذه الكراهية، وأن تشرب هذا الدم عن آخره". وهكذا جلست أدندن ألحان ماض ميّت وأتأمل بارتياح لطخات الدم القديمة.. أنا، أحد حواري أمريكا، نبيّ إله أبنائنا. أوه.. لكم تسخر مني موسيقاي! وأنتِ.. بجرأتك وثباتك وعلوك فوق الأقدار..أنت تحتقرينني بلا ريب!

فيرا **أنا؟ آه لا!**

ديفيد **هذا مؤكد من دون أدنى شك.. كلماتك لا تزال تلسع. لقد قلت : "لو كانتْ سبعة بحار بيننا ، فعلى حبنا أن يعبُرها". وأنا.. أنا الذي كنت أهذر بالبحار السبعة..**

فيرا **ليست بحاراً من الدم.. قلتها بأنانية وبلا تفكير. لم أكن واعية لذلك السيل القرمزي. والآن أراه في الليل والنهار. يا إلهي !** [ترتعد وتغطي عينيها] .

ديفيد **وذلك مَكمَن خطأي.. أنني فتحت عليها عينيك بدلاً من حجبها عن عيني .**

فيرا **لا يمكن لإنسان أن يخفيها .**

ديفيد **نعم.. عن طريق الإيمان بالبوتقة . فمن الدماء في ساحات المعارك تتفتّح أزهار الربيع والحُوذان الذهبي، وفي كيمياء السماء تتحوّل الفضلات إلى ورود. ولكن في اللحظة الأسمى، وجد إيماني ما كان ينقصه. جئتِ إليَّ .. وأنا دفعتُ بك بعيداً .**

فيرا **ما كان عليَ أن آتي إليك.. ما كان عليَ أن آتي إليك اليوم، ولا يجب أن نتقابل ثانية .**

ديفيد **آه ، ألا يمكنك أن تسامحينني؟**

فيرا **أسامح؟ أنا التي يجب أن تجثو على ركبتيها تكفيراً عن وِزْر أبي.** [وفيما هي تنحني شبه جاثية ، أوقفها ديفيد بإيماءة وصرخة] .

ديفيد **لا! فَوِزْر الآباء لا يجوز أن يَرثه الأبناء .**

فيرا **قد يستجيبُ لك عقلي ولكن ليس قلبي ، فهو مُثقل بإحساس دَينٍ لم يُوَفَ.. دين لا يمكنه سوى أن يناشد المغفرة .**

ديفيد **لست مَدينة لي بشيء..**

فيرا **ولكن أبي، وشعبي وبلدي...** [تنهار، ثم تتمالك نفسها] **عزائي الوحيد، أنك لست بحاجة لشيء .**

ديفيد [خدراً] **لست.. بحاجة.. لشيء؟**

فيرا لاشيء سوى موسيقاك... وأحلامك.

ديفيد وحبكِ؟ ألا أحتاج إليه؟

فيرا [تهز رأسها بحزن] لا .

ديفيد تقولين ذلك لأنني أهدرته خطأً .

فيرا أقول لك، إن عزائي الوحيد أنك لست بحاجة لي . ففي أسعد لحظاتنا كان الشكّ في هذه الحقيقة يمزقني؛ ولكنه الآن سلواي في القدر المشؤوم الذي يفرّق بيننا. انظر كيف تقف هنا فوق العالم، وحيداً ومكتفياً. ولا يمكن أبداً لأي امرأة أن تحتل أكثر من المركز الثاني في حياتك .

ديفيد ولكن لك المركز الأول، فيرا!

فيرا [تهز رأسها من جديد] لا.. لم أعُد حتى أرغب في هذا. فلقد تغلّبت على ذلك الضعف النسوي.

ديفيد أنت تعذبينني . ماذا تعنين؟

فيرا أي شيء أبسط من هذا؟ كنت أغار من موسيقاك، ومن نبوءاتك المُتخيلة. أردت أن آتي في المقدمة.. قبلهم جميعاً! والآن، عزيزي ديفيد، أنا فقط أصلي كي تملأ هذه الأشياء حياتك حتى التَرَع .

ديفيد **ولكن ليس بإمكانها .**

فيرا **بل ستفعل.. فلديك الإيمان بنفسك وفي رسالتك.. وداعاً**

ديفيد [خدراً] **تُحبينني وتتركينني؟**

فيرا **وما الذي يمكنني فعله غير ذلك؟ هل ستبقى ظلال كيشينيف معلقة فوقك طوال السنين القادمة؟ هل عليَ أن أقبِلكَ تاركة دماً فوق شفتيك؟ أضمّك وتدفعني عنك كل تلك الأيدي الميتة الباردة؟**

ديفيد **[يأخذ كلتي يديها بين يديه] نعم ضمّيني، رغماً عنهم جميعاً، ضميني إلى أن تُطرد جميع هذه الأرواح الشريرة. ضميني إلى أن ينتصر حُبنا على الموت. قبليني، قبليني الآن .**

فيرا [تقاوم، وترتد إلى الخلف] **لا أتجرأ! إن فعلت سأجعلك تتذكّر .**

ديفيد **ستجعليننني أنسى، قبليني .** [هناك لحظات من التردد، تتخللها موسيقى كنائسية من (مقطوعة) فاوست تتصاعد بنعومة من الأسفل]

فيرا [ببطء] **سأقبلك كما نقبّل نحن الروس في عيد الفصح.. قبلات السلام الثلاث.** [تقبّله ثلاث مرات على فمه ، كما في الطقوس المَهيبة]

ديفيد [بهدوء شديد] **عيد الفصح كان موعد المذبحة.. كما ترين! أنا هادئ .**

فيرا **فليدِم الله هذا الهدوء!** [يقفان صامتين ومتشابكي الأيدي] **انظر! كمْ هو رائع هو المغيب بعد العاصفة!** [يلتفت ديفيد. المغيب الذي بدا أكثر جمالاً بعد دخول فيرا ، بلغ الآن لحظة رائعة وتحته خيوط دقيقة بلون الزعفران والذهب الشاحب وفوقه بدت السماء بكاملها كهالة من اللهب المشتعل] .

ديفيد [وقد أثار هذا المشهد حساً نبوياً لديه] **إنها نيران الإله حول بوتقته** [يُسقط يدها ويشير إلى الأسفل] **هناك تكمنُ بوتقة الصهر العظيمة.. أنصتي! ألا تسمعين الهدير والفوران؟ هناك تفغر فمها** [يشير إلى الشرق].. **ها هو الميناء حيث تأتي آلاف السفن العملاقة من أطراف العالم لتفرغ شحناتها البشرية. آه، يا له من مزجٍ وغليان! سَلتيون ولاتينيون، سلافيون وتويتونيون، إغريق وسوريون.. سودٌ وصُفر..**

فيرا [بنعومة، تأوي إليه] **اليهود والأغْيار** (غير يهود)..

ديفيد **نعم، شرق وغرب وشمال وجنوب، نخيل وصنوبر، قطب وخط استواء، هلال وصليب.. وكيف لهذا**

الخيميائي العظيم أن يذيبهم ويصهرهم في لهيبه المطهّر! هنا سيتَّحِدون جميعاً لبناء جمهورية الإنسان ومملكة الربّ. آه، يا فيرا، ما المجد الذي صنعته روما وجروزالم (القدس) **، حين جاءت جميع الأمم والأعراق لتتعبد وتنظر إلى الوراء إذا ما قورنت بمَجد أمريكا؛ حيث تأتي جميع الأعراق والأمم لتعمل وتنظر إلى الأمام!** [يرفع يديه مباركاً المدينة المشرقة] **السلام، السلام، لكل الملايين التي لم تولد، والمُقدّر لها أن تملأ هذه القارة العملاقة.. فليمنحكم إله أبنائنا السلام.**

[وقفة كئيبة للحظة . تغيب الشمس بسرعة والمشهد الكبير يخضبه شفق أكثر سكينة، والذي تضيف إليه الأضواء الوامضة العديدة للمدينة شاعرية ناعمة لليل. ومن الخلف البعيد يتلألأ على سطح الماء الداكن مشعل تمثال الحرية، مثل نجمٍ هاد وحيد. ومن الأسفل كانت تصلُ أصوات وديعة وألحان آلات رقيقة اشتركت جميعها في ترداد نشيد "وطني لأجلك" . تسدل الستارة ببطء] .

* * *

ما وراء النص

لقد جاء عرض مسرحية بوتقة الصهر في فترة حرجة من التاريخ العالمي والأمريكي . ففي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كانت هناك مؤشرات تؤذن بحدوث تغيرات جذرية في الأوضاع السياسية والاجتماعية على مستوى العالم . ففي تلك الحقبة ، بدأت أمريكا في تكوين شخصيتها الذاتية بشكل أكثر عمقاً . وكدولةٍ ناشئة تستقطب المهاجرين من جميع الجنسيات، برز فيها تجاذب شعبي حول مفهوم الفرد الأمريكي والمواطنة الأمريكية والعلاقة بين المهاجرين القُدامى (يطلق عليهم اسم المواطنين الأصلاء أو الآباء المؤسسين) ، وغالبيتهم من أوروبا الشمالية ، وبين المهاجرين الجدد القادمين من دول شرق وجنوب أوروبا وغيرها. وكان السؤال الأهم، هل سيندمج

هؤلاء القادمون الجدد في مجتمعهم الجديد أم سيحتفظون بإثنياتهم وتقاليدهم وعاداتهم التي حملوها معهم من جميع أرجاء العالم ؛ وهل سيعملون بالتالي على تغيير السمات والملامح العامة لأمريكا ؟ ولما كان يهود روسيا القيصرية قد بدأوا ، في تلك الحقبة ، بنزوح شبه جماعي إلى أمريكا ، جاءت مسرحية بوتقة الصهر ' بوجهها الظاهر' كإحدى المساهمات اليهودية الخالصة للإجابة على مثل هذه التساؤلات . أما ' الوجه الخفي ' فيمكن التعرف عليه من خلال مجمل الحدَث الدرامي للمسرحية ومن شخصيات أبطالها ومضمون الحوار الدائر بينهم أولاً، أو من خلال الأفكار والمبادىء التي يحملها مؤلفها، والتي عبّر عنها في كتبه ومقالاته السياسية والاجتماعية الأخرى .

كيشينيف.. أوسِفر المذبحة

قلائل في عالمنا من سمع من قبل باسم مدينة كيشينيف الروسية . وعندما يتكررهذا الإسم في المسرحية سبع مرات، فلا بُدَ أن يثبت في ذاكرة الشعب الأمريكي ويُحفر في أذهانهم . وتسانغفيل في هذا، لا يخرج عن الإطار المتّبع لدى معظم الكتّاب اليهود في إقحام تاريخهم وأحداثه وتفاصيله الدقيقة في سياق المواضيع التي يكتبون أو يتحدثون عنها ؛ وبالتالي ، ليس مستغرباً أن ما كُتب عن التاريخ اليهودي يفوق ما كتب عن

نظيره التاريخ المسيحي ، على الرغم من الفارق الكبير بين أعداد أتباع الديانتين .

لقد تعمّد تسانغفيل أن يضيف اسم مدينة كيشينيف، أو بالأحرى بوغروم كيشينيف، إلى سلسلة التاريخ اليهودي الطويل وأسفار العهد القديم التي تروي مِحن اليهود ومآسيهم . فبدءاً من سِفر الخروج (إكسودوس) ونزوح بني إسرائيل إلى أرض كنعان هرباً من اضطهاد المصريين ، ومن ثمّ رواية سِفر الملوك عن سبي اليهود إلى بابل، أو قصة نجاتهم من تعسّف بلاد فارس في سِفر أستير، أراد تسانغفيل أن يُكمل أعمال أنبياء بني إسرائيل ويكتب سِفراً جديداً لبوغروم كيشينيف الروسي أو'سفر المَذبحة' . فهو يذكّرنا في مسرحيته، وعلى لسان البارون الروسي ريفندال ، بأن الشعب الروسي لم يكن أول من سحق اليهود:

" فمنذ فجر التاريخ وطأته الشعوب بأقدامها.. المصريون، الآشوريون، الفرس، البابليون، الإغريق، الرومان... لقد سلِمنا من مصر منذ أربعة آلاف سنة لنصبح اليوم عبيداً عند الفرعون الروسي " .

' سِفرالمذبحة ' في مطلع القرن العشرين ، لم يكن سوى أنموذجاً مصغّراً مهّد الطريق لكتابة سفر تاريخي لاحق هو

الأضخم والأشمل بين كتب العهد القديم ، وسمع عنه القاصي والداني ، ألا وهو ' سِفر المحرقة ' .

بطل المسرحية المحوري ديفيد، الذي قالت عنه فيرا بأنه مُغرم بالتاريخ، هو أحد ضحايا أعمال العنف والفوضى التي جرت في تلك المدينة ، ضحية تنفجر في نحيب هيستيري كلما سمعت باسم روسيا أو كيشينيف . وعندما تخبرُه فيرا بأنها وُلِدت في تلك المدينة ، نجده يصرخ مُرتعداً :

" إذا أنت روسية!... ليس هناك الكثير من الموسيقى في كيشينيف! لا، هناك فقط مسيرة ـ الموت! أمي! أبي! آه الجبناء، القتلة! وأنتِ.. أنت تنظرين إلى ذلك بعينيك، بعينين باردتين كعيني جزار" .

أو عندما يذكرنا ديفيد بهمجيةِ الروس ضد إخوته في الدين :

" .. وإلا حين نهضت روسيا المقدّسة تمّ تمزيق أطفالنا عضواً فعضواً.. أنتِ لم تري سيل الدماء الذي حمل أثداء النسوة المبتورة و أدمغة الأطفال والرضُع المتناثرة " .

ومن خلال هذا الوصف الدرامي، لا يذهب تسانغفيل في أسلوبه بعيداً عن المنهج اليهودي الأزلي في إذكاء النقمة على همجيةِ الشعوب الأخرى واستدرار العطف والشفقة على مآسي اليهود وعذاباتهم ، وهو بذلك يُكرَر على مسامع المشاهد

الأمريكي سِفر المَرثية الجنائزية ، التي كتبها النبي إرميا قبله بأكثر من ألفيَتين ونصف الألفية ، في السَبي البابلي :

" تمدّ صهيون يدها تلتمس مُعزياً.. فاستمعوا ياجميع الشعوب وأشهدوا وجعي . كلّت عيناي من البكاء.. حزناً لدمار ابنة شعبي، لأن الأطفال والرضّع غشي عليهم في شوارع المدينة.. حيث تُهرق حياتهم في أحضان أمهاتهم.. اغتصبوا النساء في صهيون والعذارى في مدن يهودا .. " .

وعلى أمريكا إذاً أن تستمع إلى وجع اليهود في كيشينيف كما كان وجعهم في بابل ؛ وأن تشهد على همجيةِ روسيا كما شهد على فظاعة البابليين وغيرهم . وعلى المواطن الأمريكي أن يتناول جرعة التشهير الإعلامية اليهودية هذه ، سواءً أكان خاشعاً في كنيسته أو مُستمتعاً أمام خشبة المسرح .

ولكن ما الذي حدث في كيشينيف فعلاً قبل أكثر من مئة عام ؟ الإجابة على هذا السؤال تبدو صعبة أمام ذلك الكمَ الهائل من الكتب والمقالات الصحفية التي نشرها الإعلام اليهودي في العالم الغربي ؛ والتي لايقابلها إلا القليل التي تعكس وجهة النظرالروسية . ومع ذلك ، يمكن استخلاص بعض الحقائق التاريخية حتى من خلال كتابات اليهود أنفسهم ، وهدفها في

المحصلة تشويه سمعة روسيا والتحريض عليها في أمريكا خاصة والعالم الغربي عامة .

تقع هذه المدينة في مقاطعة بيسأرابيا (جمهورية مولدوفا حالياً) ، التي كانت تتبع للإمبراطورية الروسية كغيرها من بعض بلدان أوروبا الشرقية ، مثل بولندا وأوكرانيا وبلاروسيا وليتوانيا . ووفقاً للمؤرخ اليهودي سيمون دوبنوف، كان يعيش في هذه المدينة خمسون ألف يهودي مقابل ستين ألف مسيحي . ولا يمكن الادعاء بأن العلاقة بين الطرفين كانت في أحسن أحوالها . ففي روسيا القيصرية كان يعيش قرابة ستة ملايين يهودي ، متقوقعين على أنفسهم وتفصلهم عن الشعب الروسي لغتهم اليديشية وعاداتهم وتقاليدهم المتشدّدة دينياً . وإلى جانب الاختلاف الديني، كان الفلاحون الروس في صدام دائم مع اليهود، بسبب استغلالهم المادي والاقتصادي لهم في أمور البيع والشراء، وتحكّمهم بالقروض والربا وتجارة الخمور وغيرها.

ومع ذلك ، فإن الكتّاب والمؤرخين اليهود بلا استثناء، يرجعون الاحتكاكات ، التي كانت تحدث بين الطرفين ، إلى العداء المسيحي والكنسي لليهود وليس إلى العامل الاقتصادي. فعندما يشير الكاتب ويليام ستايلز إلى كيشينيف ، على سبيل المثال ، لا يتلاعب بنسبة أعداد سكانها فحسب، بل ويؤكد على

عدوانية المسيحية الروسية بقوله إن عدد السكان اليهود في المدينة أربعون ألفاً، مقابل ثمانين ألفاً من ' **الكارهين لليهود** ' .

بدأت أحداث العنف بين الطرفين في ١٩ نيسان/أبريل ١٩٠٣ (٦ نيسان وفق التقويم اليولياني) مع مطلع احتفالات عيد الفصح واستمرت ثلاثة أيام . ويذكر المؤرخ دوبنوف ، بلا مواربة، بأن الكنيسة الروسية كانت متواطئة مع المعتدين، بل وأعطتهم إشارة بدء التنكيل باليهود .

".. ومع قرع أجراس الكنائس وقت الظهيرة ، بدأ المواطنون والحِرفيون، بلا شك وفق إشارة محدَدة، بالانتشار في المدينة.. " .

مثل هذا التفسير اليهودي لدوافع أحداث الشغب ، وجد طريقه بسهولة إلى الإعلام الأمريكي . فقد نقلت صحيفة النيويورك تايمز في هذا السياق ، بأن الرهبان كانوا يتقدمون الرعاع، وكانت صيحاتهم **" اقتلوا اليهود "** تتردد في أنحاء المدينة .

حملة التحريض والتشهير الإعلامي لم تقتصر على الكنيسة وحدها ، بل امتدت إلى الشعب الروسي والقيصر والحكومة والجيش ، والشواهد التالية المقتبسة من إعلام الصحافة الغربية في تلك الفترة، وفي مقدمتها النيويورك تايمز

بالتعاون المباشر مع التايمز والجويش كرونيكال اللندنيتين ، تبين المدى الذي ذهب إليه اليهود في حملتهم هذه :

" إن أبسط الحقائق تشير إلى أن الحكومة الروسية، شأنها شأن الشعب الروسي، يجب تقييمها بمقياس حضاري كان سائداً في أوائل القرون الوسطى..." .

" تميل بعض المصادر إلى عزو أسباب المذابح الروسية إلى الرعاع فقط في حين أن الوحشية، والانتهاكات والتنكيل هي من سمات الروس الهمجية.. " .

" في نداء وُزِعَ على المسيحيين في كيشينيف يطالبونهم فيها بقتل اليهود أعداء المسيح ومصاصي الدماء، وأن الجيش الروسي سيساعدهم في المهمة " .

" في كيشينيف، وفي أول أيام عيد الفصح، قرأ مساعد حاكم المدينة تعميماً ، باسم القيصر، يحضّ على قتل ونهب اليهود في كيشينيف وضواحيها " .

" لطخ (الدم) على يدي القيصر نفسه " .

" نُحمّل الحكومة الروسية مسؤولية مذبحة كيشينيف. ونقول بأنها غارقة حتى أذنيها في إثم هذا الهولوكوست " .

" توزيع تعميم وزاري يحظر على اليهود الدفاع عن أنفسهم ، ويُعتقد ان هذه الخطوة ستحرَض على هجرة اليهود إلى أمريكا " .

وقد اختصر تسانغفيل في مسرحيته جميع هذه العناوين الصحفية ، حول نوايا روسيا العدوانية تجاه اليهود ، بجملة واحدة على لسان البارون ريفندال بأن روسيا سَتُنصّر ثلثهم وسيُذبح الثلث الثاني ، أما الثلث الأخير فسيُهجّر إلى أمريكا ! .

ولعل أعنف هجوم إعلامي كان موجهاً إلى شخص وزير الداخلية الروسي فياشيسلاف فون بليفه، الذي اتُهِمَ بأنه المُحرّض الأول على بوغروم كيشينيف . وقد جاءت إدانته، بعدما كشفت صحيفة التايمز اللندنية ، في ١٨ أيار/مايو، ١٩٠٣ نصّ رسالة سرية بعث بها الوزير بليفه إلى حاكم ولاية بيسأريبيا، يعلمه فيها بقرب حصول أعمال عنف ضد اليهود ، ويطالبه بعدم إطلاق الرصاص ضد مُثيري الشغب الروس .

" وزارة الداخلية\مكتب الوزير ٢٥ **آذار \ مارس** ١٩٠٣

سري للغاية .

إلى حاكم بيسأريبيا

لقد ورد إلى علمي أن هناك استعدادات في المنطقة الموكلة إليكم، لإحداث شغب كبير ضد اليهود ، الذين يستغلون السكان

المحليين بشكل رئيس . ونظراً لحالة القلق العامة وميل سكان المدينة إلى إيجاد مُتنفس لهم ، وأيضاً، نظراً لعدم الرغبة في استيلاد إحساس معاد للحكومة لدى السكان عن طريق استخدام إجراءات في غاية الشدّة ، فإن عطوفتكم لن يقصّر في المساهمة بإيقاف فوري للشغب المتوقع ، عن طريق الإنذار، ومن دون اللجوء إطلاقاً إلى استخدام الأسلحة . (التوقيع) **ف بليفه "** .

وقد بقيت رسالة وزير الداخلية الروسي هذه إحدى المرتكزات الرئيسة للصحافيين والكتّاب والمؤرخين اليهود خاصة ، والإعلام الغربي عامة ، في توجيه أصابع الاتهام للحكومة الروسية بالضلوع المباشر في مذبحة كيشينيف، ورغم تكذيب الأخيرة ونفيها لصِحةِ الرسالة السرية ؛ واليوم ، وبعد أكثر من مئة عام ، يعترف معهد وايفو، في موسوعة يهود شرق أوروبا، بأن الرسالة كانت مُزوَرة ومن دون الإفصاح عمن وقف وراء هذا التزوير (الملحق ١) :

" كان يُعتقد على نطاق واسع، في روسيا وخارجها، أن السلطات الروسية قد حرضت على البوغروم، وبخاصة وزير الداخلية بليفه . والإدانة المفترضة لوزير الداخلية جاءت عبر رسالة مزوَرة إلى حاكم بيسأريبيا ، نُشرت في صحيفة التايمز

اللندنية ، يعلمه فيها بقرب حصول بوغروم (ضد اليهود) **ويطلب إليه عدم استخدام قوة عنيفة لإخمادها "** .

ومن البديهي إذاً أن تكون مجمل الأخبار التي كانت تصل إلى مسامع العالم الغربي مزورة أو مبالغ فيها، وغالباً ما يكون مصدرها شهود عيان من اليهود أنفسهم . شهود يتحدثون عن دمار ثلاثة أرباع بيوت كيشينيف، وأعداد قتلاهم المتأرجح صعوداً وهبوطاً من ١٢٠ إلى ٢٣٤ ليستقر أخيراً عند ٤٧ قتيلاً . فالهستيريا الإعلامية ، التي تمّ بها غسل العقل الأمريكي والغربي عامة ، كانت لا تصدّق . فخلال ثمانية أشهر أعقبت أحداث كيشينيف ، نشرت صحيفة النيويورك تايمز وحدها أكثر من ٣٠٠ خبر أو افتتاحية عن البوغروم (بلغ عددها ، في شهر أيار/مايو ١٩٠٣ فقط ، ١٠٢ خبراً أو تعليقاً) .

ليس هذا فحسب، ففي تلك الفترة ذاتها من عام ١٩٠٣، صدر في العالم الغربي ١٤ كتاباً عن مذبحةِ اليهود في كيشينيف، منها ٤ كتب في نيويورك وحدها ، وصدرت البقية في أهمّ العواصم الغربية ، باريس، لندن، برلين، بروكسل، جنيف وغيرها (الملحق٢) . ويشهد على هذه الحمى الإعلامية والتحريضية صدور ما يُرجّح بأنه أسرع كتاب في تاريخ التأليف . فقد وزعت نسخ **" خارجاً من كيشينيف : واجبات الشعب**

الأمريكي تجاه يهود روسيا " ، في مطلع شهر تموز/يوليو، ١٩٠٣، أي بعد حوالي سبعين يوماً من انتهاء أعمال الشغب . في هذا الكتاب يشرح مؤلفُه الأمريكي - اليهودي ويليام ستايلز الواجبات التي يتعينُ على الشعب الأمريكي القيام بها لنصرة يهود روسيا . ومن بين هذه الواجبات التي تستحق الوقوف عندها وقراءتها بكثير من التمعّن :

" لقد جعلنا من أنفسنا أبطال العالم للشعوب المضطهدة، ولن يستاء أحد إذا ما حذرنا روسيا وحتى أجبرناها على إنصاف اليهود فيها... . وإذا ما دعتنا ظروف الأحداث المستقبلية أن نُلقن روسيا درساً في العدالة، عن طريق أساطيلنا الهادرة على بواباتها في المحيطين الأطلسي والهادي، فسيكون هناك أيضاً بعض الجنود والبحارة المساعدين في هذه العملية، ممن يعرفون شوارع كيشينيف والأيام الخوالي لاضطهادهم " .

أمريكا وهجرة اليهود

تتعلَق الرسالة السياسية والاعلامية الثانية ، التي حاول تسانغفيل إيصالها إلى الشعب الأمريكي ، بهجرة اليهود الروس إلى الولايات المتحدة . ففي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، قرَر يهود روسيا البدء في تحركهم النشِط لإنهاء تواجدهم في ذلك البلد، ووضع خطط مستقبلية في مواجهة العالم

أجمع لتحقيق أهدافهم في التحرر الذاتي وصولاً إلى إنشاء كيان يهودي خاص بهم . وتتمثّل أبرز تحركاتهم ، التي سبقت وعد بلفور ، بالعناوين الرئيسية التالية :

- دعوة الروسي يهودا لايب (ليون) بينسْكَر اليهود لقلب الأوضاع السائدة وتحرير اليهود وإنهاء اضطهادهم إلى الأبد مطالباً بأن يكون كفاحهم عاملاً في السياسات الدولية المعاصرة تصعب مقاومته . وجاءت هذه الدعوة في كُتيبهِ الصادر ، في مطلع عام ١٨٨٢ ، بعنوان **" التحرَر الذاتي : نداء من يهودي روسي إلى شعبه "** .
- إصدار هرتزل لكتابه **" دولة اليهود "** في عام ١٨٩٦، والذي لم يكن سوى نسخة مطوّرة لكتيّب بينسكر، ومن ثمّ دعوته لانعقاد أول مؤتمر صهيوني في عام ١٨٩٧ .
- حدوث خلافات عميقة بين يهود روسيا وبعض يهود العالم الغربي حول الصهيونية السياسية والصهيونية الثقافية وهجرة اليهود وموقع الدولة المقترحة لهم . وقد أدى ذلك لاحقاً إلى انقسام الحركة الصهيونية إلى فصيلين رئيسيين . وقد أشعلت أحداث الشغب في كيشينيف خاصة التنافس بين الداعين إلى الهجرة والاستيطان في فلسطين أرض الميعاد التاريخية من أنصار الصهيونية الثقافية، وبين المؤيدين لهجرة يهود روسيا

وتجميعهم في كيان خاص بهم (كملجأ مؤقت أو دائم) وخاصة إلى أمريكا ، أرض الميعاد الجديدة . وبما أن وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لم يكن قد تبلور بعد ، كان التنافس في البداية لصالح الولايات المتحدة بشكل كبير، كما تشيرُ إلى ذلك إحصائيات تزايد أعدادهم في تلك الفترة .

العام	أعداد اليهود في الولايات المتحدة	نسبتهم المئوية
١٨٧٧	٢٢٩,٠٨٧	٠,٥٢
١٨٩٧	٩٣٧,٨٠٠	١,٣١
١٩٠٧	١,٧٧٦,٨٨٥	٢,٠٠
١٩١٧	٣,٣٨٨,٩٥١	٣,٢٧

في حين لم يتجاوز العدد الإجمالي لليهود في فلسطين ، إلى العام ١٩١٧، عن ٨٥,٠٠٠ . أما سبب تفضيل اليهود الروس للولايات المتحدة في تلك الفترة ، فيفسّره لنا إدوارد روس ، أستاذ علم

الاجتماع في جامعة ويسكونسين، في كتابه " **العالم القديم في الجديد** " :

" ستكون أمريكا موضع ترحيب كأرض الميعاد . وأحلام الصهاينة بدأت تميل إلى القناعة بأنه من الأسهل على اليهودي الروسي الداهية أن يحقق نجاحاً هنا ، كفرد حر في أمة من مئة مليون ، من أن يكدح لقوته في تلال فلسطين اللاهبة . فهو يردد بابتهاج، مع السيد تسانغفيل، بأن لدى أمريكا مساحة كبيرة لستة ملايين يهودي ؛ وأي ولاية من ولاياتها الخمسين بإمكانها استيعابهم . فليس أفضل لهم إلا أن يكونوا معاً في بلد يتمتع بحرية مدنية ودينية ، ولا تشكل الديانة المسيحية جزءاً من دستوره ، وتضمن أصواتهم الانتخابية الجماعية عدم اضطهادهم في المستقبل " .

وبالفعل، يؤكد تسانغفيل نظرته هذه إلى أرض الميعاد الأمريكية، عندما يخاطب بطل مسرحيته ديفيد عمه بالقول : " **ثمانين مليوناً في قارة! أنظر إلى بريطانيا في قوقعتها، لديها أربعون مليوناً** " . ففي الفترة التي عرضت فيها **بوتقة الصهر**، كانت الولايات المتحدة في صدد التشدّد في قوانين الهجرة إليها، ناهيك عن رغبة الأمريكيين في التبرع بإحدى ولاياتهم الخمسين لستة ملايين مهاجر يهودي روسي . فعلى سبيل المثال، أصدر

القسَ والمؤرخ هوارد غروز ، قبل عامين من عرض المسرحية، كتاباً بعنوان " **غرباء أو أمريكيون؟** " يستهلُّه بقصيدة للشاعر توماس بيلي ألدريتش :

" مُشرَعة وغير محمية تلك هي أبوابنا في الشوارع والأزقة، ما هذه الألسن الغريبة؟

لهجاتٌ مزعجة غريبة عن أجوائنا وأصوات عرفَت ذات مرة برج بابل " .

ويحذَر غروز في كتابه الأمريكيين أن يتخيلوا جيشاً ، مكوناً من عشرين ألف شخص في الأسبوع، يزحف إلى بلدٍ غير محمي . يتقدمُهم أولئك المهاجرون ذووا الأشكال الغريبة والمنّفرة - وبشكل كبير اليهود - من أقاصي الإمبراطورية الروسية وهنغاريا ورومانيا . كما يذكر أن بعض الحكومات الأجنبية تقوم بشحن المُعدَمين، والسقيمين والمُجرمين إلى أمريكا، كأسهل وأفضل أسلوب اقتصادي للتخلص منهم . ففضلات أوروبا تفرَغ في أمريكا ، التي أصبحت صندوق قمامة العالم .

ولعل ما أثار مخاوف اليهود، وعلى رأسهم تسانغفيل وأنصاره، بعض التصريحات التي جاءت على لسان الرئيس الأمريكي روزفلت حول مسألة الهجرة ؛ ومنها ما قاله لوفد من

مئة مندوب لاتحاد العمال ومنظماته ، حول المهاجرين غير المرغوب دخولهم إلى الولايات المتحدة :

" يجب أن لانسمح لعواطفنا الفطرية بإيواء المضطهدين والبائسين من البلدان الأخرى.. على حساب مواطنينا ، ويجب أن نُفعّل القوانين لمنع كل اللاجئين الذين لا يمتلكون المقومات الصحيحة للدخول في حياتنا على أساس المساواة المحترمة مع مواطنينا " .

وبالفعل، وتحت تأثير الضغط الشعبي، أقرَتْ مجالس الكونغرس ، وعلى مدى سنوات ، العديد من القوانين التي تحدَد أعداد ومواصفات المهاجرين الجدد. ورغم أن هذه القوانين قد شملت جميع الراغبين بالهجرة إلى أمريكا، إلا أن أعلى صراخ وأشدّ احتجاجات جاءت، كما جرت العادة، من اليهود . وبدأ الالتفاف على القوانين الجديدة والتهجّم عليها بإعطاء مبررات متعددة، منها أنها موجّهة بالأساس ضدهم وتأتي استجابة لأنصار المُعادين للسامية ، ومنها أن اليهود ليسوا مهاجرين بل مضطهدين يتعرضون للمذابح والتنكيل ، وأنهم من بين جميع المهاجرين لاأرض لهم ولا وطن يحميهم .

في هذا الإطار، يمكن فهم المسرحية على أنها أحد ردود الأفعال اليهودية على الاعتراضات المتزايدة لدى غالبية الشعب

الأمريكي على ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه ، ودعواتهم المتكررة لتنظيم الهجرة ولوضع قيود أكثر تشدداً أمامها. وقد ندّد تسانغفيل بهذه الدعوات صراحة، من خلال ما جسّده في الحوار بين الأمريكي كوينسي والبارون الروسي ريفندال :

" كوينسي شكراً، يا عزيزي البارون... فقد طفح الكيل بذلك اليهودي الذي أرسلته ونحن عازمون على إيقاف هجرة جميع الغرباء .

البارون وقف هجرة جميع الغرباء؟ ولكن ذلك عمل همجي "

فأمريكا ليست كما يراها كوينسي الكاره لليهود أوأمثاله ؛ أمريكا هي تمثال الحرية والمشعل الذي ينير البحر ويهدي السفن المُحمّلة بالمضطهدين والبائسين، كما يراها ديفيد في تصريحاته المتتالية :

"عندما أنظر إلى تمثال الحرية، فكأنني أسمع صوت أمريكا يصيح: تعالوا إليّ جميع الكادحين والمثقلين وسأمنحكم الطمأنينة... السكينة .

إن مجرد التفكير بأن مشعل الحرية نفسه الذي ألقى بضوئه ، عبر جميع المحيطات و البلدان، على عُليّتي الصغيرة في روسيا، يشعّ أيضاً من اجل أولئك الملايين الآخرين المنتحبين في أوروبا، يشعّ حيثما يجوع الناس ويُضطهدون .

أحبَ الذهاب إليه لمشاهدة السفن الآتية من أوروبا، والتفكير بأن كل أولئك الهائمين المُرهقين ، الذين تتقاذفهم الأمواج، يشعرون بما شعرت به عندما بسطت أمريكا لأول مرة يديها الحنونتين لي ! " .

بهذه المقاطع المُقتبسة، أراد تسانغفيل أن يُذكّر الشعب الأمريكي بكلمات الشاعرة اليهودية إيمَا لازاروس المنقوشة على قاعدة تمثال الحرية :

" هنا في بوابات الغروب، التي يغسلها المحيط، تقف امرأة عملاقة ، اسمها أمّ المغتربين ، تحمل مشعلها بلهيبه كالصاعقة الحبيسة وتنادي بشفاه مطبقة :

احتفظي بجلالك الأسطوري أيتها البلدان القديمة، وأعطني حشودكِ من الفقراء والمُتعبين، التوّاقين إلى أنفاس الحرية .

أرسلي إليّ هؤلاء المشرّدين بلا وطن، من تتقاذفهم أنواء البحر ، فإني أرفع سراجي إلى جانب البوابة الذهبية! " .

فكيف يمكن إذاً لأمّ المُغتربين ورمز الحرية أن تتنكَرَ للمُضطهدين اليهود ، في كيشينيف ووارسو وكييف وغيرها ، استجابة لإلحاح المُعادين للسامية ؟

لقد أفلحتْ حملة بوتقة الصهر وغيرها من الحملات الإعلامية والسياسية التي مورست على الأمريكيين في إدخال ما

يقرب من المليون ونصف المليون مهاجر يهودي إلى الولايات المتحدة خلال السنوات العشر التالية لعرض المسرحية ؛ ولكن المشكلة التي كان الأمريكيون يتخوفون منها وقعت بالفعل ، فأسطورة البوتقة الأمريكية القادرة على دمج المهاجرين من يهود روسيا، تحوَلت إلى قدرة هؤلاء على صهر البوتقة برمتها ، بل وتغريبِ قُدامى الأمريكيين . لقد وصل المُهاجرون الجُدد، ومتاعهم الوحيد قوانين التوراة وتعاليم التلمود المتشددة . فأحقيتهم في أرض الميعاد الجديدة، توازي أحقيتهم في أرض ميعادهم التاريخية ؛ ألم يعِدهم سِفر يشوع بأن كل موضع تطؤه بطون أقدامهم هو مُلك لهم ؟

عقلية قوانين التوراة الاستحواذية هذه، يمكن تلمّسها، على سبيل المثال، في كتابات ماري أنتين، ربيبة تسانغفيل ومُقدّمها إلى عالم الأدب الأمريكي . فبعد هجرتها من روسيا إلى الولايات المتحدة، أصدرت كتابها الأول **" الأرض الموعودة "** في عام ١٩١٢، الذي تشيد فيه بأمريكا وتصف أحلام يهود بلدتها في الهجرة إليها، بل وكيف حُوّرت ابتهالاتهم إلى ‘**السنة القادمة في أمريكا** ‘ ، بدلاً من دعائهم الكنسي التقليدي ‘ **السنة القادمة في أورشليم** ‘ . وما أن استقر بماري أنتين المقام ، وثبت موقعها في العالم الجديد ، حتى أصدرت كتابها الجديد **" أولئك الذين يقرعون على بواباتنا "** (١٩١٤) ، وذهبت فيه إلى أن أمريكا

ليست حِكراً على الأمريكيين وليس لهم الحق القانوني في رفض دخول من لا تراه مناسباً للهجرة إليها :

" وإذا كان هناك حق لأمة أن تمنع دخول الغرباء إليها، فأخبرونا عن عدد المواطنين الذين يشكلون أمة، وما هي الرقعة الجغرافية التي يملكون ادعاء مثل هذا الحق فيها . ففي الولايات المتحدة، يمكن أن يعيش ألف مليون في سلام ورفاه وفي ظروف عادلة ، فمن يعطي الحق لسبعين مليوناً أن يحتكروا الأرض؟ بل ما العدد منهم الذي يملك الأرض بحق ، ويمنع أولئك الذين لا يملكون الأرض حق العيش فيها..؟

إن الإثم الذي نرتكبه في مسألة الهجرة يعود إلى اعتقاد خاطئ لموقعنا في الأرض ؛ فقد ناقشنا الموضوع وكأننا نملك هذه الأرض وبالتالي لدينا الحرية لاستقبال أو رفض الضيوف الذين جاؤوا من غير طلب منا، بالآلاف.. " .

الصراع المسيحي - اليهودي

وإلى جانب تشويه سمعة روسيا والتصدي لدعاة إغلاق باب الهجرة إلى الولايات المتحدة في وجه اليهود ، أراد تسانغفيل دخول حلبة الصراع المَرير بين المسيحية الأوروبية واليهودية ، ذلك الصراع الذي اتخذ عبر التاريخ أشكالاً مختلفة ، منها ما هو عقائدي وآخر مادي وثالث حضاري . لقد حرِص تسانغفيل في

مسرحيته أن يمحو الصورة النمطية السائدة في أوروبا عن إخوته في الدين من المهاجرين الجُدد ، ويثبت تفوَق اليهودي على نظيره الأوروبي، سواءً في تميّز سماته العرقية أو في المثل العليا التي يحملها .

الصراع الديني

مع نمو الشعور بالتحرَر الذاتي في مطلع القرن الماضي، بدأ اليهود بالانتقال علانية من حالة الدفاع والمُهادنة مع الديانة المسيحية إلى حالة الهجوم المباشر عليها . وتعكس معظم كتابات مثقفيهم وحاخاماتهم هذه النزعة الجديدة في العديد من المناسبات . وفي حين تفادى غالبية الكتّاب الطعن المباشر في شخص المسيح ، لكونه يهودي النسب ، تركّز هجومهم على الكنيسة الأوروبية وتعاليمها وعلى رجالاتها وأتباعها . فهؤلاء جميعاً يقفون وراء الكراهية لليهود والعداء للسامية والاضطهاد الذي لحق بهم في الشتات .

فمن هذه المؤشرات ، التي تبدو واضحة في المسرحية، اختلاق تسانغفيل ستَ شخصيات من عامة مسيحيي أوروبا، قدّم خمساً منهم كمُعادين للساميين ؛ الروسيان البارون والبارونة ريفندال، كوينسي ديفنبورت الأمريكي ، المُتحدّر من جذور أنجلو ـ ساكسونية ، كاثلين الخادمة الإرلندية، وأخيراً فيرا إبنة البارون

. وتتبع كراهية هؤلاء لليهود من تحريض الكنيسة ورجالات الدين المسيحي، كما عبّر عنها ديفيد :

" وحتى المسيحية لم تبتدع الكراهية . ولكن إلى أن نهضت الكنيسة المقدّسة، تمّ حرقنا على خشبة الموت " .

أو عندما ربط احتفالات المسيحيين بعيد الفصح، رمز السلام والمحبة، بارتكاب فظاعاتهم بحق اليهود في كيشينيف :

" لقد كان هو يوم عيد الفصح لديكم، وكان الجو مُفعماً برنين الأجراس المقدّسة والشوارع بالمواكب القدسية.. الكهنة متشحون بالسواد، والفتيات بالبياض يلوحون بسعف النخل والصلبان ، والجميع يتبادلون بيض الفصح ويقبلون بعضهم البعض... رمزاً للسلام و الودَ ، وحتى الصبي ـ اليهودي شعر بروح المحبة تتربع على الأرض، رغم أنه لم يكن يعرف آنذاك أن هذا المسيح، الذي تعلن ترانيمه المقدسة قيامه، قد وُلِدَ على هيئة أخ يهودي.. أنتم المسيحيون لا ترون إلاً الإشراقة الوردية في أفق السعادة ولم يكن اليهود ورديون بشكل كاف بالنسبة لكم... عيد الفصح كان موعد المذبحة " .

وحتى بعدما تتفهم فيرا تدريجياً مدى مِحنة اليهود، وتشعر بالخجل من التصرفات الشنيعة لإخوتها في الدين تجاههم، يُشككُ مندل في إمكانية تخيّل مسيحي روسي على شكل آدمي !

وبالفعل، فقد انتشرت ظاهرة الهجوم العلني على المسيحية كحملة إعلامية متناغمة، هدفها الطعن في الحضارة الأوروبية القديمة الممهورة بخاتم العقيدة والمُشرَبة بدماء المذابح الوحشية . وعلى هذا النحو، تُقدّم الشاعرة إيمّا لازاروس نظرتها عن حُبَ المسيحي وتعاليم المسيحية :

" مرة أخرى يُستلّ سيف المسيح

مليون سقف محترق، ينير طريق العالم الفسيح

أمام هروب بني إسرائيل

فكل جريمة توقظ الوحش في الإنسان

تتوجه نحو أخيه الإنسان

شهوة الغوغاء وجشع القسيسين وطغيان الملوك، مجتمعين

عندما تُعرَف سلسلة آثام المسيحي الطويلة

تجاه آبائه و أهله

وتتكشَف آلام الدهور

فأي بحارٍ يمكنها أن تزيل وصمة العار
عن تعاليم المسيحي وحبَ المسيحي؟ " .

ولا يفوت الكاتب ويليام ستايلز أيضاً إلاّ أن يغمز في الإنجيل المقدّس وإلى إشاراته إلى خيانة يهوذا الإسخريوطي، وإصرار اليهود وكهنتهم على صلب المسيح في محكمة الروماني بيلاطس . فالمسيحيون، كما يدعي، لا يزالون يطالبون بثمن صلب المسيح من دم اليهود :

" ألم يُكتب في مكان ما ، في كتاب المسيحيين ، أن هؤلاء اليهود كان لهم مرة بعض الأجداد الطائشين، نظروا إلى وجه المسيح في محكمة بيلاطُس وصاحوا: دمه علينا وعلى اولادنا؟ تعالوا! دعونا نحقق النبوءة . أولئك اليهود في ذلك العهد البعيد.. ماتوا، وخمسون جيلاً من بعدهم ماتوا ، ولكن أليس علينا أن نستمر في قتلهم؟ ولمَ وُجِدَ اليهودي إلا ليموت أو يُلعن! " .

فأوروبا وشعوبها المسيحية كافة، وليست روسيا القيصرية وحدها، هي المسؤولة عن ' صَلبِ ' اليهود وإهدار دمهم . فاليهود هم ، في الحقيقة، من صُلِبوا وليس داعية السلام والمحبة . هذا ما يؤكده أيضاً عزرا بروندو في روايته **" الهارب"** (١٩٠٤) . ففي

أحد الحِوارات ، يُعلِم الصحافي لوينسكي صديقه إسرائيل أبراموفيتش اعتزامه الهجرة إلى فلسطين وحتى قبوله العيش بين العرب، بدلاً من بقائه تحت رحمة المدنية الأوروبية :

" أتوقع أن أغادر أوروبا وجميع شعوبها المسيحية إلى الأبد . تلك الشعوب التي تُعلّم الحبَ باسم اليهود المصلوبين ولا تمارسه ، وهي لم تُمارسه إطلاقاً . كفى من هذه المدنية الأوروبية ! ".

أما ماري أنتين ، فتشرح للمواطن الأمريكي في مذكراتها عن مسقط رأسها روسيا ، وتعبّر له عن مشاعرها تجاه المسيحية والكنيسة والصليب وصولاً إلى إلههم المتوحش :

" كنت أكره وأخاف وأتحاشى الكنيسة البيضاء الكبيرة في ساحة (البلدة)، كما كنت أكره كل إشارة أو رمز لذلك الإله الوحش ، الذي في داخلها.. ، بل وكنت ألعن الكنيسة في قلبي كل مرة كنت أمرّ أمامها .

كنت أعتقد بثبات ، بأن إله اليهود كان قوياً وحكيماً ؛ أما إله جيراننا المسيحيين فكان ضعيفاً ، متوحشاً وأحمقاً... . فالصليب هو من صُنع الرهبان، والرهبان هم سبب متاعبنا. يقول المسيحيون إننا قتلنا إلههم، كان هذا سخفاً ، لأنه لم يكن لديهم إله على الإطلاق - لا شيء سوى الصور ، وعدا ذلك، فإن

ما يتهموننا به حصل منذ زمن بعيد، وقد مات منذ أجيال كل من له علاقة بذلك " .

الصراع المادي

الصورة النمطية لليهودي ، التي كانت سائدة في أرجاء أوروبا الشرقية منها أو الغربية ، هي صورة المُرابي والمُقرِض والثري الجشِع الذي يعبد المال ويتجاوز جميع القيم الإنسانية والأخلاقية ، إذا ما تعارضت مع مصالحه الشخصية والاقتصادية . ولم تتكوّن هذه الصورة فقط من خلال تعامل الأوروبيين المباشر مع اليهود المتواجدين فيما بينهم ، بل أيضاً نتيجة قراءتهم لتعاليم العهد القديم، وبخاصة في سِفر التثنية 23: ١٩ ـ ٢٠ ، السِفر الذي يحثَ اليهود على إقراض الأجنبي بربا، ويُحذرهم من إقراض إخوتهم في الدِينِ بالفائدة . وعلى مدى قرون، كان الكتّاب والمفكرون الأوروبيون يبرزون هذه السمة وغيرها والمرتبطة بشخصية اليهودي في كتاباتهم ورواياتهم وأشعارهم وعلى خشبات المسرح . سِمات أصبحت نموذجاً عالمياً للقيم المادية التي يحملها اليهودي .

ففي مسرحية "**يهودي مالطا** "(١٥٩٢) ، جَسّد الكاتب البريطاني ، كريستوفر مارلو ، فلسفتهم للحياة والوجود بكلمات قليلة ، وعلى لسان أحد أبطال المسرحية باراباس :

" من يكرهني فقط لسعادتي؟

أو من يُبجّل الآن سوى لثرائه؟

الأفضل، إذا، أن أُكرَه كيهودي

من أن يُشفق علي مُسربلاً بفقر مسيحي.

**** ***

فهناك كيرياه جيريم، اليهودي الكبير في اليونان

أوبِد في بِراشِت، نونِس في البرتغال

وأنا في مالطا، والبعض في إيطاليا

العديد في فرنسا، ثري كل واحد منا

أكثر ثراءً من أولئك المتباهين بالعقيدة

نعم، أكثر ثراءً من أي مسيحي " .

أسس مارلو لفكرة اليهودي اللعين في طرحه شخصية باراباس كشرير ومنتقم ، تستهلكه الرغبة في السلطة فيخطط لسلسلة من المؤامرات وينخرط في العديد من الخيانات المزدوجة للتخلص من أعدائه . وتبعه معاصره ويليام شكسبير ، أشهر كاتب

مسرحي في العالم ، في رسمه الصورة الأشد مرارة لطبيعة يهود عصره . فشخصية شيلوك في مسرحية " **تاجر البندقية** " (١٦٠٠) ، بقيت إلى يومنا من أشهر رموز الجشع والعدوانية مجتمعتين، ذلك عندما طالب المُرابي شيلوك برَطلٍ من جسد أنتونيو كضمانة لدَين، لم يتمكّن الأخير من سداده :

" رطل االلحم ، الذي أطالبُ به

تمّ شراؤه بثمن مرتفع: هو لي وسأحصل عليه

وإذا ما أنكرتموه علي ، فتباً لقانونكم! "

لم تتوقف الذاكرة الأدبية الانجليزية عن شيطنة اليهودي بانتهاء العصر الاليزابيثي ، بل استمرت عبر القرن التاسع عشر. ولم تقتصر صورة جشع وعدوانية الشخصية اليهودية، الحاضرة في أذهان المفكرين الغربيين، على الانتقام من الأحياء بل أيضاً من المُحتضِرين على فراش الموت . وتبرز لنا الروائية الإنجليزية ـ الإرلندية ماريا إدجورث في كتابها " **الغائب** " (١٨١٢) ، شخصية مُردخاي صانع عربات نقل الركاب . تحدِثنا عن حضوره إلى بيت لورد مُحتضِر، مدين له بالمال والربا المتراكم، وتهديده له باستخدام أي وسيلة لاستعادة آخر قرش له ؛ وأن رجلاً على فراش الموت لا يشكّل عذراً لمردخاي، حتى ولو شكك الناس في أخلاقيته :

" ـ الأمر سيان لدي، سآخذ معي مِن هذا البيت المال أو الشخص الَمَدينْ..

ـ أيها الوحش غادر البيت.. " .

وقد لا تبدو سمات الثري إسحق اليوركي (نسبة إلى مدينة يُورك البريطانية) ، التي رسمها الروائي والشاعر الأسكتلندي السيروالترسكوتْ في روايته الشهيرة **"أيفانهو "** (١٨١٩) ، بنفس فظاظة من سبقوه من الشخصيات اليهودية ؛ إلا أنها تمثّل النظرة الأوروبية العامة إلى اليهود في ممارستهم الخداع وادعائهم الفاقة على الرغم من ثرائهم :

" - نعم، وتقضمون أحشاء نبلائنا بالربا وتخدعون النساء والفتية بالمجوهرات المزيفة والألعاب - وأنا أضمن لك أن الشواقل (الشيكلات) **مُخبأة في محفظتك اليهودية.**

- ولا شاقلاً واحداً، ولا قرشاً فضياً، ولا نصفه - بحقِ إله إبراهيم " .

وليست صورة اليهودي قاسي القلب ،الفظ ، المستغل للأطفال ، كما جاء في رواية تشارلز ديكنز **" أوليفر تويست "** (١٨٣٧) ، أقل سلبية مما ذكر آنفاً . فشخصية فيغين تُوغِلُ في نمذجة اليهودي النذل أيضاً ، وتقدمه كمجرم مُنحط يستغل حاجة الأطفال المشردين واليتامى ويدفعهم إلى النشل والسرقة لصالحه

مقابل إيوائهم وإطعامهم . يرسم ديكنز ملامح هذه الشخصية على أنها ليهودي كهل، مُنكمش القامة لئيم المنظر وذو وجه مُنفِرْ ، تخاطبه المُشرّدة نانسي، إحدى ضحاياه، بالقول :

" - لقد سرقتُ لكَ عند ما كنت طفلة، أقل من نصف عمر أوليفر، وسرقتُ من أجلك منذ ذلك الحين..

- وإن فعلتِ ذلك، فهذه طريقة حياتكِ

- نعم، إنها طريقة حياتي، وانتَ هو ذلك الخسيس الذي دفعني إليها منذ وقت بعيد! " .

ويبدو أن الكاتب الروائي البريطاني أنتوني ترولوب قد سبق عصرنا الحالي بمراحل ، عندما قدّم لنا صورة لشخصية مموِّل يهودي ثري وهمي، أطلق عليه اسم أوغستوس مالموت في روايته **" أسلوب حياتنا الآن "** (١٨٧٥) ، ويصف الكاتب مالموت بأنه **" أكبر محتال خلق على الإطلاق، ويوحي منظره بأنه قاس ومتباهٍ بثروته "** . هذه الصورة التخيلية لترولوب، تجسّدت على أرض الواقع ، بعد قرن ونيف، في شخصية المُحتال المعاصر وصاحب الاستثمارات الزائفة " برنارد مادوف" .

وفي أشهر وآخر رواياته العديدة **" تريلبي "** (١٨٩٤) ، قدّم الكاتب جورج دي موربيه لقرائه شخصية سفينغالي، وهو موسيقي

يهودي شرير ومُنوّم مغناطيسي بارع ، يتمكّن من تخدير الفتاة الإرلندية اليتيمة تريلبي، ذات الصوت المتواضع، مغناطيسياً وتحويلها، بلا وعي منها، إلى مغنية بارعة على مستوى عالمي، ومستغلاً إياها لأغراضه الخاصة . فقد عاش سفينغالي في نعيم من خلال عروضها الفنية في صالات الأوبرا والمسارح :

" **كان بإمكان سفينغالي أن يُحوَلها** (عن طريق تنويمه المغناطيسي) **إلى تريلبي أخرى ، تريلبي التي يمتلكها، ويُجبرها أن تفعل ما يريد وآلة غناء . لقد كانت هي من جعلتنا نعيش في فخامة وأبّهة** (من خلال حفلاتها الغنائية) " .

ومما لا شك فيه ، أن تسانغفيل وغيره من الكتّاب اليهود لم يكونوا راضين عن بقاء مثل هذه الصور الجشعة في أذهان الأمريكيين، وخاصة مع بدء المهاجرين الجدد بالتوافد تباعاً إلى شواطىء الولايات المتحدة . ففي كتابه اللاحق **صوت جيروزالم** (١٩٢٠) ، وتحت عنوان **" شيلوك واليهود الآخرون في المسرح"** ، نجده يبارك الجهود التي تبذل لمنع تدريس **تاجر البندقية** لطلاب المدارس في الولايات المتحدة ، ويشير إلى وجود ثلاث وثلاثين مسرحية عالمية، يصوّر معظمها دورااليهود السلبي في إقراض المال والعمل الطفيلي . من هنا جاءت مسرحية **بوتقة الصهر** لتكسر الصورة النمطية السلبية التي سادت لقرون ،

ولتنضم إلى محاولات العديد من الكتاب اليهود الرامية إلى تحسين صورتهم في المخيال الأدبي . فتسانغفيل يسعى لقلبَ الصور السلبية المُتوارثة و إضفاء صفة العِفَة والترفّع عن المال وحبَ العمل الخيري على بطل المسرحية . فهو يرينا ديفيد في ملجأ للأطفال المُعاقين يعزف لهم ، أو في الضاحية السكنية يقدَم حفلة موسيقية بلا مقابل مادي ، بل ويتمنى أن يدفع أجراً مقابل تواجده بين المهاجرين السُعداء ؛ ويوافق على العمل لدى بابلمايستر كعازف كمان رئيسي في فرقته الموسيقية حتى من دون أجر :

" ديفيد: أجرْ! أمن أجل شرف العزف في فرقتك الموسيقية!

بابلمايستر: شيلوك!!... لا بأس ـ سنسوي مسألة رطل اللحم (البشري) غداً " .

وهو حوار، وإن كان مقتضباً، أراد منه تسانغفيل أن يُبين حقيقة الفارق بين شخصية اليهودي في الأمور السامية والأخلاقية، وبين صَورة شيلوك المادية والرخيصة لدى شكسبير. وفي المقابل، ينسب الطابع المادي إلى غير اليهود وذلك من خلال عتاب فيرا لديفيد، لاهتمامه بالشهرة وليس براتبه الذي سيساعده على الزواج منها .

وفي مقابل السمو الأخلاقي لليهودي الفقير ديفيد، يرسم تسانغفيل صورة بالغة الانحطاط للثري المسيحي كوينسي ديفنبورت ، صورة الفضيلة أمام النقيصة، والترفَع أمام الابتذال المادي . ولقد تعمّد اختيار اسم عائلة ديفنبورت ، المعروفة بأنها الأعرق بين العائلات الأمريكية والألمع بين قدامى المهاجرين البريطانيين إلى أمريكا.

ولعل بعض الحوارات المتبادلة في المسرحية بين عائلتي كيكزانو وديفنبورت تشي بمقاصد تسانغفيل ؛ فعندما يوافق كوينسي على إقامة حفل موسيقي لتقديم سيمفونية ديفيد ودعوة خمسمائة من أفضل وجوه أمريكا إليها، يُطرَب مندل بعرضه هذا :

" مندل: آه، شكراً، شكراً، هذا يعني الشهرة

كوينسي: والدولارات، لاتنسى الدولارات! "

أما الحوار الدائر بين ديفيد وكوينسي، فكان أقرب إلى محاكمة أخلاقية واجتماعية وتعبير عن الاحتقار للمثل العليا التي يتبناها المهاجرون القدامى من أمثال كوينسي .

"كوينسي نعم، أيها الشاب، سأقدم لك زبدة المُستمعين في أمريكا وإذا ما كان (قائد الأوركسترا) **بوبي محقاً، فإنك في صدد حصد الدولارات.**

ديفيد آوه، أعرف ياسيدي أنك لاتكتسب المال الذي تنفقه.

فيرا (لكوينسي) **إنه يقصد أنه يعرف انك لست في مجال الأعمال المالية.**

ديفيد نعم ياسيدي، ولكن هل صحيح أنك تفضل الانغماس في المتعة؟

ديفيد هل هو القصر الذي حوّلتَ أرضياته إلى ممرات البندقية المائية، حيث كان الضيوف يأكلون في الغوندولات..؟ وفي تلك الليلة بالذات، ماتت النساء والأطفال من الجوع في نيويورك؟ وستدعو مثل هذه النوعية من الناس إلى سيمفونيتي ، سكارى الغندولات هؤلاء تلك المجموعة من الحيوانات العظيمة الذين ذهبوا زوجاً زوجاً، للأكل والغزل! " .

وتؤكد الناقدة إدنا ناهشون (٢٠٠٦) ، انه رغم إشادة تسانغفيل بالقيم المُثلى لأمريكا في مسرحيته، فقد أبرز الأمريكي كوينسي كشخصية سطحية وغير مُنتِجة ، تُقلّد قيم الأرستقراطية الأوروبية الفاسدة وتفتقر إلى الأخلاق ؛ كما تشير إلى بعض الفقرات التي حذفها تسانغفيل من نصَ المسرحية (تنسبها إلى مخطوطته الأصلية) والتي يخاطب فيها ديفيد كوينسي وأمثاله من الأمريكيين بقوله :

" أنتم أيها التافهون من ورثة الذهب السهل المنال.." .

الصراع الحضاري

لم يكن الصراع الذي كان قائماً بين المسيحية الأوروبية واليهود صراعاً عقائدياً أو مادياً فحسب ، بل كان حضارياً بامتياز ؛ ففي أوروبا القرون السالفة ، كانت ركيزة الحضارة الرفيعة المستوى تقوم على الفنون عامة ، كالموسيقى والشعر والرسم والمسرح والنحت والآداب وغيرها . وكانت النظرة العامة لمساهمات اليهود في هذه المجالات دونية . ولتحسين صورتهم الحضارية ، بدأ اليهود اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر بحملة دعائية كبيرة في كل من أوروبا وأمريكا والمشاركة الفعالة في المناسبات و الحفلات والمعارض ، لإظهار تفوقهم في الفنون الراقية ولتأكيد أن تلك التهم المُوجهة إليهم لا أساس لها من الصحة . وكما يذكر ساندر غيلمان في كتابه **التعددية الثقافية واليهود** (٢٠٠٦) ، إن من بين المهمات الأساسية التي تبنَتها المنظمات اليهودية في القرن التاسع عشر، أن تُثبِت للمجتمعات الغربية أن اليهود مواطنون جيدون . وقد قامت هذه المنظمات بنشر العديد من الكتب والمقالات عن مساهماتهم في أعلى الثقافات الغربية. بل ونشرَت منظمة **التحالف ضد التشهير**

سلسلة من الكتيبات في الثلاينيات من القرن العشرين ، تبيَن فيها أن ٨ من أصل ١٢ موسيقي ، ينحدرون من الشعب اليهودي .

ويمكن تتبّع بدايات الصراع الحضاري في منتصف القرن التاسع عشر، والذي اتخذ شكل تراشقات وتهجَم بين الطرفين . ففي رواية **كونينغسبي** (١٨٤٤) لبنيامين ديزرائيلي، يرد اليهودي سيدونيا على تساؤل صديقه كونينسبي عن سبب عدم إنجاب العرق اليهودي شعراء وخطباء وكتّاباً عظماء في تاريخهم الطويل :

"سيدونيا سأدخل في تاريخ لوردات الألحان التي تجدها في حَوليات عباقرة العبرانيين وحتى في هذه اللحظة ، فإن أوروبا الموسيقية هي مُلكنا . فليس هناك مؤسسة للمغنين ولافرقة موسيقية، في أي عاصمة، لا تكتظّ بأولادنا بأسمائهم المستعارة التي تبنوها استرضاءً للكراهية السوداء، التي ستتنصّل منها أجيالكم القادمة بكثير من العار والاشمئزاز... ويمكن القول أن جميع كبار المؤلفين الموسيقيين بالتقريب، والموسيقيين البارعين وكل صوت يسحركم هو من إنجاب أسباطنا.. ويكفينا أن ثلاثة من كبار العقول الموسيقية الخلاقة هم من العرق العبراني، روسيني ومايربير ومندلسون. وقليل ما يعرفه رجالاتكم المبهرجون ، من ذوات

باريس ومتأنقي لندن، عندما يهتزون طرباً لصوت مغنيات الأوبرا غيديتا باستا أو غيليا غريزي، إنهما يقدمان ذلك إجلالاً واحتراماً إلى مغني إسرائيل العذب (أي الملك داوود أو ديفيد) " .

وإلى جانب ديزرائيلي، يذكّر الكاتب عزرا برودنو، كيف أعطى اليهود روسيا العازف والمؤلف الموسيقي أنطون روبينشتاين **" الذي لم يُنجِب هذا الشعب نصف البربري مثله إطلاقاً ! "**

ويؤكد تسانغفيل ما ذهب إليه من سبقوه على دور اليهود المُهيمن في العزف والتلحين الموسيقي، ليس في أوروبا وحدها بل في أمريكا ، وذلك من خلال الحوار التالي بين كوينسي وقائد الأوركسترا بابلمايستر :

" كوينسي بوبي! هل هناك يهود عندي في الأوركسترا؟

بابلمايستر أتقصد هل هناك مسيحيون؟

كوينسي جِ.. روزالِم! لربما أنت يهودي!

بابلمايستر لم يحصل لي الشرف ولكن إن كنت تفضل، سألغي من برامجنا الموسيقية جميع الملحنين اليهود، مارأيك؟

كوينسي لماذا؟ بالطبع، اطردهم، كل من ولدته أمه منهم.

بابلمايستر فإذاً، لن يكون هناك مزيد من الأوبرا الكوميدية... اليهود مؤلفو جميع الأوبرات الكوميدية! " .

كما استلهم تسانغفيل من عبقرية مغني إسرائيل العذب الملك داوود ومن روبينشتاين وغيرهم، بطل مسرحيته . فالشاب ديفيد لم يكن شخصاً عادياً بل معجزة في الموسيقى إلى الحدّ الذي تعجبَتْ فيه فيرا لكونه يهودياً :

" يهودي! ذلك الشاب الرائع يهودي!.. ولكن ألم يكن هكذا داوود ، ذلك الراعي الشاب بقيثارته ومزاميره ، ذلك المنشد اللطيف في إسرائيل؟ "

وديفيد كما يصفه عمَه مندل **شعاع من الشمس اتخذ هيئة إنسان عند ولادته ، علّمَ ذاته بذاته** ، ولم يكن بحاجة إلى دراسة الموسيقى في الكونسرفاتوار، على غرار ما فعلته المسيحية فيرا لقد سلّمت فيرا بقدراته الموسيقية الخارقة ، عندما شرحت لكوينسي سبب إعجابها به :

" كنت أفكر فقط في عبقريته، وليس عرقه وكما تعلم فكثير من الموسيقيين هم يهود " .

وحتى قائد الأوركسترا الألماني بابلمايستر، لا يملكُ إلا ينحني أمام هذا الموسيقي المُعجزة . ورداً على سؤال كوينسي

حول مدى موهبة ديفيد لدراسة الموسيقى في ألمانيا، يجيب بابلمايستر باستنكار:

" في ألمانيا! ليس لدى ألمانيا شيء لتعليمه، عليه هو أن يُعلِّم ألمانيا ! " .

ويبدو، للوهلة الأولى، أن وضع تسانغفيل - في ديكوره المسرحي - صورة للموسيقار والملحّن الألماني ريتشارد فاغنر أمر اعتيادي ، وخاصة في بيت يسكنه اثنان من الموسيقيين . أما لماذا أعطي فاغنرهذه المكانة المُشرِفة من بين كبار المؤلفين والموسيقيين العالميين فأمر آخر. فمن المُرجّح أنه أراد أن يكون فاغنر شاهداً على تميّز اليهود الموسيقي، وشاهداً على عبقرية تسانغفيل في الفن المسرحي .

فقبل أكثر من نصف قرن على عرضِ المسرحية، كتبَ فاغنر مقالة نقدية مطوّلة بعنوان **"اليهودية في الموسيقى"** (١٨٦٩) ، يصف فيها فنون اليهود وغناءهم وموسيقاهم بالمُصطنعة والسطحية والمُجردة من الإحساس . وبما أن الموسيقى بحاجة إلى حياة حقيقية عضوية فيه ، فلن يجد المرء مؤلفاً موسيقياً يهودياً في أي مكان حسب قوله . وعن مجمل فنونهم الأخرى ، يقول فاغنر، إن اليهودي يتكلم لغة الأمة التي يعيش فيها قرناً بعد قرن كشخص غريب ، ويتكلم اللغات

الأوروبية المعاصرة كمتعلم لها وليس كلغة الأم . وهكذا فإن مجمل الفنون والحضارة الأوروبية بقيتْ بالنسبة له غريبة . ورغم احتكاك اليهود بالشعوب الأوروبية لحوالي ألفي عام، لم تُفلِح الحضارة الأوروبية في اختراق عنادهم المتعلق بغرابة النطق للغة ، وهذا ما ينعكس على قراءة الشعر وعلى الغناء والتعبير الفني . ولا يمكن أبداً، يُضيفُ فاغنر، مشاهدة يهودي يتجول على خشبات المسرح ، بل لا يمكن تخيّل تمثيل يهودي لشخصية ما ، سواءً أكانت بطلة أو عاشقة ، من دون الإحساس بالتنافر الغريزي مع هذه الشخصية . فهو يستخدم كلمات غريبة تماماً عن اللغات الأوروبية ويُحرّف بُنية جُملها . ويمكن القول بأنهم قد يكونوا قادرين على التعبير عن عواطفهم بطريقة فعالة فيما بينهم ، إلا أن الأمر يتعلق بمدى التفاعل الفني للآخرين مع خطابهم .

ومنذ أن نشر فاغنر مقالته قبل قرابة ١٥٠ عاماً وإلى يومنا هذا، أصبحت مقالة **اليهودية في الموسيقى** بالنسبة للمثقفين اليهود بمثابة كتاب هتلر كفاحي لسياسييهم ومُنظَّريهم . إذ لم يعُد تحسين وتلميع الصورة الحضارية لليهود كافياً ، بل تحوّلت لدى العديد من رموزهم الثقافية إلى تحَد لإثبات تفوّق العرق اليهودي على الأعراق الآرية والتويتونية والسلافية وغيرها .

ويشرح غدال ساليسكي، في كتابه " **الموسيقيون المشهورون للعرق المتجول** " (١٩٢٧) أسباب هذه الظاهرة :

" ومع نمو الشعور العرقي القوي والجديد لدى اليهود الروس ، فقد أدى هذا إلى شعور المؤلفين الملحنين والموسيقيين بإمكانية الوصول إلى نتائج أفضل، إذا ما دمجوا أنفسهم أكثر فأكثر بعبقرية العرق اليهودي . إن ما دعا فاغنر إلى كتابة مقالته " اليهودية في الموسيقى " كان مردَه، بلا شك، غيرته من النجاح الشعبي للمؤلفين الملحنين مايربير وهاليفي وغيرهم ؛ وقد أثبتت الحقائق بطلان اتهاماته . أراد فاغنر في مقالته أن يبرهن بأن المؤلفين اليهود قد أغرقوا الموسيقى عموماً بالروح اليهودية ، وأن مؤلفاتهم تقف على عتبة أدنى من تلك التي يؤلفها أولئك أصحاب العرق الآري الصافي " .

أما سيسيل روث فقد ذهب أبعد من ذلك في كتابه **المساهمة اليهودية في المدنية (١٩٤٠)** . فهو لا يُعدَد فقط إعجازات اليهود الثقافية والحضارية على مستوى العالم في الآداب والصحافة والرسم والموسيقى والمسرح والطب والفلسفة وغيرها، بل يُشكك في جذور وأهمية أعمال كبار الموسيقيين

المسيحيين ويشير إلى مدى تأثرهم بالعبقرية اليهودية من خلال الإدعاءات التالية :

- وفقاً لبعض الخبراء، فإن سوليفان وكافاللو وكوستا، وحتى بيتهوفن، لهم جذور يهودية.
- اليهود هم من أوائل من اكتشفوا موهبة موتزارت في الموسيقى ويُعزى سبب نجاح أوبراته **دونجوان** و**زواج فيغارو** إلى كلماتها للمؤلف اليهودي إمانويل كونيغليانو.
- لم تكن حياة روسيني مُمكنة لولا صداقة ودعم المَصرفي جيمس روتشيلد المستمر له.
- يعود فضل نجاح أوبرا " **تاننهويزر** و**الهولندي الطائر**" لريتشارد فاغنر إلى أفكار استوحاها من هينريش هاينه .

هذا الشعور بالتفوق والتمايز للعرق اليهودي، والذي بدأ يطفو أكثر فأكثر إلى حدّ الهوس، له جذوره اللاهوتية القديمة كما يفسرها معجم أكسفورد للديانة اليهودية :

" تُعتبر عقيدة شعب الله المختار مركزية بالنسبة للفكر اللاهوتي اليهودي وإن كان هناك تفاوت في الرأي حول معناها والتأكيد المتكرر للعهد القديم على اختيار الإسرائيلي هو الذي أوجد الفكرة إياها ، إضافة إلى أدبيات الحاخامات اللاحقين وكتاباتهم ، وبالتالي وجود تفوّق أخلاقي وحتى عرقي متأصل

في اليهود وإشارات إلى ازدهار فكرة التمايز لمن هم من صلب أبينا إبراهيم " .

وبالفعل، فالتأكيد المُتكرر لخصوصية بني إسرائيل نجده جلياً في العديد من أسفار العهد القديم . فقد جعل الربَ بني إسرائيل أبناءه (التثنية ١٤:٢) واختارهم من بين شعوب الأرض كافة ليكونوا شعبه الخاص (التثنية ٧:٦)، هم مملكة كهنة وأمة مقدسة (الخروج ١٩:٦) وهم من وضع الربّ روحه في داخلهم (حزقيال ٣٦: ٢٧) .

ولعل المثير للدهشة أن قناعة اليهود بتفوقهم على الأغيار ، من غير اليهود ، لم تعد تقتصر على المُتشددين والمغالين منهم فحسب، بل تمتد إلى شريحة عريضة من المثقفين والمفكرين حتى في أيامنا هذه ، فهناك تمايز شاسع بين العرق اليهودي وبقية أعراق العالم في السُلم الحضاري، كما يرى الكاتب برودنو :

" وبينما يلزم الشعوب الأخرى قرناً من الزمن لارتقاء سلم التقدم، يلزم اليهود لذلك جيلاً واحداً، أي ربع قرن ليسبقوهم " .

ويبدو ان داعية بوتقة الصهر الأمريكية قد ألهمته هذه الجملة ليضيف إلى مخطوطة مسرحيته الأصلية فقرة يعنّف فيها

ديفيد نظيره الأمريكي كوينسي، إلا أنه فضّل حذفها من المشهد ربما تفادياً لمزيد من تجريح مشاعر الأمريكيين :

" أنظر حولك إلى اليهود - المهاجرين كيف ارتقوا من مجموعة من باعة متجولين إلى المساواة بكم وكيف تقدموا على رجال أمريكا البيض في الوول ستريت (شارع المال) **. فهم قضاة نزيهون وسياسيون شرفاء وتجار مُمحّصون ومتبرعون خيّرون نبلاء ؛ علماء و مفكرون وفنانون "** .

وفي حين أشار تسانغفيل بصراحة، في كتابه **"صوت أورشليم"** إلى عبقرية اليهود ٣٨ مرة ، وردَد كلمة المُختارين ٢٦ مرة ، فقد عبّرعن قناعته هذه في المسرحية بشكل غير مباشر، عندما جعل أمريكا تعزف سمفونية ابتدعها واحد من عباقرة شعب الله المختار .

ازدواجية الوعي

في إطار الترويج الإعلامي والسياسي، يُصنف النقاد والكتاب اليهود تسانغفيل بأنه الأب الروحي لفكرة بوتقة الصهر. ويحضرهم دوماً مقولات بطل المسرحية ديفيد أو ما تجسَده سيمفونيته الأمريكية من غليان وفوران تؤذن بولادة الإنسان الأمريكي الجديد :

" أمريكا هي بوتقة الإله ، بوتقة الصهر الهائلة حيث تنصهر فيها جميع أعراق أوروبا ومن ثمّ يعاد تشكيلها! هنا تقفون في خمسين مجموعة ، في لغاتكم وتاريخكم الخمسين، وفي كراهيتكم العرقية وتنافسكم الخمسين ، ولكنكم لن تستمروا طويلاً على هذا المنوال أيها الإخوة، فقد أتيتم إلى نيران الله .. هذه نيران الله. صورة لضغائنكم وصراعاتكم! ألمان، فرنسيون، إيرلنديون وإنجليز، يهود وروس ستحشرون في البوتقة جميعاً! الله يصنع الأمريكي .. . الأمريكي الحقيقي لم يأت بعد إنه فقط في البوتقة ، ... سيكون هو صُهارة جميع الأعراق، ولربما الرجل الخارق المقبل " .

إلا أن الأب الروحي نفسه يُعْلِمنا ، قبيل إسدال ستارة ختام المسرحية، بأنه لم يَبتدِع مصطلح البوتقة بل أوحِي له من السماء في امتحانه الكبير :

" لقد بَشّرتُ ببوتقة الإله، هذه القارة الجديدة التي يمكنها أن تذيب جميع الفروقات بين الأعراق وصراعاتها الثأرية، والتي يمكنها أن تُطهِّرهم وتعيد تكوينهم، والإله جرّبني في اختباره الأكبر . لقد أعطاني تراثاً من العالم القديم، كراهية وانتقاماً ودماً، وقال لي شَكِّلها جميعاً في بوتقتي . أنا، حواري أمريكا و نبيّ إله أولادنا " .

وكما أن موسى وجميع أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا أوائل من أوحى الإله إليهم أو جرّبهم في اختباراتِه الكبرى، لم يكن تسانغفيل أول من بَشّر ببوتقة الصهر ولم يكن أول حواري في العالم الجديد ، فقد تبيّن للنقاد أن العديد من الكتّاب قد تطرّقوا إلي ذلك قبل تسانغفيل بعقود طويلة . فقد تحدّث الأمريكي - الفرنسي جان دو كريفيكور في عام ١٧٨٢ عن البوتقة وعن ماهية الأمريكي، ذلك الإنسان الجديد :

" لقد أضحى أمريكياً لأنه استقبل في أحضان أمنا التي تغذينا هنا (في أمريكا) **انصهر أفراد جميع الأمم على شكل عرق جديد من البشر"** .

كما بيّن الفيلسوف رالف والدو إمرسون في عام ١٨٤٥، وفي السياق نفسه ، رؤيته لأمريكا المستقبلية التي ستصبح ملجأً لكل الأمم :

" وبفضل طاقة (المهاجرين) **سينشأ عرق جديد ودين جديد ودولة جديدة ، ستصبح بنفس قوة أوروبا الجديدة التي برزت من بوتقة صهر العصور المظلمة "** .

هذا إضافة إلى شواهد أخرى ، يمكن تتبُعها في **أطروحة الحدود** (١٨٩٣) للمؤرخ فريدريك جاكسون تورنر أو في

المشهد الأمريكي (١٩٠٧) للكاتب الأمريكي/البريطاني هنري جيمس .

ولو تجاوزنا مسألة اقتباس المصطلح أو حتى توارد الخواطر، يبقى السؤال الأهم عن مدى جدية تسانغفيل في دعوته هذه وصدق تطلعاته إلى الاندماج العرقي وإزالة الفوارق الإثنية والثقافية في أمريكا خاصة بالنسبة لليهود المهاجرين من روسيا . فقبل حوالي عامين من عرض المسرحية ، نُقِل عنه ، بأن كل يهودي يُسافر إلى أمريكا يبتعد عن تحقيق أحلام تسانغفيل في لمّ شمل اليهود واستعادة قومية العرق اليهودي . فأمريكا باستيعابها السريع لليهود كمواطنين فيها ستُفْقِد اليهوديَ سِماته وصفاته العرقية !

وما يشاع عن تسانغفيل، أنه كان مُتقلباً ومُثيراً للجدل في أفكاره وطروحاته . وتوحي كتاباته بريادته في خلط المفاهيم والرياء الأخلاقي . ففي مقال بعنوان " **العبقرية اليهودية في الأدب** " (١٩١٥)، كتب إدوارد بولدوين أنه ، على الرغم من عبقرية تسانغفيل، فقد كان متناقضاً مع نفسه . ففي قصته **الانتقالي** ، لا يرى تسانغفيل أن الإندماج في المجتمع المسيحي سيحل المشكلة اليهودية ، ومع ذلك ، فقد أكد في مسرحيته

اللاحقة، **بوتقة الصهر**، أن الاندماج نهاية لا مفر منها، بل ومحبذة لليهودية .

وتعترف الكاتبة ماري أنتين ، انه يتعذر على اليهودي البقاء في أجواء العمل من دون أن يطوّر وعياً مزدوجاً ، يسمح له بالتعامل مع غير اليهودي ، بشكلٍ قد يعتبره إثماً فيما لو تعامل به مع أخيه اليهودي . وتبدو إنسانيته في التمييز بين ضحاياه ، فهو يستثني جماعته ، ويوجَه نحو أعدائه من العرق الآخر خداعه الماكر الذي تبتكره احتياجاته الملحّة . وتشير أنتين ، من غير مُواربة ، إلى أن مثل هذا التشوّهات الروحية تبدو واضحة عند يهود روسيا .

كما يصف المؤرخ الألماني هينريش غريتس إخوته في الدين بمحبي التحايل والمراوغة ، ويجدون متعة في الخداع ويكرهون مسبقاً ما هو بعيد عن منظورهم . وتعود ازدواجية الوعي (الانتماء المزدوج) لدى اليهود، كما يفسرها المُؤرخ ديفيد بياله ، إلى تواجدهم الطويل في كنف هويات متعددة، كيهود وألمان، ويهود وأمريكيين، أو يهود وإسرائيليين في آن واحد.

وإذا كان الأمر على هذا النحو، فما الذي يجعلنا نسلّم بمقولة تسانغفيل في إمكانية اندماج مهاجري يهود روسيا مع الأعراق الأخرى وتحولهم إلى أمريكيين حقيقيين؟

ففي عام ١٩١٤، أبدى أوين سيمان ، محرّر مجلة **بانش** الساخرة ، شكوكه في صدق المسرحية معبراً عن دهشته من السرعة التي دَمَج فيها تسانغفيل مهاجره الروسي ديفيد في محيطه الأمريكي ، وتغييره الفوري لمكنونات قلبه بمجرد أن غيّر السماء التي تظلله ، بل وسرعة تعلّم ديفيد التلويح بالعلم الأمريكي مُضاهياً في ذلك قدامى الأمريكيين الأصلاء والتي تبدو أعجوبة للمواطن الأمريكي العادي . هذه الإشارة الساخرة من سيمان ، في المجلة البريطانية، لازدواجية الانتماء اليهودي، وجدتْ صداها، بعد تسعين عاماً، لدى ستيفن غرين في مجلة **كونتربانش** الأمريكية ، فتحت عنوان " **في خدمة علمين** " يغمزُ غرين من ازدواجية ولاء يهود أمريكا للعلمين الإسرائيلي والأمريكي، الأمر الذي لا يحتاج إلى برهان.

وحقيقة اندماج مهاجري يهود روسيا في المجتمع الأمريكي، يمكن تلمّسها في اهتمام تسانغفيل بعيد البوريم اليهودي (عيد الخلاص) وقناعه التنكريّ، والإشارة إليه في المسرحية ثلاثة عشر مرة . فقناع البوريم الكرنفالي له رمزيته الخاصة لديه . ففي كتابه **أرض للّجوء** ، يفسّر تسانغفيل مغزى القناع والوجه الحقيقي لليهودي المختبىء خلفه :

" بإمكان (المهاجر) **شراء أي قناع يعجبه - فرنسي، ألماني، فارسي أو تركي ، ولكن لنفترض أن المهاجر يقول، لا، لا أريد أن تكون لي صلة بالأقنعة ، سأرتدي وجهي الحقيقي - الوجه اليهودي . سأذهب لتكوين قومية خاصة بي وسأسمح لنفسي هنا بمحاكاة أغنية** (جيلبرت) **:**

يمكنه أن يكون روسياً

فرنسياً أو تركياً أو بروسياً

أو لربما إيطالياً

ولكن، ورغم كل المغريات

للانتساب إلى أمم أُخريات

سيبقى يهودياً " .

ثمة أمور آخرى تثير الشبهات في مصداقية تسانغفيل حول اندماج الأعراق عامة والعرق اليهودي تحديداً . إذ تتكشف نزعته العنصرية ، عندما يدعو إلى حصر الهجرة إلى أمريكا بالأعراق الأوروبية مستثنياً منها جميع الأعراق الآسيوية والإفريقية **" أمريكا هي بوتقة الإله، بوتقة الصهر الهائلة حيث تنصهر فيها جميع أعراق أوروبا ! "** . أوعندما يتجاهل ، في مسرحيته ، الأمريكيين المُلونين والتمييز العنصري المسلّط عليهم في بوتقة الإله التي يدعو إليها ، بل وتبدو ازدواجية الوعي في أوضح

صورها عندما كرّس معظم مسرحيته حول اضطهاد الروس لليهودي ديفيد كيكزانو في كيشينيف ، ونأى عن وصف اضطهاد الأمريكيين للملونين الأفارقة .

ولعل أكثر ما يسترعي الانتباه ذلك التناقض العلمي والتاريخي لدى تسانغفيل . فرغم ادعائه بأن اليهود هم ساميون لا يجد حرجاً في دمجهم مع بقية الأعراق الأوروبية، كالسَلتيين والسلافيين والأريين والنورديين **" ألمان، فرنسيون، إيرلنديون وإنجليز، يهود وروس ستحشرون في البوتقة جميعاً ! "** . فهل يتمتع يهود كيشينيف ووارسو ومينسك وكييف وغيرها بعرقية مزدوجة تماماً كما يتمتعون بجنسيات مزدوجة و بولاء مزدوج وانتماء مزدوج ؟

وحتى لو افترضنا أن ما ورد في المسرحية من أفكار تقع في إطار عمل درامي تخيلي ، أراد الكاتب من خلاله استثارة مشاعر الجمهور الأمريكي وتعاطفه وإلقاء الضوء على اضطهاد يهود روسيا، فعلينا التذكّر بأن تسانغفيل لم يكن فقط كاتباً مسرحياً وروائياً وشاعراً، بل كان سياسياً ومنظِّر أيديولوجيات وصهيونياً رفيع المستوى وبالتالي، يصعب عزل نتاجه الأدبي عن كتاباته السياسية الأخرى وأيديولوجياته المستقبلية . فمسرحيته هذه

جاءت في حقبة تاريخية ، كان العالم بأسره يمرَ فيها بأخطر مراحل إعادة التشكيل .

ففي كتابه **صوت أورشليم** يبرز فيه وجهه الحقيقي المُتخفي خلف بوتقة الصهر . يتضمن الكتاب خلاصة أفكار تبناها في مراحل حياته ويشرح فيها رؤيته المستقبلية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وما يتوجب على دول التحالف المنتصرة وعصبة الأمم الناشئة القيام به حيال أوروبا والعالم (الملحق ٣) :

" إن إعادة توزيع الأعراق هو في مصلحة وسعادة العالم بأجمعه . وهي إحدى مهمات عصبة الأمم التي يجب تنفيذها في أجزاء عديدة من أوروبا . إن العالم اجمع الآن في قبضة قوى التحالف، وهي ليست بحاجة إلا إلى حقها في إعادة تشكيل جميع الحدود العرقية .

وفي بعض الحالات، عندما تكون الفوضى بين الناس خطراً على الحل الدائم، هنا يجب إجراء تعديلات متبادلة وحتى إعادة توزيع متدرَج للأعراق "

إذاً في أمريكا دعوة درامية إلى صهر الأعراق، وفي أوروبا دعوة سياسية إلى فصل للأعراق !. وبتعبير آخر، هناك ضرورة لإعادة رسم الخارطة الأوروبية ، ليس على أسس

تاريخية أو مصالح مشتركة تجمع بين أفرادها، بل على أساس عرقي صرف . وعلى دول التحالف المنتصرة في الحرب وضع حدود جديدة للدول وإجراء تعديلات عليها ، حتى ولو اقتضى الأمر تشتيت مواطنيها . أوروبا لا تستحق غير الفصل العنصري والتقسيم ، لأنها " **حضارة قديمة مُهرت بخاتم العقيدة وأرضها مشرّبة بالدم** " من مذابح اليهود الوحشية ، كما قال ديفيد .

وإلى جانب بوتقة الصهر الأمريكية وبوتقة الفصل الأوروبية، يقترح تسانغفيل بوتقة ثالثة خاصة بالشرق الأوسط كجزء من **الترتيبات النهائية العالمية**:

" ويحق لنا افتراض أن وعد (بلفور) **كان معداً لحل مسألة اليهود الكبرى بالتناغم مع روح هذه اللحظة الكبرى في إعادة تشكيل العالم ، عندما يكون كل شيء في بوتقة الصهر . وعلينا أن نعتقد أن هذا النظام الجديد ، المبني على السياسات الخلاقة ، لن يقف فقطً عند فك ارتباط أوروبا ، وأن تلك الإجراءات الودية لإعادة توزيع الأعراق، والتي سبق أن رأينا عدم إمكانية تجاوزها كجزء من الترتيبات العالمية النهائية ، ستتم أيضاً في فلسطين كما في غيرها؛ وبالتالي سيستقر العرب تدريجياً في المملكة العربية الجديدة والكبيرة المحرَرة من الأتراك ، والتي سيسعى الكومنولث اليهودي لإقامة أواصر الصداقة والتعاون**

معها . في هذه الحالة فقط، يمكن لفلسطين أن تصبح وطناً قومياً لليهود ، وفي هذه الحالة فقط، يمكن لإسرائيل و١٤ مليون في الشتات أن يجازفوا بالقول إن فلسطين هي بلدهم . عند هذا، يمكن إعداد ملجأ نهائي آمن ضد الكراهية العرقية ، التي تجد تعبيراً دموياً لها في هذه اللحظة في بولندا.

وفي إطار هذه الترتيبات النهائية العالمية التي اقترحها، هناك ترتيبات خاصة بالفلسطينيين . ففي نهاية القرن التاسع عشر زار تسانغفيل الأرض المقدسة في مهمة استطلاعية، تعرّف فيها على أوضاعها عن كثب ، وعاد من زيارته ليعلن للعالم مقولته الشهيرة **" فلسطين بلد بلا شعب واليهود شعب بلا وطن"** .

وبعد سنوات قليلة، رجع عن مقولته ليكتب في **صوت أورشليم** تحذيراً إلى الحركة الصهيونية :

" هناك معضلة لا يتجرأ الصهيوني أن يغض الطرف عنها، وإن كان لا يحب مواجهتها . فلسطين الحقيقية لديها الآن سكانها والكثافة السكانية في باشوية أورشليم حالياً ضعف تلك في الولايات المتحدة ، ٥٢ نسمة في الميل المربع، ولا يشكل اليهود ٢٥% منهم " .

معضلة يجب حلها بطريقة أو بأخرى لاستحالة التعايش أو الإندماج بين إخوته في الدين ، المُهاجرين من بولندا وأوكرانيا

وليتوانيا وكيشينيف ، وبين السكان الساميين ملاّك الأرض . والحلول التي يقترحها تسانغفيل، كسبيل وحيد لإقامة دولة يهودية، هو الترحيل الجماعي للفلسطينيين كراهية أو طوعاً :

ـ وهكذا فعلينا أن نكون مستعدين ، إما لطرد القبائل المالكين لها بحد السيف كما فعل أجدادنا ، أو الصراع مع مشكلة تواجد مجموعة كبيرة من الغرباء، أغلبهم من المحمدانيين، تعودت لقرون عدة على احتقارنا .

ـ إقناعهم بالرحيل الجماعي ، وفي نهاية المطاف لديهم كل الأرض العربية بملايينها من الأميال المربعة ، وإسرائيل ليس لديها حتى بوصة مربعة . وليس هناك سبب محدد للعرب للإلتصاق بالكيلومترات المربعة هذه ، فمن عاداتهم المعروفة طيّ خيامهم والتسلل بسرعة وهدوء .

ـ أن يبدي عرب فلسطين أنفسهم الرغبة بالانسحاب تحت وطأة ضغط التحضّر البريطاني ـ اليهودي الآتي إليهم .

تسانغفيل يُنكر وجود الفلسطينيين ، على الرغم من أن كتب عهدِه القديم تَذْكرهم ٢٥٤ مرة ، ثم يعود ليقرّ بوجودهم . وسكانها المالكون للأرض هم مرة غرباء ومرة قبائل رُحّل يطوون خيامهم . مرة عرب وأخرى عرب فلسطينيون . وطموحه يتجاوز وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود لا يمسّ

الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود، إلى أمله بقيام دولة يهودية صافية ، لا وجود فيها لآعراق أو إثنيات أخرى .

والأخطر من هذا وذاك، عندما نجده يعبّر عن أحلام العبرانيين وآمالهم المستقبلية بإقامة نظام عالمي جديد تتحكم فيه الدولة اليهودية الناشئة وعاصمتها العبرانية أورشاليم :

" ويجب، بالطبع، حتى على الأعداء القدامى لليهود المساعدة على إعادة إعمار فلسطين ، والتي ستصبح النواة للنظام العالمي الجديد " .

" وستكسب اليهودية أيضاً أملاً تقليدياً صغيراً من مؤتمر السلام : إعادة امتلاك فلسطين . وإذا ما تحقق ذلك وأمكن دمجه مع جعل أورشليم مقراً لعصبة الأمم ، بدلاً من لاهاي الفاسدة، فسيندمج الحلمان العبرانيان، الأصغر والأكبر في حلم واحد وستصبح العاصمة العبرانية فوراً مركزاً و رمزاً لحقبة جديدة " .

تسانغفيل والمُثل الأمريكية العليا

على الرغم من أن دعوة تسانغفيل للانصهار العرقي في أمريكا كانت بهدف فتح باب الهجرة على مصراعيه أمام اليهود،

فقد لاقت فكرته هذه انتقاداً واسعاً . فاندماج اليهود أينما كانوا مع الأعراق الأخرى سيُخلخِل عرقهم الصغير ويصل بالدين اليهودي إلى الفناء . ورداً على مثل هذا التخوف، شرح تسانغفيل في تعليقٍ لاحق ما يعنيه فعلاً في دعوته . فعملية الانصهار ، لا يُقصد بها الاندماج الكامل أو الاستسلام للنوع المُهيمن والأقوى، كما يشيع البعض عنها، ولكنها عملية أخذ وعطاء تبادلية بين المكوَنات العرقية التي ستنتج ، في المحصلة ، نموذجاً للإنسان الأمريكي يمكن أن يُثرى أو يُفقر . وبتعبير آخر، فإن العرق الأصلح بين المهاجرين ذوي المثاليات الراسخة هو الذي سيُثري النموذج الأمريكي الجديد :

" والمهاجر اليهودي، هو الأصلب عوداً من جميع العناصر البيضاء ، التي تُسكب داخل البوتقة الأمريكية، بسبب تجاربه المؤلمة الممتدة لآلاف السنين والتي طوّرت لديه قوة استمرارية العيش والبقاء . وبالتالي، يمكن لهذا المهاجر أن يتأمرك كما يمكن للأمريكي أن يتهوّد! " .

وتبدو حقيقة ما يعنيه تسانغفيل من مسألة الأخذ والعطاء التبادلية و صلابة عود المهاجرين اليهود ، عند تسليط الضوء على الشخصيات التي ابتدعها في المسرحية وعلاقاتها بعضها ببعض . فالخادمة المسيحية كاثلين، المُعادية للسامية والمنتقدة

للطقوس التلمودية ، يطالبها مندل بالصبر " **فقريباً ستتعلمين عاداتنا** " . وبالفعل، وبعد فترة وجيزة تعلمت كاثلين كيف تُقسِم **بموسى المقدّس** بعد أن كانت تستنجد **بسيدتنا العذراء** أو كيف تقول " **قسماً إننا نحن اليهود لا نعرف طريقنا أبداً** " أو تتحدى كوينسي ديفنبورت، بعد أن استغرب تنكرها في كرنفال البوريم اليهودي، بقولها " **لأننا عبرانيون!** " .

كما تمكّن ديفيد، صاحب المثل العليا والأصلب عوداً، من إعادة تشكيل شخصية فيرا الكارهة لليهود ، في مطلع المسرحية . فبعد معرفتها بمأساة ديفيد في كيشينيف، شعرت بالخجل من بلادها وتعهدت بعدم ذكر اسم مسقط رأسها البائس ثانية ، بل وعبرّت عن كراهيتها لأبيها البارون ريفندال، ولعنت اليوم الذي ولِدت فيه كابنة له ، بعدما أخبرها ديفيد أنه المسؤول عن التنكيل بأسرته وشعبه . ولم يكتف تسانغفيل بقطع صلات فيرا بعائلتها وبمسقط رأسها وببلدها ، بل ذهب أبعد من ذلك إلى نسفِ جسور معتقداتها وتاريخها فهي تصف ديفيد بأنه **"نبيّ هذا الواقع الحيّ "** وتعلن خلاصها واستسلامها المطلق في ترددها لسفر راعوث " **شعبك شعبِي، وإِلَهك إِلَهي ! "** .

أما البارون الروسي ريفندال ، الذي كان يتباهى بإطلاق الرصاص على أعداء المسيح وأنه أذاق الخنازيرالأمرين في

كيشينيف، فقد تراجع في النهاية واعترف بأن ديفيد كان محقاً في وصفه له بالقاتل والجزار ؛ كما قطع عهداً بأنه سيذهب بنفسه إلى القيصر الروسي وجبينه إلى الأرض ليكفّر عن آثامه . وحتى الأمريكي الأصيل كوينسي ديفنبورت ، الذي لم يسْلم من تقريع وسخرية ديفيد لأخلاقياته المُتهاوية ومثلِه الأوروبية المُنحطة وعقيدتها الفاسدة ، فقد فرّ هارباً مُخلياً خشبة المسرح للمهاجر الجديد . عملية الأخذ والعطاء المُتبادل بين الأعراق المختلفة في بوتقة الصهر، آلت في المحصلة إلى طريق باتجاه واحد ، أخْذ من المُثل اليهودية من دون أي عطاء من نظيرتها . إذ كيف للعقائد المسيحية ومثلها العليا أن تعطي وتثري البشرية ، وقد دخلت في طور الاحتضار، كما يؤكد تسانغفيل ذلك في أحدى قصائده الشعرية .

" وفيما عقائد القرون الوسطى المُتناحرة تموت مع الطبيعة ، تدوم مُثلُ اليهود العليا الإنسانية العذبة التي تشكّل حياتنا السامية " .

لقد اختصر المؤرخ اليهودي ديفيد بيالة فكرة بوتقة الصهر الأمريكية ومقولة تسانغفيل عن أمرَكةِ المهاجرين اليهود وتهويد الأمريكيين بقوله ، إن معظم أدبيات الحديث عن أمريكا وأنها بوتقة الصهر أو أمة تعددية لأقليات ثقافية ، قد أنتجها اليهود

وتتمحور حول الأوضاع الخاصة بالمهاجرين اليهود . لقد أراد تسانغفيل أن يُقنع الأمريكيين بأن الأجيال المتلاحقة من هؤلاء المهاجرين يمكنهم البدء بالتخلي عن تشدَدهم الديني وحتى عن لغتهم اليديشية ويتأمركون . ولكن الوجه الأمريكي الجديد، الذي ستنتجه بوتقة الصهر، سيكون وجهاً يهودياً خفياً.

واليوم، وبعد مرورِ أكثر من مئة عام على عرض المسرحية ، علينا أن نتساءل هل كانت بوتقة تسانغفيل فعلاً دراما خيالية حالمة قام بالأدوار فيها ممثّلون على مسرح خشبي، يعجّ بالأضواء والملابس والديكورات ويمتلىء بالمتفرجين والمُهللين ، ثمّ أسدلت ستارة الختام عليها كغيرها من المسرحيات أم أنها كانت فعلاً جزءاً من فلسفة سياسية عالمية ترسم الواقع المستقبلي لأمريكا وللعالم من حولها ؟ فالمصطلحات البراقة التي قرأناها في كتابات تسانغفيل قبل قرن (النظام العالمي الجديد، السياسات الخلاقة ، وفك الارتباط والترتيبات العالمية النهائية، دولة يهودية خالصة عاصمتها أورشليم، الترحيل الجماعي) عادت إلى واجهة المسرح السياسي العالمي مؤخراً، لتؤكد لنا بأن ستارة المسرحية لم تُسدَل بعد ، والوجهُ الأمريكي الجديد الذي

أنتجته البوتقة ، أصبح بالفعل وجهاً يهودياً خفياً بما يحمله من ازدواجية في الوعي وفي المعايير تجاه العديد من القضايا العالمية .

ومع ذلك ، لا يزال المؤرخون والكتاب اليهود يبحثون في العوائق التي تحول دون استكمال الفلسفة التسانغفيلية للعالم . ففي دراسة جديدة ، بعنوان **" العداء للسامية والتعددية الثقافية "** (٢٠٠٦) ، يتساءل أستاذ التاريخ اليهودي في الجامعة العبرية، روبرت ويستريش (أو سلومون ياكوبوفيتش)، عما آلت إليه بوتقة الصهر وسياسة التنوع العرقي والتعددية الثقافية . ويرى أنها في اتجاهها الحالي تتجه نحو طريق مسدود وأنها سقطت بسبب سماح العالم الغربي " للمهاجرين العرب والمسلمين الراديكاليين" بالتستر خلف ورقة توت التنوع والنسبية الثقافية الغبية ، التي تهدَد نسيج المجتمعات الغربية وتدعو إلى العداء للسامية ولأمريكا. ففي أوروبا، يسعى العرب والمسلمون إلى تخفيف القيود المفروضة على قوانين الهجرة ، وعندما يتحدثون عن الاندماج في المجتمعات الغربية فهم يعنون بذلك شيئاً مختلفاً تماماً عما يفهمه الأوروبيون وبالأصح اليهود . في هذا

الخصوص ما يعنونه هو حقهم في أسلمة البيئة غير المسلمة ! وأي حوار أو تبادل للرأي (معهم) هو طريق ذو اتجاه واحد .

أما كيف تسترد التعددية الثقافية وبوتقة الصهر عافيتها سواءً في أمريكا أو أوروبا، فيرى ويستريش انه :

" إذا ما أُريد للتعددية الثقافية أن تستعيد رسالتها الواقعية، فأعتقد أن عليها العودة إلى الجذور اليهودية .وهذا يعني إلى الإحترام الحقيقي للتنوع، وحبَ الغريب وإفساح المجال للآخر والتغلب على نزعة التعالي والعجرفة ومعارضة المشروع الاستبدادي" .

ويحق لنا أن نسأل أستاذ التاريخ اليهودي ويستريش عن مصداقية الجذور اليهودية في تخليها عن نزعة التعالي والعجرفة، ولا يزال شعب الله المختار يؤمن باستثنائيته وتميّزه عن الآخر، ويدعو في الوقت ذاته إلى التعايش في بوتقة ، تقوم أصلاً على السواء والتكافؤ والمساواة .

* * *

الملحق ١

نصّ رسالة وزير الداخلية الروسي السرية (كما ورد في صحيفة النيويورك تايمز، ١٩٠٣)

LONDON TIMES—NEW YORK TIMES
Special Cablegram.

LONDON, May 18.—The Times has received from a Russian correspondent what purports to be the text of a confidential dispatch addressed by M. de Plehve, the Russian Minister of the Interior, to Gen. von Raaben, the Governor of Bessarabia, shortly before the Kishineff riots.

Following is a literal translation of this remarkable document:

Ministry of the Interior.
Chancellerie of the Minister.
March 25, 1903.

Perfectly secret.

To the Governor of Bessarabia:

It has come to my knowledge that in the region intrusted to you wide disturbances are being prepared against the Jews, who chiefly exploit the local population.

In view of the general disquietude in the disposition of the town populations which is seeking to vent itself, and also in view of the unquestionable undesirability of instilling by too severe measures anti-Governmental feelings into the population which has not yet been affected by the (revolutionary) propaganda, your Excellency will not fail to contribute to the immediate stopping of disorders which may arise by means of admonitions, without at all having resource, however, to the use of arms.

V. PLEHVE.

موسوعة وايفو ليهود شرق أوروبا (٢٠٠٥)

The Kishinev pogrom began on Easter Day, 6 April (18 April) 1903 in the capital of the Russian province of Bessarabia. In the course of three days of rioting, almost fifty Jews were killed. Kishinev provoked worldwide outrage, and became the archetypal pogrom

It was widely believed, in Russia and abroad, that the pogrom was instigated by the Russian authorities, in particular the minister of Internal Affairs, Viacheslav Konstantinovich Plehve. Plehve's presumed guilt was established by a forged dispatch, published in the *Times* of London, to the governor of Bessarabia, advising him that a pogrom was imminent, and that he should not use deadly force to suppress it.

***The YIVO Encyclopedia of Jews in Eastern Europe*, 2005. YIVO Institute for Jewish Research, Inc.**

الملحق ٢

الكتب الصادرة في عام ١٩٠٣ عن بوغروم كيشينيف

- Bergel, S. *Kischinew und die Lage der Juden in Russland*. Berlin: M. Cohn, 1903.
- Dagan, H. *L'oppression des Juifs dans l'Europe orientale; les massacres de Kichinef et la situation des proletaires juifs en Russie*. Paris: Impr. de Suresnes, 1903.
- Davitt, M. *Within the Pale. The True Story of the Anti-Semitic Persecutions in Russia*. New York: A.S.Barnes & co., 1903.
- Errera,L.A. *Les massacres de Kichinev*. Bruxelles: Falk, 1903.
- Errera, L. A. *Die russischen Juden: Vernichtung oder Befreinung?* Leipzig: Schulze, 1903.
- Feiwel, B. *Die Judenmassacres in Kischinew*. Berlin: Juedischer Verlag, 1903.

- Great Britain, Foreign Office. Russia, no. 1. Despatch from His Majesty's consul-general at Odessa, forwarding a report on the riots at Kishiniev/ London: Harrison and Sons, 1903.
- Henry, B. A. *Les massacres de Kichinev*. Paris: Bureaux du "Siecle", 1903.
- Kautsky, K. *Kishinevskaia reznia i evreiskii vopros* (The blood-bath in Kishinev and the Jewish question). Geneva: "Iskra", 1903.
- Rubanovich, E. *Les massacres de Kichinev: un nouveau crime du tsarisme, le proletariat juif en lutte pour son affranchissement.* Paris, 1903.
- Stiles, W. C. *Out of Kishineff. The Duty of the American People to the Russian Jew*. New York: G.W. Dillingham, 1903.
- *The Kishinev Massacre*. New York: American Hebrew, 1903.
- Weber, J. B. *The Kishineff Massacre and its Bearing upon the Question of Jewish Immigration into the United States*. New York, 1903.

الملحق ٣

مقتطفات من كتاب صوت أورشليم لإسرائيل تسانغفيل (١٩٢٠)

The Voice of Jerusalem by Israel Zangwill. William Heinemann ,1920

"There is, however, a difficulty from which the Zionist dares not avert his eyes, though he rarely likes to face it. Palestine proper has already its inhabitants. The pashalik of Jerusalem is already twice as thickly populated as the United States, having fifty-two souls to every square mile, and not 25 per cent, of them Jews." (P.88)

"Unfortunately," I went on, all human schemes have their obstacles and these come as usual from within as well as from without. The one serious difficulty, however, is internal. **'Give the country without a people**,' magnanimously pleaded Lord Shaftesbury, '**to the people**

without a country.' Alas, it was a misleading mistake. The country holds 600,000 Arabs. (P.92)

So we must be prepared either to drive out by the sword the tribes in possession as our forefathers did, or to grapple with the problem of a large alien population, mostly Mohammedan and accustomed for centuries to despise us. (P.88)

And therefore we must gently persuade them to ' **trek**.' After all, they have all Arabia with its million square miles not to mention the vast new area freed from the Turks between Syria and Mesopotamia and Israel has not a square inch. There is no particular reason for the Arabs to cling to these few kilometres. ' To fold their tents ' and ' silently steal away ' is their proverbial habit. (P.93)

The Arabs of Palestine might of themselves desire to withdraw from the impending pressure of Anglo-Jewish civilisation. (P.104)

For of course even ex-enemy Jews must help to re-build Palestine, which would thus become a microcosm of **the new world-order**. (P. 100)

But Judaism stands to gain also a minor traditional hope from the Peace Conference: the re-possession of Palestine. And if this secondary consummation could be united with the setting up of **Jerusalem as the seat of the League of Nations** instead of the bankrupt Hague, the two Hebraic dreams, the major and the minor, would be fused in one, and the Hebrew metropolis that meeting-place of three world-religions would become at once the centre and symbol of the new era. (P.101)

الملحق ٤
أكثر من مجرد اقتباس؟

غالباً ما تكون الحدود الفاصلة بين الاقتباس والتناصَ والانتحال والسرقة الفكرية في الإنتاج العلمي والإدبي ضبابية ومتداخلة إلى حدّ كبير . وتشير بعض التعاريف إلى أن محاكاة تعابير أو أسلوب أو أفكار الآخرين ونسبها إلى الذات، كعمل إبداعي أصيل، هي أقرب إلى الانتحال والسرقة الفكرية منها إلى الإقتباس . ويُشبّه بعض النقاد هذه المحاكاة بسرقة أرض والبناء عليها أوتغيير معالمها ومن ثمّ الادعاء بملكيتها ، في حين يرى البعض الآخر بأن تشكيل أفكار جديدة مبنية على عناصر متوافرة أقدم ، هو شكل من أشكال الإبداع .

في مسرحية تسانغفيل تتداخل حدود الاقتباس والسرقة الأدبية إلى حدّ كبير، سواءً أكان في عنوان المسرحية أو في الحدث الدرامي أو في الحوار . ولا نعني بذلك تعدَد التناص

والاقتباسات المستمدة من قصص العهد القديم، مثل نظرة امرأة لوط إلى الخلف وتحوَلها إلى عمود من الملح وتواجد أزواج الحيوانات العظيمة في الغوندولات في محاكاة لسفينة نوح (سفر التكوين) أو قصة نجاة اليهود من بلاد فارس (سفر إستير) أو شاؤول وداوود (سفر صموئيل).

فعنوان ومضمون بوتقة الصهر الأمريكية، كما تبيّن لاحقاً لبعض النقّاد، لم يكن من بنات أفكار المؤلف بل هو نتاج فكري لأكثر من كاتب سبقه . وكان يجدر بتسانغفيل الإشارة إليهم، عندما كتب تعليقه على المسرحية بعد خمسة أعوام من عرضها. وإذا تجاوزنا العنوان وفكرته الأساسية حول اندماج الأعراق والإثنيات، فيبدو أن الحدث الدرامي الرئيس للمسرحية وبعض الأحداث الثانوية قد استعارها من مصادر أدبية وتاريخية أخرى .

يقوم الحدث الدرامي في المسرحية على قصة حب وعهد بالزواج بين مهاجرين روسيين، ديفيد اليهودي وفيرا المسيحية ابنة البارون أليكسيس ، البارون الذي أعطى الأوامر بقتل عائلة ديفيد في بوغروم كيشينيف . هذا الحدث نجده في رواية عزرا برودنو " **الهارب** "(١٩٠٤) ، والتي تحكي قصة هروب إسرائيل أبراموفيتش من بوغروم كييف إلى أمريكا، وزواجه من المسيحية

كاتيا بيالنيك ، إبنة قاض روسي حكم على أبيه بالإعدام بتهمة قتل باطلة لأحد الأطفال المسيحيين .

وليس هذا فحسب، فهناك العديد من التفاصيل الثانوية من صور أو حوارات أخذها تسانغفيل من رواية **الهارب** ؛ فكما أصيب بطل الرواية أبراموفيتش بجرح في جبينه وعينه اليمنى ، سبَبها له الرعاع الروس أثناء الشغب ، فقد أصاب السفاحون الروس بطل المسرحية ديفيد بطلق ناري في كتفه . ورغم اختلاف الزمان والمكان بين بوغرومي كييف وكيتشينيف، لا يجد تسانغفيل حرجاً من استعارة بعض الصور المأساوية التي كتب عنها برودنو في روايته :

" (في أحد كنس كييف) **وقف رجل مسنّ.. أمام الصندوق الذي يحتوي على لفافة التوراة.. يداه ممدودتان عبر الباب وهو يصيح بصوت ضعيف متألم: أنقذوا التوراة، التوراة المقدسة اقذفوه ، صاح الرعاع ..** " .

ليقدم الصورة إلى مشاهد المسرحية على النحو التالي :

" **اندفع أبي** (الذي كان متواجداً في كنيس كيشينيف الصغير) **من خلال الباب محتضناً إلى صدره باستماتة اللفافة المقدسة** (التوراة) . **حاول أبي أن يسدّ الباب ولكن الرعاع اقتحموه** "

وتتطابق صور التنكيل بالأطفال الرُضّع اليهود والجماجم المهشمة على أيدي الروس في الرواية والمسرحية :

"وفي كل زاوية كان هناك رضّع مشوّهون، عجائز يهوديات مُثّل بهن، رجال مسنون بأطراف مسحوقة وجماجم محطمة."

ـ " تم التنكيل بهم أمام ناظريه: الأب، الأم، الأخت وصولاً إلى أصغر رضيع حُطمت جمجمته تحت أقدام السفاحين "

وعندما أراد أبراموفيتش، في الرواية، أن يغيّر عقيدته اليهودية إرضاءً لكاتيا ويغسل يهوديته بقليل من ماء مسيحي ، تردّ فيرا في المسرحية بأن الماء الخارجي لا يغيّر الدماء من الداخل . وكما تبيّن للنقاد فيما بعد، فإن أسماء بعض أبطال المسرحية لم تسلم من الاقتباس . فقد ورد اسم كويكزانو في رواية **رويبن زاكس** (١٨٨٨) للكاتبة البريطانية - اليهودية آمي ليفي ، وورد اسم فيرا ، الثائرة على النظام القيصري الروسي ، في مسرحية **فيرا أو الفوضوية** (١٨٨٠) للكاتب الإرلندي أوسكار وايلد . أما شخصية البارون ريفندال فلم تكن سوى تحريف بسيط للبارون ليفندال ، مدير الشرطة المحلية ، الذي

اتهمه الإعلام اليهودي بالتخطيط المباشر لأحداث كيشينيف.

المراجع

Antin, Mary. *The Promised Land*. Houghton Mifflin, Co., 1912.

---------- *They who knock at our Gates*. Houghton Mifflin Co., 1914.

Baldwin, Edward C. "The Jewish Genius in Litrature." *The Menorah Journal*, Vol. I , 3 , June, 1915.

Biale, David, et al. *Insider/Outsider*. Univ. of California Press, 1998.

Brudno, Ezra S. *The Fugitive*. Doubleday, Page & Co., 1904.

De Crevecoeur, J.H. "Letter III, 55", *Letters from an American*

Farmer. Univ. of Virginia, 2002 –2003.

Du Maurier, George. *Trilby*. 1894.

Dickens, Charles. *Oliver Twist*. 1837.

Disraeli, Benjamin. *Coningsby*. B.Tauchnitz, 1844.

Dubnov, S. M. *History of the Jews in Russia and Poland*. The Jewish Publication Society of America, Vol. II,1920.

Edgeworth, Maria. *The Absentee*. 1812.

Emerson, Ralph Waldo. "*Selected Writings of Ralph Waldo Emerrson*." Ed. William Gilman. Signet Classics, 2003.

Gilman, Sander. *Multiculturalism and the Jews*. Taylor Group, 2006.

Green, Stephen. "Serving Two Flags." *Counter Punch*, 28 Feb., 2004.

Grose, Howard B. *Aliens or Americans*. Eaton & Mains, 1906.

Herzl, Theodor. *The Jewish State*, 1896.

Lazarus, Emma. *Selected Poems and Other Writings*, 2002.

--------- "The Crowing of the Red Cock ", *The Poems of Emma*

Lazarus, Vol. II, Gutenberg's EBook # 3473.

"Lamentation" 1 - 5, *Arabic Bible*, Biblica, 2010.

Marlowe, Christopher. *The Jew of Malta*. 1592.

Nahshon, Edna. *From The Ghetto to the Melting Pot*, Wayne State Univ. Press, 2006.

Pinsker, Leon . *Auto - Emancipation: An Appeal to his People by a Russian Jew*, 1882.

Ross, Edward A. *The Old World in the New*. The Century Co., 1916.

Roth, Cecil. *The Jewish Contribution to Civilzation*. Harper, 1940 .

Saleski, Gdal. *Famous Musicians of A Wandering Race*. Bloch Publ., 1927.

Scott, Sir Walter. *Ivanhoe*. 1819.

Seaman, Owen. "At the Play," *Punch*, Vol.146, 18 Feb., 1914.

Shakespeare, William. *The Merchant of Venice*. 1600.

Stiles, William C. *Out of Kishineff: The Duty of the American People to the Russian Jew*. Dillingham Co., 1903.

The New York Times, 28 April, 1903

The New York Times, 18 May, 1903

The Oxford Dictionary of the Jewish Religion. Oxford Univ. Press, 1997.

The YIVO Encyclopedia of Jews in Eastern Europe, 2005.
Trollope, Anthony. *The Way We Live Now*. 1875.

Wagner, Richard. *Judaism in Music*. , Trans. by W.A. Ellis, 1869.

Wistrich, Robert. "Anti-Semitism and Multiculturism: The Uneasy Connection." International Conference on Antisemitism, Multiculturalism, and Ethnic Identity. Hebrew Univ., 12 -15 June, 2006.

Zangwill, Israel. *A Land of Refuge*. JTO Pamphlets, No.2, 1907.

---------- "Shylock and Other Stage Jews," *The Voice of Jerusalem*. Heineman, 1920.

الفهرس

السيرة الذاتية للمؤلف ١١
نص مسرحية "بوتقة الصهر" ١٥
ما وراء النص ١٨٤
كيشينيف .. أو سفر المذبحة ١٨٥
أمريكا وهجرة اليهود ١٩٥
الصراع المسيحي – اليهودي ٢٠٤
❖ الصراع الديني ٢٠٥
❖ الصراع المادي ٢٠٩
❖ الصراع الحضاري ٢١٨
ازدواجية الوعي ٢٢٨
تسانغفيل والمثل الأمريكية العليا ٢٤٠
الملحق ١ نص رسالة وزير الداخلية الروسي السرية ٢٤٧
الملحق ٢ الكتب الصادرة في عام ١٩٠٣ عن بوغروم كيشينيف ..
الملحق ٣ مقتطفات من كتاب " صوت أورشليم " لإسرائيل
تسانغفيل (١٩٢٠) ٢٤٩ ٢٥١
الملحق ٤ أكثر من مجرد اقتباس ؟ ٢٥٤
المراجع..... ٢٥٨